



جامعة بيروت العربية
BEIRUT ARAB UNIVERSITY

التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي
(١٣٢-٣٣٤هـ / ٧٥٠-٩٤٥م)
**The Historical Development of the Role of
Women in the Abbasid Era
(132-334 H/750-945A.D)**

من الطالبة
بهيجة محمد علي السروجي

أطروحة
مقدمة كجزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ

قسم التاريخ
كلية الآداب

بيروت
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م



جامعة بيروت العربية
BEIRUT ARAB UNIVERSITY

التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي (١٣٢ - ٣٣٤ هـ / ٧٥٠ - ٩٤٥ م)

من الطالبة
بهيجة محمد علي السروجي

أطروحة
مقدمة كجزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ

قسم التاريخ
كلية الآداب

إشراف

أ. د. عصام شبارو	أ. د. حسان حلاق
أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية	أستاذ التاريخ في جامعة بيروت العربية
مشرفاً مشاركاً	مشرفاً رئيساً

بيروت
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م



جامعة بيروت العربية
BEIRUT ARAB UNIVERSITY

لجنة الحكم على مناقشة بهيجة محمد علي السروجي
تصدق أن هذه هي النسخة الموافق عليها للأطروحة أدناه

التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ / ٧٥٠-٩٤٥م)

لجنة الحكم

أ.د. حسان حلاق

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - كلية الآداب - جامعة بيروت العربية

أ.د. عصام شبارو

أستاذ التاريخ الإسلامي - المنتدب للتدريس - كلية الآداب - جامعة بيروت العربية

د. نشأت الخطيب

أستاذ مشارك التاريخ الإسلامي - كلية الآداب - الجامعة اللبنانية

د. فاطمة قدورة

أستاذ مشارك التاريخ الإسلامي - كلية الآداب - الجامعة اللبنانية

د. علي حلاق

أستاذ مشارك التاريخ الإسلامي - كلية الآداب - الجامعة اللبنانية

رئيساً ومشرفاً رئيساً

عضواً ومشرفاً مشاركاً

عضواً خارجياً

عضواً خارجياً

عضواً خارجياً

إهداء وشكر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

صدق الله العظيم

سورة إبراهيم، آية: ٧

الشكر لله الذي وهبني العقل وفطرني على طلب العلم "طلب العلم فرض على كل

مسلم".

فأمدني بالعمر لأطلب وأنال رسالة الماجستير ثم ها أنا أقف اليوم أمام خمسة أساتذة كبار ليتفضلوا علي بمناقشة أطروحتي هذه. أملاً لنيل الدكتوراه. ولولا دعاء والدتي الصادق والدؤوب، ولولا رضى والدي علي رحمه الله. ولولا الجندي المجهول الذي كان وما زال الناصح والراشد والداعم وراء إكمال مسيرتي العلمية، ولو بعد انقطاع، ولولا تكرم أساتذتي المشرفين الدكتور حسان حلاق والدكتور عصام شبارو وأعضاء لجنة المناقشة الدكتور نشأت الخطيب والدكتور فاطمة قدورة والدكتور علي حلاق لما أتى هذا الزرع أكله...

لهؤلاء جميعاً ولكل من وقف إلى جانبي مادياً أو معنوياً. أهدي هذه الأطروحة.

والشكر كل الشكر لله أولاً وأخيراً وهو ولي التوفيق.

بهيجة محمد علي السروجي

٢٠ جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ

الموافق ٢٩ شباط ٢٠١٦ م

مقدمة

اتفق المؤرخون على تقسيم تاريخ الدولة العباسية إلى خمسة عصور تاريخية بحسب العنصر المسيطر عليها، كما يلي:

- ◀ العصر العباسي الأول: (١٣٢-٢٣٢ هـ / ٧٥٠-٨٤٧ م) ويمثل فترة النفوذ الفارسي.
- ◀ العصر العباسي الثاني: (٢٣٢-٣٣٤ هـ / ٨٤٧-٩٤٥ م) ويمثل فترة النفوذ التركي.
- ◀ العصر العباسي الثالث: (٣٣٤-٤٤٧ هـ / ٩٤٥-١٠٥٥ م). ويمثل فترة التسلط البويهي.
- ◀ العصر العباسي الرابع: (٤٤٧-٥٩٠ هـ / ١٠٥٥-١١٩٣ م). ويمثل فترة السيطرة السلجوقية.

◀ العصر العباسي الخامس: (٩٥٠-٦٥٦ هـ / ١١٩٣-١٢٥٨ م). ويمثل فترة انهيار الخلافة العباسية، وسقوط بغداد على يد المغول.

وقد اخترت العصرين الأول والثاني للحديث عن دور المرأة، لغنى المجتمع العباسي في هذين العصرين، بالنسبة لهذا الدور الذي يكاد ينعدم في العصور العباسية الثلاثة الأخرى.

فالعصر العباسي الأول شهد التدخل والهيمنة الفارسية، مع امتيازه بقوة الخلافة العباسية التي تمكنت من القضاء على النفوذ البرمكي الفارسي، وكانت المرأة الجارية الخيزران زوجة الخليفة محمد المهدي وأم الخليفين موسى الهادي وهارون الرشيد، أول امرأة تستبد بالحكم في الإسلام، وأدت دوراً حضارياً مميزاً، دون إغفال أن جميع أمهات الخلفاء في هذا العصر باستثناء ثلاث، هن من النساء الجواري غير العربيات. والنساء الحرائر العربيات الثلاث، هن:

ريطة أم الخليفة أبو العباس السفاح، أروى أم الخليفة محمد المهدي، وزبيدة أم الخليفة محمد الأمين.

أما العصر العباسي الثاني، فيطلق عليه عصر النفوذ التركي، نتيجة وقوع الخلفاء العباسيين الثلاثة عشر تحت نفوذ الولاة والقادة الأتراك الذين استفحل خطرهم، فأصبح الخليفة مكتوف الأيدي، لتعم الفوضى والرشوة والفساد.

وبدأت المرأة تتدخل في شؤون الحكم، وبخاصة في عهد الخليفة المقتدر بالله، لتؤدي في الوقت عينه، دوراً حضارياً، علماً أن جميع أمهات الخلفاء الثلاثة عشر، دون استثناء، في هذا العصر، هنّ من النساء الجواري غير العربيات، منهنّ الرومية والتركية والبربرية والصقلبية والخورزمية. وإن كانت أشهر النساء الجواري في هذا العصر، هي شغب أم الخليفة المقتدر بالله.

١- إشكالية الموضوع:

كانت الخيزران في العصر العباسي الأول، هي أول امرأة تستبد بالحكم في الإسلام، في بغداد، الحاضرة العباسية التي شهدت في العصر العباسي الثاني تدخل شغب في شؤون الحكم، بعدما أحاطت بها بعض النساء الجواري، علماً أن دور المرأة لم يقتصر على مشاركتها في العمل السياسي، بل تعداه إلى دورها الاجتماعي، حيث برز اهتمامها بالحياة المدنية، وإلى دورها الاقتصادي، كاهتمامها بالمشاريع العمرانية، وتكالبها على جمع الثروة الكبيرة، وإلى دورها الثقافي، مع اكتسابها العلوم والمعرفة والأدب والشعر، وإلى دورها الفني في الغناء والرقص، دون إغفال الدور القضائي.

لذلك، فمن الضروري إجراء مقارنة بين دور المرأة الحرة، ودور المرأة الجارية التي غلبت في المجتمع العباسي، للوصول إلى الدور الحقيقي للمرأة في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والفنية والاقتصادية والعلمية والأدبية.

٢- أهمية الموضوع:

لم يكن الهدف من هذا الموضوع، مجرد سرد أسماء النساء اللواتي أدّين دوراً معيناً في المجتمع العباسي الأول ثم الثاني، بقدر ما هو البحث عن الظروف التي مهدت للمرأة لأن تؤدي دوراً سياسياً وحضارياً، بعدما تركزت الدراسات حول دورها السياسي، وأغفل دورها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والفني والقضائي، هذا الدور الذي مكنها من النجاح حيناً أو الفشل حيناً آخر، لأن المرأة في بغداد في المجتمع العباسي الأول ثم في المجتمع العباسي الثاني، هي جزء من هذا النسيج الاجتماعي، ومن هنا تبدو أهمية الموضوع الذي اخترت له عنوان:

التطور التاريخي دور المرأة في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤ هـ / ٧٥٠-٩٤٥ م)

٣-تقويم المصادر التي تحمل اسم المرأة:

هناك العديد من المصادر العربية التي تحمل اسم النساء أو الجواري أو القيان أو الإماء. مثل " بلاغات النساء" الذي وضعه ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م)، و "المرجانة في أخبار النساء" لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، و "الحدائق الغناء في أخبار النساء" للمالكي (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) و"سير النساء" للذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، و "الروضة الفحاء في تواريخ النساء" لياسين خطيب العمري، و "أخبار النساء" لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، و "الكنس الجواري في الحسان من الجواري" للخزرجي (ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م) و "ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار" لابن القطعة. وهذه المصادر جميعاً لا تتعلق بالمرأة الجارية في العصر العباسي، بل تتعلق مباشرة بالنساء وأخبارهن في صدر الإسلام والعصر الأموي.

أما المصادر التي تتعلق مباشرة بالمرأة الجارية في بغداد في العصر العباسي الأول أو العصر العباسي الثاني، فأهمها كتب الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م) وهي: "القيان"، "الإماء الشواعر"، و"الأغاني" الذي يعد من آثار العرب الأدبية، وهو تاريخ للموسيقى العربية منذ العصر الجاهلي حتى منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهو موسوعة تاريخية وشعرية واجتماعية، يمكن الاستفادة منه لدور المرأة الجارية في بغداد.

وكذلك كتاب "نساء الخلفاء" لابن الساعي (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٦م)، و "نزهة الجلساء في أشعار النساء"، و "المستظرف في أخبار الجواري" للسيوطي (ت ٩١١هـ - ١٥٠٥م) و "أشعار النساء" للمرزباني.

هذه المصادر التي تحمل اسم المرأة أو النساء أو الجواري، لا تفيد البحث كثيراً، لأنها نادراً ما تتحدث عن دور المرأة في العصر العباسي.

٤-المراجع السابقة التي تحمل اسم المرأة:

تطرقت العديد من المراجع العربية إلى دور المرأة في فترة محدودة من التاريخ العباسي، أو في موضوع محدد في الأدب أو في الغناء والموسيقى، مثل كتاب المرأة في أدب العصر العباسي لواجدة مجيد عبد الله الأطرقي، وكتاب المجتمع العباسي (عن الجواري المغنيات

والموسيقى) لنشأت الخطيب، وكتاب الجواري لجبور عبد النور، وكتاب الجواري المغنيات لفايد العمروسي.

هذه المراجع التي تتعلق مباشرة بالمرأة، فتتطلب التروي والتأني، في قراءتها، لاستخلاص الأخبار المطلوبة لمقارنتها بما جاء في كتب القاضي التنوخي أو المصادر الأخرى، لأن واضعي هذه المراجع، يتحدثون بشكل عام عن المرأة، دون تحديد تاريخ الفترة في سياق الحديث، ما يتطلب مزيداً من التدقيق في كتب الأعلام، مثل "الأعلام" للزركلي، و"أعلام النساء في العالمين العربي والإسلامي" لعمر رضا كحالة. ومن هذه المراجع التي تتعلق بالمرأة: "الدرر المنثور في طبقات ربات الخدور" لزينب فواز العاملي، و"سيدات البلاط العباسي" لمصطفى جواد، "نساء لهن في تاريخ الإسلام نصيب" لعلي إبراهيم حسن، و"نساء شهيرات من تاريخنا" لأحمد سويد، "النساء العربيات"، لكرم البستاني، "المرأة في حضارة العرب" لمحمد جميل بيهم، و"الجواري" لجبور عبد النور، و"الجواري المغنيات" لفايد العمروسي وسواها.

ويمكن الاستفادة من بعض المراجع المعربة التي تتعلق مباشرة بالمرأة مثل كتاب "النساء الحاكمات في التاريخ" لبدرية أوجوك آن، و"السلطانات المنسيات- نساء رئيسات دولة في الإسلام" لفاطمة المرنيسي.

وهناك أطروحة دكتوراه أعدتها سوزي محمد حمود في كلية الآداب- جامعة بيروت العربية عام ٢٠٠٨، بعنوان: دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في البلاط العباسي الثاني (٢١٨-٣٣٤هـ/٨٣٣-٩٤٥م)، وهي محددة في فترة العصر العباسي الثاني فقط.

٥- المصادر التي لا تحمل اسم المرأة:

إن أهم المصادر التي تتعلق مباشرة بالعصر العباسي، ويمكن الاستفادة منها، كتابا القاضي التنوخي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م): "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" وهو في ثمانية مجلدات تضم ٢٨٥٩ صفحة تحكي قصص من عاصروه، و"الفرج بعد الشدة" وهو في خمسة مجلدات تضم ١٩٧٧ صفحة تحكي قصص من سبقوه، من أهم المصادر العربية التي تقدم المزيد من المعلومات عن العصرين العباسي الأول والثاني لأنهما معاً يقدمان صورة عن

المجتمع العباسي منذ قيام الدولة العباسية عام (١٣٢هـ/٧٥٠م) حتى نهاية العصر العباسي الثاني عام (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، وبخاصة دور المرأة التي لم تكن أساساً موضوع هذين الكتابين للقاضي التتوخي اللذين غلب عليهما أخبار الملوك والخلفاء والوزراء والقضاة وسائر طبقات المجتمع العباسي، بما في ذلك المرأة التي يمكن النّش عن أخبارها في مجلدات هذين الكتابين الثلاثة عشر، للعثور على أخبار جديدة وطريقة تتعلق بها.

وحتى تكتمل الأطروحة عن دور النساء في العصر العباسي، ارتأيت العودة إلى الروايات المتعددة من المصادر المختلفة مثل "أنساب الإشراف" للبلاذري المتوفى سنة (٢٧٨هـ/٨٩٢م) وفيه روايات مهمة في تاريخ الأسرة العباسية، و"تاريخ يعقوبي" المتوفى سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) وهو معاصر للأحداث التي يرويها حتى خلافة المعتمد العباسي، و"تاريخ الأمم والملوك"، للطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ/٩٢٣م) وقد زار بلداناً كثيرة قبل أن يستقر به المقام في بغداد حتى وفاته، وتعتبر موسوعة تاريخية مهمة، وأفرد خاتمة خاصة لما جرى من أحداث في كل سنة أرخ لها.

وكذلك لا يمكن إغفال كتاب "التنبيه والإشراف"، للمسعودي المتوفى سنة (٣٤٦هـ/٩٥١م) ويتناول تاريخ مختصر لسير الخلفاء حتى المطيع العباسي، كما يتناول في كتابه الآخر: "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، قصة العباسية أخت الرشيد ونكبة البرامكة، و"تجارب الأمم" لمسكويه المتوفى سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) يتناول تاريخاً مفصلاً للدولة العباسية أثناء النفوذ البويهى مع تركيزه على عهد المقتدر العباسي، و"تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، و"المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" لابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ/١٢٠١م)، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان المتوفى سنة (٦٨١هـ/١٢٨١م) ويحتوي على تراجم للعباسيين، و"الوافي بالوفيات" للصفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) وهو من المصادر المهمة لشموليته في ذكر العباسيين.

والجهشياري (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م) هو أول من ألف من نوعه في تاريخ الوزراء، حينما وضع كتاب "الوزراء والكتاب"، وهو أشهر كتبه فقد كان أبوه عبدوس الجهشياري حاجب علي بن

عيسى وزير الخليفة المقتدر بالله قبل أن تولى بنفسه الحجابة لعلي بن عيسى لما انضم إلى حامد بن العباس حينما تقلد الوزارة سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م).

وكذلك كتاب "تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء" للصابئ (ت ٤٤٨هـ/١٤٠٦م)، وهو في ذلك يحذو حذو الجهشيارى قبله، فوصل به كتاب "الوزراء والكتاب" للجهشيارى إلى سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م).

ويعتبر أبو بكر الصولي (ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م) من أبرز المؤرخين في نهاية العصر العباسي الثاني، فكان مقرباً من الخليفة الراضي بالله الذي تتلمذ عليه قبل أن يلي الخلافة، وهذا ما دفعه لتصنيف كتاب "الأوراق في أخبار الخلفاء والشعراء"، وقد غطى فيه الفترة التي تشمل الخلفاء وأولادهم لغاية أيام ابن المعتز. ووصف الصولي بأنه أحد العلماء بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء، وقد اعتمد في كتابه منهجاً متقدماً على طريقة منهج الحوليات في التاريخ المعاصر، لذلك يعد "الأوراق" مجموعة نفيسة.

وكتاب "تاريخ الخلفاء" للسيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) الذي يعتبر من المؤرخين المتأخرين عن الفترة الزمنية لهذه الدراسة، إلا أنه جمع روايات تاريخية ومتنوعة في ذكره للسير الذاتية لكل خليفة عباسي، والحوادث التاريخية في عصره، وكان يروي بالإسناد. وهذا العنوان "تاريخ الخلفاء" وضعه قبلاً ابن يزيد (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م) لكتابه "تاريخ الخلفاء". وكذلك ابن العمراني (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م) لكتابه "الأنباء في تاريخ الخلفاء". ومثل هذه الكتب تحمل معلومة أو أكثر عن نساء الخلفاء في البلاط العباسي الثاني. ولا يختلف عنها كتاب "مختصر التاريخ" لابن الكازورني (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، وغير ذلك من مصادر التاريخ العام التي يحفل بها التراث العربي الإسلامي للعصر العباسي في الفترة الزمنية لهذه الأطروحة.

٦-المراجع التي لا تحمل اسم المرأة:

كما استفدت من كتاب "دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية" للمؤرخ الدكتور حسان حلاق الذي رسم في هذا الكتاب معالم الحضارة العربية والإسلامية بشكل عام، ومن كتاب "المجتمع العباسي" للدكتورة نشأت الخطيب، وكتاب "الدولة العباسية مراحل تاريخها وحضارتها"

للدكتورة سوزي حمود، وفيه معلومات كثيرة عن المرأة وعناوين فرعية تحمل دور المرأة في الفصول الأول والرابع والسابع والتاسع وكتاب الصراع بين العرب وتسلط غير العرب في الدولة العباسية للدكتور عصام شبارو، وفيه أيضاً عناوين فرعية تحمل دور المرأة في الفصلين الأول والثاني.

بالنسبة للمراجع باللغة الإنكليزية، لا يوجد سوى مرجع واحد عنوانه يتعلق مباشرة باثنتين من نساء الخلفاء في البلاط العباسي الأول، وليس البلاط العباسي الثاني، وهما الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد والسيدة زبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين، وعنوان الكتاب "المرأة والسياسة في الإسلام مع دراسة نموذجين من العصر العباسي: أم الرشيد وزبيدة زوجته" لنايبا آبوت. وقد ترجمه عمر أبو النصر في باريس سنة ٢٠١٠. أما المراجع الأخرى، المتعلقة بالبلاط العباسي، فنتطلب القراءة المتأنية للعثور على معلومة نسائية تتعلق بالبلاط العباسي الثاني، وهذا ليس بالأمر السهل، لأن هذه الكتب تتعلق بالعصر العباسي بشكل عام، وليس بالمرأة.

ولابد من الإشارة هنا بأنه مع كثرة المراجع العربية وقلة المراجع الأجنبية التي نقلت عن المصادر العربية بالنسبة لدور المرأة، فإن مجمل حديثها جاء عبارة عن شذرات وتلميحات، لذلك شعرت بقلّة إحاطة الكثير من الكتب الحديثة التي تناولت المرأة، وهذا الشعور انتابني وأنا أتفحص المصادر الأصلية لهذا الموضوع.

لكن أحداً لم يتطرق إلى تطور دور المرأة في العصر العباسي منذ نشأته سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م) حتى نهاية العصر العباسي الثاني سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م).

لذلك، كان لابد من البحث في المراجع التي تطرقت إلى المرأة في مختلف العصور، للحصول على بعض المعلومات التي تغني هذه الأطروحة، مثل: "المرأة عبر التاريخ" لحسن محمد جوهر، "ونساء لهن في تاريخ الإسلام نصيب" لعلي إبراهيم حسن، "والمرأة في جميع الأديان والعصور" لمحمد عبد المقصود، "والدر المنثور في طبقات ربات الخدور" لزينب فواز، "والنساء الحاكمات في التاريخ" لبدرية آجوك آن، "والسلطانات المنسيات، نساء رئيسات دولة في الإسلام" لفاطمة الرمنيبي، "وأعلام النساء في العالمين العربي والإسلامي" لعمر رضا كحالة.

٧- تقسيم الأطروحة:

ارتأيت تقسيم الأطروحة إلى مقدمة وتمهيد وسبعة فصول وخاتمة، فضلاً عن الملاحق ولائحة المصادر والمراجع. ووجدت من الضروري وضع مقدمة واستنتاجات في كل فصل من الفصول السبعة، لأن هذه الاستنتاجات تمهد لوضع الخاتمة.

يتحدث الفصل الأول عن تطور الأوضاع السياسية والعسكرية (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م)، من الهيمنة الفارسية في العصر العباسي الأول إلى النفوذ التركي العصر العباسي الثاني، تمهيداً للتطرق إلى تطور دور المرأة.

والفصل الثاني يتناول تطور دور المرأة السياسي، من خلال نماذج مثل الخيزران أول امرأة جارية من أمهات الخلفاء تستبد بالحكم في الإسلام، وزبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين، وقبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز، وحبشية أم المنتصر، ومخارق أم المستعين، وقرب أم المهدي، وفتيان أم المعتمد، وشغب أم المقندر.

والفصل الثالث عن تطور دور المرأة في الشعر والغناء، وقد شاركت المرأة الحرة إلى جانب المرأة الجارية في الشعر، بينما اقتصر الغناء على المرأة الجارية.

وتطرقت في الفصل الرابع إلى تطور دور المرأة في العلوم الدينية والزهد والتصوف، فضلاً عن موقف أمهات الخلفاء من النصارى، مع إلقاء الضوء على الزاهدات الصوفيات بشيراز، وتطور دور المرأة في الاعتزال.

وأفردت الفصل الخامس لتطور وضع المرأة في البيت والعمل، مع الإشارة إلى المعايير الجديدة لتجمل المرأة وزينتها، ومزاولة الجوّاري لمعظم الأعمال، مع تمسك المرأة الحرة بالتقاليد العربية.

ويتعلق الفصل السادس، بتطور مظاهر الغنى وأعمال الخير لدى المرأة العباسية، مع التطرق إلى ثروات زوجات الخلفاء والقهرمانات. دون إغفال مظاهر الترف والبذخ في حفلات زواج الخلفاء، ودور المرأة في الأعمال الإنسانية والصحية.

أما الفصل السابع والأخير، فيتناول أشهر قصص عشق المرأة الحرة والجارية، من قصص العشق التي تنتهي بموت العاشق أو بجنونه، إلى قصص العشق التي تؤدي إلى مرض لا شفاء منه إلا بزواج العشاق.

وتضمنت الأطروحة ثمانية ملاحق، توضح بعض الجوانب المهمة في الفترة الزمنية للعنوان (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م) فوضعت ملحقاً لأسماء الخلفاء العباسيين، وملحقاً لأسماء أمهات الخلفاء في تلك الفترة. كما وضعت ملحقاً عن علاقة الوزير علي بن عيسى بشغب، وملحقاً عن إسراف شغب، وملحقاً عن نهاية شغب على يد الخليفة القاهر.

وأرجو أن أكون قد وفقت في عملي المتواضع هذا،

وما توفيقي إلا بالله.

تمهيد

التطور التاريخي لدور المرأة في صدر الإسلام والدولة الأموية

أولاً: المرأة في صدر الإسلام

ثانياً: المرأة في الدولة الأموية

(٤١-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م)

إن التطرق للتطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م)، وهو عنوان هذه الأطروحة، يتطلب لمحة موجزة عن التطور التاريخي لدور المرأة قبل العصر العباسي، وتحديدًا في صدر الإسلام والدولة الأموية، بهدف التمهيد لهذا التطور التاريخي في العصر العباسي دون إغفال المرأة في الأندلس المعاصرة للمرأة العباسية.

أولاً: المرأة في صدر الإسلام

رفع الإسلام من مكانة المرأة بصورة عامة وكانت نظرته إليها إنسانية.... فقد ساوى بينها وبين الرجل، بقوله تعالى^(١): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

ودفع الإسلام عن المرأة اللعنة التي ألصقتها المعتقدات السابقة، في أنها أغوت آدم فأخرج من الجنة، وجعلهما مشتركين في الغواية والذنب، بقوله تعالى^(٢): ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَسَاعٍ إِلَى حِينٍ﴾.

وعمل الإسلام على النهي عن التشاؤم والحزن لولادتها وحرَم وأدها، بقوله تعالى^(٣): ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

وكرم الإسلام مقامها زوجة بقوله تعالى^(٤): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْزُلًا جَا لِسُنُكُنَا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

وقد حث على تعليمها وأعطاهها حق الإرث أمَّا وزوجة وبنات، ونظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه واستبداده في أمرها، فجعل له حداً لا يتجاوزه، وجعل له عدة تتيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوثاق.

وأسبغ الإسلام على المرأة مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها وكافة علاقاتها الاجتماعية.

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٦.

(٣) سورة التكوين، الآية: ٨-٩.

(٤) سورة الروم الآية: ٢١.

وبرز العديد من النساء في المجتمع الإسلامي الجديد وفي طليعتهن، السيدة خديجة الكبرى^(١)، زوجة النبي محمد (ﷺ) التي كانت أول من آمن بالله ورسوله وساندت الرسول بنفسها وبمالها، والسيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) التي عرفت بنشاطها الديني والسياسي والتي شاركت في الفتيا وروى عنها ١٢٠٠ حديث^(٢) والسيدة فاطمة (رضي الله عنها)^(٣) بنت النبي محمد (ﷺ)، وقد اشتركت مع أبيها في فتح مكة وحجة الوداع وروت بعض الحديث عنه، والسيدة سكينة بنت الحسين (رضي الله عنها) الشاعرة التي اشتهرت ندواتها والتي كانت تحسن نقد الشعراء والمفاضلة بينهم عن علم وذوق، ومثلها عائشة بنت طلحة الأدبية العالمة التي عرفت بجمالها وعفتها، وأخبارها مع الشعراء كثيرة ولها مجلس معروف عند هشام بن عبد الملك تجلى فيه علمها أمام شيوخ أمية^(٤).

وفي ساحات القتال والبطولة برزت خولة بنت الأزور التي أبلت أحسن البلاء يوم أسرت النساء في موقعه (صحورا) فأثارت نخوتهن ولم يكن من السلاح معهن شيء إلا عمد الخيام إلا أنها استطاعت بشجاعته أن تنقذ النساء من أيدي الروم وخرجت وهي تقول:

نحن بنات تباع وحمير
لأننا في الحرب نار تسعر
وضربنا في القوم ليس ينكر
اليوم تسقون العذاب الأكبر

ومثلها ازده بنت الحارث بن كلده^(٥) التي خاضت ساحات الوغى بكل بسالة ورياسة جأش مع نساء المحاربين الذين خرجوا للجهاد.

ومن المحدثات الفاضلات والمجاهدات الجليلات أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية وكانت من ذوات العقل والدين والشجاعة والخطابة حتى لقبوها بـ "خطيبة النساء"^(٦).

(١) عمر كحالة: أعلام النساء، المطبعة الهاشمية، دمشق، طبعة ثانية، ١٩٥٩، ج ١، ص ٣٢٦.

(٢) المرجع نفسه، ج ٣، ص ٩.

(٣) المرجع نفسه، ج ٤، ص ١٠٨.

(٤) المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٣٧.

(٥) المرجع نفسه، ج ١، ص ٤١.

(٦) المرجع نفسه، ج ١، ص ٦٦.

ظلت مكانة الحرائر في صدر الإسلام، والعصر الأموي مكانة تطفئ على مكانة الجواري... وكانت هناك بعض الأمور التي تفرق بين منزلة الحرائر والإماء. فالحجاب مثلاً فرض على الحرائر دون الإماء، حتى يعرفن أنهن حرائر فلا يتبعن، وذلك بقوله تعالى^(١):

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيزٍ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

وكان المسلمون لا يرون بأساً بأن تنتقل المرأة إلى عدة أزواج لا ينقلها عن ذلك إلا الموت ما دام الرجال يريدونها^(٢) واعتبرت معاودة المرأة للزواج بعد أن تمضي عدة وفاة زوجها أو عدة طلاقها أمراً طبيعياً لا ينكره أحد. قال تعالى^(٣): ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وهناك عدد كبير من عقائل المسلمين وسيدات المجتمع ممن عرفن بالجمال والخلق ورجاحة العقل وجزالة الرأي قد تزوجن من سادات المسلمين وسراتهم منهن:

عاتكة بنت زيد بن عمر^(٤) التي تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم الزبير بن العوام ثم الحسين بن علي، وعائشة بنت طلحة^(٥) التي تزوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ثم مصعب بن الزبير ثم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وأسماء بنت عميس^(٦) التي كانت عند جعفر بن أبي طالب فلما قتل تزوجها أبو بكر الصديق فلما مات تزوجها علي بن أبي طالب.

وكانوا كثيراً ما يحسبون لرأي الفتاة حساباً في موافقتها على الزواج، فيأخذون رأيها في خطابها فيعددون لها الحسب والنسب ويذكرون المكارم والصفات ويصفون الأخلاق والطباع. وكانت الفتاة الحرة تربي على حسن معاشره الزوج وطاعته وفهم جوانب نفسه، كما تربي على المجالسة والمنادمة وتروى الشعر^(٧) وتحفظ الأحاديث والنوادر وقد تعلم العلوم والفقه.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

(٢) واجدة الأطرقجي: المرأة في أدب العصر العباسي، دار الرشيد- العراق، ١٩٨١، ص ٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣٤.

(٤) عمر كحالة: أعلام النساء، ج ٣، ص ٢٠١.

(٥) المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٣٧.

(٦) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م): ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٢، ص ٦٤٧-٦٥٢.

(٧) ابن عبد ربه أبو عمر أحمد (ت ٣٢٨/٩٣٩م): العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، طبعة ثانية، ١٩٣٥، ج ٦، ص ١٠٤-١٠٥.

كان المسلمون في صدر الإسلام قريبين من البداوة فحرصوا حرص آبائهم على العرض وزادوا عليهم في التزام العفاف واعتباره من أشرف الخصال، لا خوفاً من القصاص فحسب وإنما تدينا وتقوى، إلا أن الموقف الإنساني للدين الإسلامي والنظرة إلى العلاقة بين المرأة والرجل عدلاً من سنة العرب بمنع تزويج الرجل من امرأة استحسنها وأحبها.

وتذكر كتب الأخبار والأدب عن العشاق في صدر الإسلام وعن أخبار عفافهم وشرفهم^(١)، وكيف أنهم كانوا يكتفون بالنظرة وبيت الشكوى وتناشد الأشعار وكانوا يعتبرون القبلة إثماً وزناً يجب التكفير عنهما^(٢).

وكان الغزل أغلبه موقوفاً على الحرائر العربيات، وكانت صورة المرأة في ذلك العصر صورة رائعة تمثل الجمال والحياء والعفة والعزة والعقل والإرادة^(٣).

ثانياً: المرأة في الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م):

أدى الفتح العربي الإسلامي في عصر الدولة الأموية إلى كثرة السبايا والجواري والأموال، وإلى تسرب أخلاق العجم إلى العرب، بسبب الامتزاج الاجتماعي والثقافي، لينعكس على وضع المرأة في العصر العباسي، لأن المجتمع الإسلامي في عهد الدولة الأموية، حافظ قدر المستطاع على التقاليد العربية، حذراً من محاولات العجم الهيمنة على المجتمع العربي، لتبرز ظاهرة السيطرة الفارسية في العصر العباسي الأول ثم النفوذ التركي في العصر العباسي الثاني.

بقي العرب في عصر الدولة الأموية سادة المجتمع، مع التعصب القوي للجنس العربي ضد الأجناس الأخرى، وقيل أن نافعاً بن جبير^(٤)، كان إذا مرت به جنازة وقيل عربي، صاح: يا قوماه! وإن قيل مولى، قال: مال الله يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء.

(١) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): المستطرف من أخبار الجواري، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٣، ج ٢، ص ١٤٦.

(٢) ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): عيون الأخبار، أربعة أجزاء، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٣، ج ٤، ص ٩٢-٩٤.

(٣) واجدة الأطرقي: المرأة في أدب العصر العباسي، ص ٣١.

(٤) نافع بن جبير من قریش: من كبار الرواة للحديث، تابعي ثقة من أهل المدينة، كان فصيحاً عظيم النخوة جهير المنطق يفخم كلامه وفيه تيه، وكان ممن يؤخذ عنه ويفتى بفتواه الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين طبعة ٦، بيروت ١٩٨٣، ج ٨، ص ٣١٦.

وكان بنو أمية لا يستخلفون بني الإمام، وقالوا لا تصلح لغير العرب^(١)، وربما كانت هذه هي نظرة الخلفاء أنفسهم حتى ولو كان أبناؤهم من الإمام أفضل من أبنائهم من الحرائر وأكثر منهم نباهة.

ثالثاً: المرأة في الأندلس

كانت المرأة تتمتع بمكانة عظيمة، لأنها شاركت في ميادين العلوم والثقافة والأدب. وامتازت الكثرات من النساء بالذكاء والتفكير وبعد النظر، وشاع صيتهن في سائر الأنحاء. فتقافة المرأة في الأندلس كانت عميقة ومتنوعة، وهذا الوصف حقيقة لا مبالغة فيها^(٢).

إن أحسن الأوضاع للمرأة عند العرب كانت تحظى به المرأة العربية في الأندلس، حيث كانت تتمتع بحرية كبيرة وانطلاقة واسعة بالقياس إلى مثيلاتها في باقي الأقطار العربية والإسلامية الأخرى. ونلاحظ من خلال المصادر الأدبية أيضاً والتاريخية المتعلقة بالأندلس أن المرأة هناك لعبت دوراً إنمائياً عظيماً. وقد ألف الأندلسيون فيها كتباً أشهرها "طوق الحمامة في الألفة والآلاف" لابن حزم وفيه يحلل طبيعة المرأة ويبوب عواطف المحبين تبويباً منظماً متماسكاً^(٣). وبين أيدينا أيضاً على سبيل المثال، أول موسوعة أندلسية، هي "العقد الفريد" لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م) والذي يكرس الفصل الحادي والعشرين منه للنساء.

كانت النساء العربيات المسلمات من الطبقات الأندلسية العليا أو النساء المرتبطات بهن بصورة من الصور، يتمتعن بمكانة رفيعة، حيث اعتبرت المرأة نداً للرجل، فكانت تقف معه على قدم المساواة وتقوقه أحياناً وتجمع الثروات. وكانت تعيش عيشة رغد وهناء. وتتمتع بالقوة والنفوذ فقد ساهمت في السلطة إلى جانب زوجها، وتصرفت بثروته وأملاكه الخاصة بحرية كاملة. لأنها كانت تتصف بالحكمة وبعد النظر بالإضافة إلى علو مقامها السياسية مما أفسح لها مجالات

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٦، ص ١٣٠.

(٢) مصطفى الشكعة، "قصود في الأدب الأندلسي"، دار العلم للملايين، طبعة خامسة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٤٧.

(٣) سهى محمود بعيون، إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر ملوك الطوائف، دراسة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، جامعة بيروت الإسلامية، ص ٤١٧.

الظهور^(١). وقد تدخلت في شؤون الدولة. ومن اللواتي ذكرهن لنا التاريخ بالتمجيد "صفية بنت عبدالله" الكاتبة التي تفرغت لنقل المخطوطات، واشتهرت ببراعتها في جودة الخط وجماله، في الإنشاء.

وقد وفدت المغنيات من المدينة إلى الأندلس عهد الأمير هشام الأول "الرضا"^(٢). (١٧٢-١٨١هـ/٧٨٨-٧٩٦م)، وقد بنى لهن قصر خاص أطلق عليه اسم "دار المدينيات" نسبة إلى المدينة المنورة^(٣)، عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) الذي اعتق الجارية "ثرة" وتزوجها، واشتهرت جاريته قلم الرومية، فقد كان مولعاً بسماع الشعر والأدب^(٤).

وأواخر العصر الأموي أدى الامتزاج بالعجم واختلاط الأنساب، إلى مبايعة أبناء الإماء، فكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك أول من تولى الخلافة من الهجاء، حيث قيل أن أمه من السبايا من نسل يزد جرد بن كسرى^(٥).

حافظت المرأة العربية في العصر الأموي إلى حد بعيد على مكانتها وعزتها في نفوس رجال الأسرة وفي المجتمع بصورة عامة.

وبقيت محافظة على هذه المكانة في مطلع العصر العباسي الأول، فأول خلفاء بني العباس، أبو العباس السفاح أمه عربية، وهي ريطا^(٦) بنت عبيد الله الحارثي، ولعل عروبة أمه كانت السبب في تقدمه على أخيه المنصور الذي كان يكبره في السن والذي أبلى بلاءً حسناً في تأسيس الدولة العباسية، لأن أم المنصور كانت بربرية اسمها سلامة^(٧).

(١) محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، دار النشر للجامعيين، بيروت، طبعة أولى، ١٩٦٢، ص ٢٦١.

(٢) حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، طبعة أولى، ١٩٨٩، ص ٣٠١.

(٣) المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٤٩، ج ٣، ص ١٣٦.

(٤) خالد الصوفي: تاريخ العرب في اسبانيا (جمهورية بني جهور)، دمشق ١٩٥٩، ص ١٧٣.

(٥) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ ١٣ جزءاً دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج ٤، ص ٢٧٥.

(٦) الطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م): تاريخ الأمم والملوك، دار التراث، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٦٠، ج ٧، ص ٤٧١.

(٧) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٦، ج ٣، ص ٢٠٩.

ومن خلفاء بني العباس الذين ولدوا من أمهات عربيات: المهدي بن المنصور فأمه أم موسى^(١) بنت منصور بن عبدالله الحميرية، ومحمد الأمين بن هارون الرشيد وأمه زبيدة^(٢) بنت جعفر بن المنصور.

وما لبث التأثير الفارسي أن اشتد، ليقوض الكثير من تقاليد المجتمع العربي في العصر العباسي الأول، ليندفع قسم من هذا المجتمع إلى الجري خلف المذات والملاهي، دون أن يمنع قسماً آخر من المجتمع من التمسك بالتقاليد العربية والالتزام بتعاليم الإسلام، على الرغم من تدفق القيان والجواري وحياة البذخ والترف، فقد دفع هؤلاء إلى عزل المرأة الحرة وحجبها عن المجتمع.

ومع ذلك، استمرت المرأة الحرة في نهل الأدب، فقد كان العصر العباسي عصر ازدهار حضاري شمل المرافق الحيوية في المجتمع كافة. ومما لا شك فيه أن الثقافة والآداب كانت من أهم الأمور التي عمها التقدم وشملها الازدهار، حتى صار الناس يقدرون الأشخاص بمقدار نصيبهم من العلوم والآداب.

وقد نتج عن ذلك أننا رأينا المرأة تتال قسطاً لا بأس به منها لتساير تيار العصر في ذلك، وقد استطاعت، رغم ما فرض عليها من حجر وحجاب، في أكثر الأحوال، أن تثبت جدارة واستحقاقاً، وأن تتبوأ منزلة لا يستهان بها.

كان النخاسون يهتمون كل الاهتمام، ويحرصون كل الحرص على تنقيف الجواري وتعليمهن صنوف الآداب والفنون لأن قيمة الجارية ومكانة النخاس بمقدار ما تتقنه الجارية من آداب وفنون ومعارف.

وكانت الجواري أنواعاً مختلفة.... فمنهن التي سببت بعد أن بلغت حداً من السن لا مجال إلى تعليمها وتخرجها في الفنون والآداب، أو تهذيبها بآداب المجتمع، وهذه يكون حظها من الرعاية قليلاً وشأنها في المنزل الذي تحل فيه هيناً.

(١) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: لطائف المعارف، مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٢٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٣٥٩.

وأخيراً، فإن التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي، ينطلق من الإسهام الذي قامت به المرأة في الدعوى العباسية التي هيأت للثورة العباسية وسقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م). فقد كانت المرأة تخرج من جميع الحلي والأساور وتقدمها دعماً للدعوة والثورة، كما فعلت أم الهيثم امرأة أبي عون، ومعاوية بنت عمرو بن سعيد خالة عامر، وأبو عون وعامر هما رجالات الدعوة العباسية.

الفصل الأول

تطور الأوضاع السياسية والعسكرية

(١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م)

أولاً: الهيمنة الفارسية في العصر العباسي الأول

(١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م)

ثانياً: النفوذ التركي في العصر العباسي الثاني

(٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م)

إن الفترة الزمنية لموضوع التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي، محدودة في حوالى القرنين من الزمان، (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م)، تمثل العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٩٤٥م)، تمثل العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٩٤٥م)، والعصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/٧٤٨-٩٤٥م).

لذلك، من المفيد منهجياً، التطرق في إيجاز، إلى الأوضاع السياسية في هذه الفترة، بهدف إبراز التطور التاريخي لدور المرأة.

أولاً: الهيمنة الفارسية في العصر العباسي الأول

(١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م)

يعتبر العصر العباسي الأول، بمثابة عصر القوة والازدهار. وكان أول الخلفاء العباسيين أبو العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح^(١) (١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م)، وأمه امرأة حرة "عربية" تدعى ربيعة بنت عبيد الله الحارثي.

لم يطمئن أبو العباس السفاح لأهل الكوفة^(٢)، فاتخذ "هاشمية الكوفة" القريبة من الكوفة مقراً له سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)^(٣)، ثم ما لبث أن بنى مدينة جديدة بجوار الأنبار عرفت بـ "هاشمية الأنبار" سنة (١٣٤هـ/٧٥١م)^(٤)، وظل مقيماً فيها حتى وفاته سنة (١٣٦هـ/٧٥٣م). فكانت الهاشمية الحاضرة الأولى للدولة العباسية وسميت كذلك نسبة إلى الجد هاشم بن عبد مناف^(٥).

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت ٢٣٠هـ/٨٥٤م): الطبقات الكبرى، تسعة أجزاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ج ٥، ص ٣٥٢.

ابن العماد عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م): شذرات الذهب، في أخبار من ذهب، مكتبة القدس، القاهرة، ١٩٣٢-١٩٣١، ج ١، ص ١١٣.

(٢) فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، جزآن. دار الشروق، عمان ١٩٩٨م، ج ١، ص ٣١.

إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، والدار الإفريقية العربية، بيروت، طبعة أولى، ١٩٨٩م، ص ٣١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٥١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٤٦٤.

(٥) اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م): البلدان، طبعة دي غويه، ليدن ١٨٩٢م، ص ١٣٧.

يعتبر أبو جعفر المنصور، المؤسس الحقيقي للدولة العباسية^(١) وباني قوتها (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٥م).

ويبقى أبرز أعماله، بناء الحاضرة الجديدة بغداد الذي استمر طيلة أربعة أعوام (١٤٥-١٤٩هـ/٧٦٢-٧٦٦م). فاختار موقع بغداد بين نهري دجلة والفرات، وخط المدينة على شكل مستدير وجعل لها سورين، أحدهما داخلي والآخر خارجي، وبنى داخل المدينة قصره والجامع^(٢) وجعل للمدينة أربعة أبواب، هي: باب الشام، باب خراسان، باب الكوفة، وباب البصرة.

وأطلق على هذه العاصمة الجديدة اسم "مدينة المنصور" نسبة إلى مؤسسها أبو جعفر المنصور، و"المدينة المدورة" نسبة إلى شكلها المستدير أو الدائري، و"مدينة السلام" أو "دار السلام" تشبها بالجنة. أما اسم بغداد، فلعله اسم فارسي يتألف من كلمتي "بغ" أي الله و "داد" أي عطية، فهي بذلك "عطية الله"^(٣).

كانت أم الخليفة المنصور جارية بربرية، تدعى "سلامة"، أما ابنه محمد المهدي الذي خلفه كانت امرأة حرة "عربية" تدعى أروى بنت منصور الحميرية.

يعد عهد محمد المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م)، عهد الرخاء الاقتصادي، وبدء تسلط المرأة على أمور الحكم، مع الجارية الخيزران التي تزوجها محمد المهدي، فأنجبا خليفتين توليا الحكم من بعده.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٥٩-١٧٨.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م): تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد الحافظ، مؤسسة الرسالة طبعة ثانية، بيروت ١٩٨٦، ص ٣٧.

ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٢١٣-٢٢٦.

(٢) ابن طباطبا، أبو جعفر محمد بن علي بن محمد بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر بيروت، ١٩٦٦م، ص ١٦٣.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، سبعة أجزاء، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٦م، ج ٣، ص ١٩٧.

(٣) الخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م): تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج ١، ص ٦٦.

الذنيوري، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م): الأخبار الطوال، دراسة وتوثيق عصام الحاج علي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م، ص ٣٨٣.

وإذا كانت الخيزران، قد خسرت نفوذها زمن خلافة ابنها موسى الهادي التي لم تستمر أكثر من سنة واحدة وشهرين (١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م)، إلا أنها تمكنت بالتنسيق مع البرامكة الفرس، من استعادة نفوذها، مع خلافة ابنها الثاني هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) الذي عرفت معه الدولة العباسية عصرها الذهبي من ناحية، والنفوذ الفارسي مع البرامكة من ناحية أخرى، حينما فوض أمور الخلافة إليهم طيلة سبعة عشر عاماً (١٧٠-١٨٧هـ/٧٨٦-٨٠٣م) قبل أن تحل بهم نكبة البرامكة ليتولى هارون الرشيد أمور الحكم بنفسه في الأعوام الأخيرة من عهده.

برز اسم زبيدة في عهد زوجها الخليفة هارون الرشيد، ثم في عهد ابنها محمد الأمين الذي امتد طيلة خمس سنوات فقط (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م)، وطغت عليها الحرب الأهلية (١٩٥-١٩٨هـ/٨١١-٨١٣م) بين الأخوين الأمين والمأمون، نتيجة إجراء الرشيد بتقسيم الخلافة^(١) بين الأمين وأمه امرأة عربية حرة، وبين المأمون وأمه جارية فارسية تدعى مراجل^(٢)، وتكريس هذا التقسيم بتسجيل إجراء الرشيد وتعليقه في الكعبة في مكة المكرمة^(٣).

وانتهت حرب الأخوين الأمين والمأمون، بمقتل الأول، وتولى الثاني الخلافة العباسية (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)

ازدهرت النهضة الفكرية والعلمية عهد المأمون، نتيجة اهتمامه بجمع تراث الأمم القديمة وخاصة التراث اليوناني، وإرساله البعثات العلمية إلى القسطنطينية حاضرة الدولة البيزنطية وقبرص، فنقل نفائس الكتب العلمية إلى بيت الحكمة الذي أنشأه في بغداد^(٤).

بوفاة المأمون، خلفه أخوه المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) وام المعتصم امرأة تركية من مولدات الكوفة تدعى ماردة. كان المعتصم بالله عسكرياً محترفاً قوياً شجاعاً،

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٢٩٠.

(٢) أمل كوسا: دور المرأة في المجتمع العباسي من خلال كتب القاضي التنوخي.

أطروحة دكتوراه، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٨، ص ٣١.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٣٠.

(٤) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢١٦.

أكثر من استخدام الجنود الأتراك^(١) وتفضيلهم على سائر العناصر الأخرى، وأسكنهم العاصمة بغداد، مستغنياً عن الجنود العرب. وصل عدد الأتراك إلى ما لا يقل عن سبعين ألفاً.

ضاقَت بغداد بالجنود الأتراك بسبب كثرتهم وتزايد عددهم^(٢) وتكرر التصادم بينهم وبين أهل بغداد^(٣) الذين يمثلون بدورهم وحدة عسكرية تضم ما لا يقل عن خمسين ألفاً من الفرسان والمشاة العرب مسجلين في دفاتر الجند. وأهل بغداد، هم الذين أجبروا المعتصم على بناء حاضرة جديدة على دجلة شمال بغداد سنة (٢٢١هـ/٨٣٦م)، فعرفت باسم "سرور من رأى"، ثم اختصر الاسم إلى "سر من رأى"، ثم اختصر ثانية إلى "سامراء"^(٤).

ب وفاة المعتصم، خلفه ابنه وولي عهده هارون الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م)، فاتبع سياسة أبيه في الاعتماد على الأتراك الذين تزايد عددهم، مع ازدياد نفوذ قادتهم مثل: أشناس، وصيف، ابتاخ، وبغا الكبير. وب وفاة الواثق بالله انتهى العصر العباسي الذهبي وبدأ الانتقال إلى عصر جديد، هو العصر العباسي الثاني، أو عصر النفوذ التركي.

ثانياً: النفوذ التركي في العصر العباسي الثاني

(٢٣٢-٢٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م)

امتد العصر العباسي الثاني طيلة مائة وسنتين هجريتين/ثمان وتسعين سنة ميلادية (٢٣٢-٢٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م)، تعاقب خلالها ثلاثة عشر خليفة، هم: المتوكل على الله، المنتصر بالله المستعين بالله، المعتز بالله، المهدي بالله، المعتمد على الله، المعتضد بالله، المكتفي بالله، المقتدر بالله القاهر بالله، الراضي بالله، المتقي لله، والمستكفي بالله.

وجميع أمهات خلفاء العصر العباسي الثاني، هن غير عربيات، كما أن تسعاً من أصل ثلاث عشرة، هن روميات مثل: حبشية أم المنتصر بالله، قبيحة أم المعتز بالله، قرب "وردة" أم المهدي بالله، فتيان أم المعتمد على الله، ضرار أم المعتضد بالله، شغب أم المقتدر بالله وقيل

(١) اليعقوبي: البلدان، ص ٣٣٢.

(٢) مجهول: العيون والحدائق، ليدن ١٨٦٩م، ص ٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٦٥، ٤٦٦.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٦.

أنها تركية أيضاً، ظلوم أم الراضي بالله، خلوب "زهرة" أم المتقي لله، وأملح الناس أم المستكفي بالله. وهناك اثنتان فقط تركيات، هما: شجاع أم المتوكل على الله وقيل أنها خوارزمية، جيجك أم المكتفي بالله^(١) وواحدة صقلبية هي مخارق أم المستعين بالله، وواحدة بربرية هي فتنة أم القاهر بالله.

وقد غلب على هذا العصر، نفوذ القادة الأتراك، إلى جانب نفوذ النساء والخدم الذي تجلى بصورة واضحة عهد المقتدر بالله الذي استمر نحو ربع قرن من الزمان (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م). ففي هذا العهد، برز دور المرأة السياسي عبر السيطرة والنفوذ، على غرار ما فعلته الخيزران أم الهادي والرشيد في العصر العباسي الأول. دون إغفال نفوذ الأتراك المتعاضم يوماً بعد يوم، منذ أن استقدمهم المعتصم بالله سنة (٢٢٧هـ/٨٤١م)، وبنى لهم سامراء سنة (٢٢١هـ/٨٣٢م)، ليقتل المتوكل وهو أول خلفاء العصر العباسي الثاني، على أيديهم سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م)، في مؤشر واضح على بداية النفوذ التركي الفعلي في الخلافة العباسية.

حاول المتوكل على الله، الوقوف في وجه النفوذ التركي، بنقل العاصمة من سامراء إلى دمشق، لكن الأتراك أرغموه على العودة إلى سامراء^(٢). كما بنى مدينة جديدة سميت باسمه "الجعفرية" و "المتوكلية"، قرب سامراء التي كادت تخرب، على اثر انتقال المتوكل إلى مدينته الجديدة، ولعل ذلك من الأسباب التي دعت الأتراك لقتل المتوكل، وتولي ابنه المنتصر الخلافة، ليعود إلى سامراء معقل الأتراك.

أخذ الأتراك يسوقون الخلافة من خليفة إلى خليفة، ويبيعوا المستعين بالله الذي تحول، إلى مجرد ببغاء في قفص تحت سيطرة القائدين التركيين وصيفا وبغا، حسب قول الشاعر^(٣):

خليفة في قفص	بين وصيف وبغا
يقول ما قال له	كما تقول الببغا

استمر النفوذ التركي عهد المعتز بالله الذي توصلت امه قبيحة إلى ثروة كبيرة، نتيجة نفوذها وصلاتها، وقيل أن ثروتها بلغت مليوناً وثمانمائة ألف دينار^(٤).

(١) أمل كوسا: دور المرأة في المجتمع العباسي، ص ٣٤.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤-٣.

(٣) محمد الخضري بك: الدولة العباسية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٦٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣٤١-٣٤٢.

حاول المهتدي بالله، أن يعيد للخلافة العباسية هيبتها ونفوذها، لكنه ما لبث أن قتل على يد الأتراك، فلم تستمر خلافته أكثر من أحد عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٩-٨٧٠م).

حاول المعتضد بالله، ولعله بتأثير من أمه الرومية "ضرار"، إصلاح الخلافة في فترة خلافته التي استمرت تسع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م). فأصلح نظام جباية الخراج^(١)، واهتم بتوسعة المسجد الحرام طيلة ثلاث سنوات (٢٨١-٢٨٤هـ/٨٩٤-٨٩٧م). كما أمر بنقل مركز الخلافة من سامراء إلى بغداد سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، ما يعني أن سامراء استمرت عاصمة للخلافة العباسية طيلة ثمان وخمسين سنة هجرية/ست وخمسين سنة ميلادية، خربت بعدها. وعادت بغداد إلى عز ازدهارها، وأوشكت الخلافة العباسية أن تستعيد قوتها ومجدها، بعدما بنى المعتضد فيها دار الخلافة، وهو أول من سكن هذه الدار منذ بنائها حتى سقوط الخلافة العباسية^(٢).

عادت مظاهر الضعف مع عهد المكتفي بالله الذي استمر طيلة ست سنوات وستة أشهر وتسعة أشهر وتسعة عشر يوماً (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م).

ويعتبر وصول المقتدر بالله إلى منصب الخلافة سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م)، بدعم كامل من أمه السيدة شغب التي عرفت كيف تتسق مع القادة الأتراك، بمثابة تحول في مسار الخلفاء العباسيين. فقد كان المقتدر بالله أصغر الخلفاء العباسيين الذين تولوا الخلافة حتى ذلك الحين، وكان عمره لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة وشهرين، وهو يعبر عن المواصفات الضعيفة التي أرادها الأتراك لكل خليفة جديد، حتى يظل ألعية في أيديهم^(٣).

ولا غرو، أن يشكل عهد المقتدر بالله، أو عهد نفوذ النساء برئاسة أمه السيدة شغب، سقوطاً ملحوظاً لمنصب الخليفة، مع انهيار الوزارة تؤخذ بالرشوة، حتى بلغ عدد وزراء عهد

(١) محمد الخضري بك: الدولة العباسية، ص ٣٠٩.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، أربعة عشر جزءاً، مكتبة المعارف، بيروت، طبعة رابعة ١٩٨١م، ج ١١، ص ٦٦-٦٩.

(٣) مسكويه، أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق ه.ف. آمدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر (١٩١٤م)، ج ١، ص ٣.

المقتدر اثني عشر وزيراً في خمس عشرة عملية تعيين، منها ثلاث مرات للوزير علي بن الفرات، ومرتان للوزير علي بن عيسى. كما تولى الوزارة كل من: محمد بن عبيد الله بن خاقان، حامد بن العباس، عبدالله بن محمد بن خاقان، أبو سليمان بن الحسن، أبو القاسم الكلوزاني، والحسين بن القاسم.

وفي ظل هذا الواقع المتردي سياسياً واقتصادياً، انتهى المقتدر بالله قتلاً، وصودرت أمه السيدة شغب التي كانت تملك أموالاً عظيمة تفوق الإحصاء^(١)، وعذبت حتى ماتت^(٢)، وذلك كله على يد القاهر بالله أخي المقتدر بالله.

تولى القاهر بالله الخلافة طيلة سنة واحدة وستة أشهر وستة أيام (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م)، دون أن يكثرث للمرأة التي كانت تمثلها السيدة شغب أم أخيه المقتدر، أو لزوجات أخيه المقتدر، فصادر أموالهن. وبعدما بالغ في سفك الدماء، خشي القادة الأتراك على أنفسهم، فقبضوا عليه، وسمّلوا عينيه، لينتهي به الأمر أعمى يتسول أمام المسجد الجامع في بغداد^(٣). علماً أن القاهر بالله هو أول خليفة سملت عيناه^(٤).

استمر الفساد في عهد الراضي بالله الذي استمر طيلة ست سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م)، نتيجة سيطرة النساء والجند، وكثرة الرشاوى للحصول على الوزارة^(٥).

حاول الراضي بالله إصلاح الإدارة، دون جدوى، مع ابتداعه منصب أمير الأمراء الذي تولاه القائد التركي أبو بكر محمد بن رائق سنة (٣٢٤هـ/٩٣٦م)، فتراجع منصب الوزير مع إعطاء صلاحياته لأمير الأمراء^(٦) الذي لم تعد معه الوزارة العباسية وظيفه عليا خاضعة لسلطة

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م): المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ثمانية عشر جزءاً، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج ١٣، ص ٣٢١.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٣) مسكويه: تجارب الأمم، ج ٢، ص ٨١.

(٤) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ثلاثة أجزاء، القاهرة، طبعة ثانية، ١٩٦٤م، ج ١، ص ٣٠.

(٥) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٥٤-٢٥٥.

ال خليفة، فأصبح الوزير مجرد كاتب خاص، والأمر والنهي لأمر الأمرء، فكثرت الروايات والقصص الخيالية الساخرة من الوضع المتردي الذي وصل إليه الوزير^(١).

وبذلك أدى أمر الأمرء الدور الأول في تعيين المتقي لله الذي استمرت خلافته ثلاث سنوات وأحد عشر شهراً (٣٢٩-٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م)، ثم المستكفي بالله الذي لم تستمر خلافته أكثر من سنة واحدة وأربعة أشهر (٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٥م). وقد شهد عهد كل منهما، أزمة اقتصادية خانقة، تولى معها القائد التركي توزون منصب أمير الأمرء الذي حاول الاستئثار بالسلطة والنفوذ، فتخلص من المتقي لله وسمل عينيه^(٢)، بمساعدة الجارية "حسن الشيرازية"^(٣). ويبيع المستكفي بالله خليفة، ولم تنفع محاولته، مع أمير الأمرء الجديد ابن شيرزاد، لإصلاح الأوضاع، كان أحمد بن بويه، يتحين الفرصة لدخول بغداد، وقد دخلها بالفعل في جمادى الأولى (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، ليبدأ معه العصر العباسي الثالث والنفوذ البويهي.

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١-١٩٧٣، ج ١، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢١٤.

(٣) آدم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جزآن.

ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة، بيروت والقاهرة، طبعة رابعة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج ١، ص ٣٩.

ثالثاً: استنتاجات

إن تطور الأوضاع السياسية والعسكرية في الفترة الزمنية الخاصة بعنوان الأطروحة، يشير إلى الهيمنة الفارسية في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م)، وهي الهيمنة التي حاول الخليفة هارون الرشيد القضاء عليها مع نكبة البرامكة بتأثير من زوجته العربية الحرة زبيدة التي أنجب منها الخليفة محمد الأمين الذي ما لبث أن قتل في الصراع مع أخيه عبدالله المأمون الذي أعاد الهيمنة الفارسية بتأثير من أمه الجارية الفارسية مارجل. علماً أن الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد كانت أول من ظهر نفوذها في العصر العباسي الأول.

وقد تطور النفوذ من الهيمنة الفارسية في العصر العباسي الأول إلى الهيمنة التركية مع نفوذ القادة الأتراك في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م) ويعود هذا النفوذ إلى الخليفة المعتصم بالله الذي أكثر من الاستعانة بالأتراك حتى شكلوا جيشاً كبيراً اضطر معه لبناء مدينة جديدة هي سامراء ليحمي أهل بغداد منهم.

وكان من أهم نتائج النفوذ التركي، أن كثر عدد الجواري، لتصبح جميع أمهات العصر العباسي الثاني من غير العربيات، بينهن تسع روميات، واثنان تركيات وواحدة صقلية وواحدة بربرية. وهذا الأمر أدى إلى نفوذ النساء إلى جانب نفوذ الأتراك، فبرزت أسماء: قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز، وضرار أم المعتضد، وشغب أم المقتدر.

الفصل الثاني

تطور دور المرأة السياسي

أولاً: الخيزران أول امرأة جارية من أمهات الخلفاء تستبد بالحكم في الإسلام
(١٥٨-١٧٣ هـ / ٧٧٥-٧٨٩ م).

- ١- نفوذها في خلافة زوجها محمد المهدي (١٥٨-١٦٩ هـ / ٧٧٥-٧٨٥ م).
- ٢- تضعضع نفوذها في خلافة ابنها موسى الهادي (١٦٩-١٧٠ هـ / ٧٨٥-٧٨٦ م).
- ٣- استعادة نفوذها مطلع خلافة ابنها هارون الرشيد (١٧٠-١٧٣ هـ / ٧٨٦-٧٨٩ م).
- ٤- وفاة الخيزران (١٧٣ هـ / ٧٨٩ م)

ثانياً: نفوذ المرأة الحرة زبيدة زوجة هارون الرشيد وأم محمد الأمين (١٦٥-
١٩٨ هـ / ٧٨١-٨١٣ م).

- ١- نفوذها بعد زواجها من هارون الرشيد (١٦٥ هـ / ٧٨١ م).
- ٢- نفوذها بعد وفاة الخيزران (١٧٣ هـ / ٧٨٩ م).
- ٣- دورها في نكبة البرامكة (١٨٧ هـ / ٨٠٣ م).
- ٤- دورها أثناء خلافة ابنها محمد الأمين (١٩٣-١٩٨ هـ / ٨٠٩-٨١٣ م).

ثالثاً: الدور السياسي لقبيلة زوجة المتوكل وأم المعز (٢٤٧-٢٥٥ هـ / ٨٦١-
٨٦٩ م).

- رابعاً: دور حبشية أم المنتصر بالله (٢٤٧-٢٤٨ هـ / ٨٦١-٨٦٢ م).
- خامساً: دور مخارق أم المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢ هـ / ٨٦٢-٨٦٦ م).
- سادساً: دور قرب أم المهدي بالله (٢٥٥-٢٥٦ هـ / ٨٦٨-٨٦٩ م).
- سابعاً: دور فتيان أم المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩ هـ / ٧٨٠-٨٩٢ م).

ثامناً: نفوذ شغب أم المقتدر بالله والقهرمانات (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م).

١- نفوذ السادة برئاسة شغب.

(أ) خاطف.

(ب) غريب الخال.

(ج) هارون بن غريب الخال.

(د) الحرة.

(هـ) دستنبويه.

٢- نفوذ القهرمانات في بغداد

(أ) فاطمة (٢٩٥-٢٩٩هـ/٩٠٥-٩١١م).

(ب) أم موسى الهاشمية (٢٩٩-٣١٠هـ/٩١١-٩٢٢م).

(ج) زيدان والإشراف على دار اعتقال الوزراء.

(د) نظم النصرانية.

٣- تدخل المرأة في القضاء.

(أ) ثمل صاحبة المظالم (٣٠٦هـ/٩١٨م).

(ب) مواجهة قاضي القضاة أبو جعفر لشغب.

٤- تدخل شغب في تعيين الوزراء وعزلهم.

(أ) عزل الوزير حامد بن العباس وقتله (٣١١هـ/٩٢٣م).

(ب) انقاذ الحاجب نصر القشوري من السجن.

(ت) القبض على الوزير علي بن محمد بن الفرات وقتله (٣١٢هـ/٩٢٤م).

(ث) القبض على الوزير علي بن عيسى (٣١٦هـ/٩٢٨م).

تاسعاً: استنتاجات

أولاً: الخيزران أول امرأة "جارية" من أمهات الخلفاء تستبد بالحكم في الإسلام
(١٥٨-١٧٣ هـ / ٧٧٥-٧٨٩ م).

كانت الخيزران^(١) زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد، أول امرأة من أمهات الخلفاء تستبد بالحكم في الإسلام، طيلة أربع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً (١٥٨-١٧٣ هـ / ٧٧٥-٧٨٩ م).

١- نفوذها في خلافة زوجها محمد المهدي (١٥٨-١٦٩ هـ / ٧٧٥-٧٨٥ م)
بدأت مكانة الخيزران منذ أن وجدت نفسها جارية في قصر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور^(٢) ليقدّمها إلى ابنه محمد المهدي.
بدأ نفوذ الخيزران، قبل تولي محمد المهدي الخلافة، وتحديداً منذ إنجابها ابنه موسى (الهادي) عام (١٤٦ هـ / ٧٦٣ م) ليشتد نفوذها بعد إنجابها ابنه الآخر هارون (الرشيد) عام (١٤٨ هـ / ٧٦٥ م).

استمرت خلافة المهدي طيلة عشر سنوات (السبت ٦ ذو الحجة ١٥٨ - الخميس ٢٢ محرم ١٦٩ هـ / تشرين الأول ٧٧٥ - ٤ آب ٧٥٨ م)، تمثل فترة انتقال بين عهد الشدة والقمع الذي ساد خلافة أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور، وعهد الاعتدال واللين الذي امتازت به أيامه.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٥٢.

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٣٠.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): تحفة المجالس ونزهة الجلساء، مصر ١٩٠٨، ج ٢، ص ٧٢.

الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٢) أبو جعفر المنصور (١٣٧-١٥٨ هـ / ٧٥٤-٧٧٥ م): هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبد القرشي الهاشمي، أمه سلامة البربرية، ولد سنة ٩٥ هـ / ٧١٣ م، بويع بالخلافة بعد وفاة أبو العباس السفاح، بنى مدينة بغداد.

الطبري: المصدر السابق، ج ٩، ص ١٥٩-١٧٨.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٤٨-٣٩٤.

أصبحت الخيزران سيدة القصر الأولى، مع مبايعة ابنها موسى لولاية العهد سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م)، وعندما عزم محمد المهدي على أداء فريضة الحج، عين ابنه موسى الهادي نائباً عنه في بغداد طيلة غيابه الذي استمر أكثر من ستة أشهر، فأصبحت الخيزران خلالها هي التي تدير شؤون الدولة وأصبحت مقصداً لذوي الحاجات عند الخليفة، فتدافعت المواكب على بابها من القواد والعمال وكل طامع في منصب وجاء على مرأى ومسمع من زوجها.

تابعت الخيزران مخططها الرامي إلى إحكام قبضتها نهائياً بحصر الخلافة في ولديها ولم يبق أمامها سوى مبايعة هارون الرشيد بولاية العهد بعد شقيقه الهادي. ولتحقيق هذا الأمر، عرفت كيف تتسق مع يحيى بن خالد البرمكي.

ونجحت الخطة، عندما أصدر الخليفة المهدي أمره بتعيين هارون والياً على الجانب الغربي من الدولة العباسية، بما فيه مصر والشام وأرمينية وأذربيجان على أن يكون يحيى بن خالد وزيراً له يدير شؤون ولايته ويكتب رسائله.

كما تم إرسال هارون على رأس حملة جديدة لقتال البيزنطيين في جمادى الثانية (١٦٥هـ/كانون الثاني ٧٨٢م)، وغاب ثمانية أشهر حقق خلالها انتصارات متلاحقة، رغم عدم تمكنه من فتح القسطنطينية. ثم عاد إلى بغداد في موكب عظيم، وقد ارتفعت مكانته، فكافأه والده الخليفة بولاية العهد بعد شقيقه الهادي في (رجب ١٦٦هـ/شباط ٧٨٣م)، ولقبه بـ هارون الرشيد^(١).

إن مسألة قضية ولاية العهد لشخصين هي سابقة في التاريخ العباسي، ومثل هذه المسألة تحتاج إلى بحث مستقل، ومن بين المبعدين أبناؤه من زوجته الحرة الأميرة من الأسرة الحاكمة، وهي ربيعة بنت أبي العباس السفاح مؤسس الخلافة العباسية، ففي عهد الخلافة الأموية، لم يكن يسمح مطلقاً لأبناء الجواري أن يصبحوا خلفاء، ولا يمكن أن يصل إلى الحكم إلا ابن امرأة حرة.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٥٠.

٢- تضعض نفوذ خلافة ابنها موسى الهادي^(١)

(١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م)

لم تستمر خلافة موسى الهادي أكثر من سنة واحدة وأربعين يوماً (٢٢ محرم ١٦٩- ١٥ ربيع الأول ١٧٠هـ/ ٤ آب ٧٨٥-١٤ أيلول ٧٨٥م)، كان خلالها العداء مستحكماً بين الهادي وأمه، ذلك أن الخيزران كانت لها الكلمة النافذة في عهد أبيه المهدي، فكانت تأمر وتنهي. فلما ولي الهادي الخلافة، وكان شديد الغيرة على النساء كره ذلك، ونهى أمه عن فعلها^(٢).

لقد كان من الصعب على الخيزران، أن تغير عاداتها السابقة في التسلط، ولم يشأ الهادي بدوره، مطلع عهده، أن يثير غضبها بإيقافها عند حدها، بل كان يكتفي بقوله لها بين الحين والآخر: "ما للنساء والتدخل بأمر الرجال"^(٣).

وبعد أربعة أشهر، من توليه الخلافة^(٤)، فإن الهادي، ضاق ذرعاً من تسلط أمه الخيزران، وتجمع المواكب أمام بابها^(٥)، وقد سألته أن يولي خاله الغطريف بن عطاء.

كان لا بد أن يطفح الكيل أخيراً عند الهادي لكثرة متطلبات أمه الخيزران، فأخذ يتبرم بها. ثم ان الخيزران كلمت ابنها الهادي ذات يوم في أمر فلم يجد إلى إجابتها فيه سبيلاً، فانصرفت الخيزران من عنده لا تعقل ما تطأ، ولم تتطرق عنده بحلو ولا مر بعدها^(٦).

ثم جمع الهادي قواده وخاصته في مجلس، إمعاناً في إبعاد أمه عن التدخل في شؤون أموره واستقبال أصحاب الحاجات^(٧).

(١) موسى الهادي (١٤٦-١٧٠هـ/٧٦٣-٧٨٦م): هو موسى بن محمد المهدي، الخليفة العباسي الرابع. ولد بالري سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م، وأمه الخيزران. تولى الخلافة بعد وفاة أبيه الذي حاول تقديم الرشيد عليه في ولاية العهد، لكن وفاته، جعلت الهادي يسرع إلى بغداد، وأخذ البيعة. رزق بتسعة، سبعة ذكر وابتنان. مات في عيساباذ سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، وله من العمر أربع وعشرون سنة، وكانت مدة خلافته سنة وأربعين يوماً. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٥٨.

زهير الكبي: موسوعة خلفاء المسلمين، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٢٠-٢١.

(٢) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٧٢.

(٣) الطبري: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٩٩.

(٤) ولیم الخازن: الحضارة العباسية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٤، ص ٥٨.

(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٧٩.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٨٧.

(٧) ابن طباطبا: المصدر السابق، ص ١٧٣.

شعر الخليفة موسى الهادي، بأنه مهدد بطموحات أمه الخيزران، وكان يغار كثيراً من شقيقه هارون الرشيد المحبوب جداً من مختلف طبقات المجتمع العباسي، وكان موضع تقدير وإعجاب لشجاعته في الحروب. لذلك حاول الهادي، في العديد من المناسبات، تجريد هارون الرشيد لقبه كولي للعهد كي يعطيه لابنه جعفر^(١). وقد فضل الرشيد الابتعاد عن شقيقه، فقلل من المناسبات التي يجتمع معه فيها، في حين فضلت الخيزران المواجهة، ووقفت إلى جانبها يحيى بن خالد البرمكي الذي عرف كيف يزيد من الكراهية بين الأم الخيزران وابنها الخليفة موسى الهادي.

ويبدو من موقف يحيى بن خالد البرمكي، وطاعة هارون الرشيد وأمّه الخيزران له، أنه يتصرف تصرف الوصي عليهما^(٢). وأنه اسهم بقوة في ازدياد الكراهية بين الخليفة الهادي وأمّه، ما جعل كل منهما يكد للآخر. وعندما شعرت الخيزران بأن الهادي قد يتخلص من هارون إن لم يمتثل لأمره، وقفت قبالتها، تدافع عن ابنها هارون^(٣).

شعر الهادي بدور يحيى بن خالد البرمكي في التدخل بينه وبين شقيقه هارون، فأمر بسجنه^(٤)، في الوقت الذي كان فيه يحيى قد دبر بإحكام المؤامرة لقتل الهادي، وعرض نفسه للخطر في سبيل خلافة هارون الرشيد. لذلك استدعت الخيزران ابنها هارون، وأخبرته بما جرى، فقصد الهادي في القصر الأبيض، وسجن بدوره.

يبدو ان هارون الرشيد، لم يكن على علم بالمؤامرة التي دبرها يحيى بن خالد البرمكي الذي كان قابلاً في سجنه، وهو مطمئن البال لنجاح المؤامرة. فقد اغتيل الهادي في يوم الخميس (١٥ ربيع الأول ١٧٠هـ/ ١٤ أيلول ٧٨٦م)، ولم تعلن وفاته إلا بعد ثلاثة أيام جرى خلالها إرسال الكتب بإسم هارون الرشيد إلى العمال في الأقطار يخبرهم فيها بموت شقيقه الهادي، ويطلب منهم أخذ البيعة من الناس له.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٧٩.

(٢) عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد، شركة المطبوعات، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٠٣.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٩.

(٤) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٩هـ/ ٨٩٥م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، طبعة سادسة، بيروت،

وبعثت الخيزران بدورها إلى يحيى من أخرجه من السجن، فتوجه في الحال إلى القصر الأبيض، وأخرج هارون الرشيد من سجنه.

وسواء أكان الهادي مريضاً قبل اغتياله، أم أنه أطعم شيئاً أودى بحياته، فإن اغتياله خنقاً من قبل جوارى الخيزران بالغم والجلوس على وجهه^(١)، جعل المؤامرة تبدو وكأنها بإيعاز من الخيزران^(٢)، خوفاً على ابنها الأصغر هارون الرشيد من القتل، وحقداً على ابنها البكر الهادي الذي تمرد عليها، وشل نفوذها وسلطانها، وطمعاً في استعادة هذا النفوذ والسلطان. علماً أن مدبر المؤامرة الرئيسي هو يحيى بن خالد البرمكي الطامح بدوره إلى السلطة والنفوذ عبر تولية هارون الرشيد للخلافة.

٣- استعادة نفوذها مطلع خلافة ابنها هارون الرشيد

(١٧٠-١٧٣هـ/٧٨٦-٧٨٩م)

وثق هارون الرشيد^(٣) بأسرة البرامكة، وفوض إليهم أمور دولته، بتأثير من أمه الخيزران. ولا عجب إذا انصرف الناس إلى البرامكة ونظموا القصائد الرائعة في مدحهم والتغني بكرمهم الذي كان مضرب الأمثال. فقد عرف الوزير يحيى بن خالد البرمكي، كيف يشبع مطالب الخيزران وتلبية حاجاتها، ويستغلها في إبعاد العناصر الموالية للخليفة السابق الهادي، حتى عظمت ثروتها، في مطلع عهد ابنها هارون الرشيد، أي خلال ثلاث سنوات وشهر واحد سبقت

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٣٥١.

(٢) ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤، ج ٤، ص ١٧٤

(٣) هارون الرشيد (١٤٨-١٩٣هـ/٧٥-٨٠٩م): هارون أبو جعفر بن محمد المهدي، الخليفة العباسي الخامس. ولد في الري سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م، وأمّه الخيزران، تزوج زبيدة فولدت له محمد الأمين، وتزوج جارية تدعى مراجل، فولدت له عبد الله المأمون، وله من الأبناء الذكور أيضاً، القاسم أي المؤتمن ومحمد المعتصم، بويج بالخلافة بعد موت شقيقه الهادي، وكان عمره حين ولي اثنتين وعشرين سنة. مات بطوس في ٢ جمادى الثانية ١٩٣هـ/٢٢ آذار ٨٠٩م، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً، وكان عمره ستاً وأربعين سنة وخمسة أشهر.

الطبري: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٩، ٥٠، ٧٠، ٩٨، ٩٩. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٩١-١١٨.

وفاتها (الخميس ١٥ ربيع الأول ١٧٠- الجمعة ٦ جمادى الثانية ١٧٣ هـ/ ١٤ أيلول ٧٨٦-٢٠ تشرين الثاني ٧٨٩م).

تقلد يحيى بن خالد البرمكي منصب الوزارة من الخليفة هارون الرشيد الذي قلده أيضاً "لقب الأمير" ولم يكن أحد من الخلفاء السابقين قد فعل ذلك مع وزير من وزرائه، فكان يحيى أول من لقب "أميراً" من الوزراء الفرس في الدولة العباسية^(١).

عاش هارون الرشيد السنوات الثلاث الأولى من خلافته، في دعة وخلو بال، وغزو وحج واسفار، تاركاً أمر الدولة بين يدي وزيره يحيى بن خالد البرمكي، وإشراف أمه الخيزران واستشارتها^(٢). فعندما تولى يحيى الوزارة، لم يجد منافساً له عند الخليفة، إلا الخيزران، هذه المرأة العنيدة التي تهوى التدخل في الأمور العامة، وها هي تعود إلى ما كانت عليه أيام زوجها الخليفة المهدي، ولعله أكثر مما كانت عليه، لشعورها بأن ابنها الخليفة الشاب، ما زال قليل الخبرة والتجارب، وهو لا يتجاوز الثالثة والعشرين. لذلك شعر الوزير يحيى بدوره أنه لا بد من مساندة الخيزران واستشارتها في مصاير الأموال، حتى تضمن له جانب القصر، وتحول بينه وبين الخصوم. لذلك قيل أنه كان يستشيرها ويصدر عن أمرها^(٣)، كما قيل أنه كان لا يصدر إلا عن أمره بعد أن يقنع الخيزران بلباقته المعهودة. وكان يعلم مدى حبها لجمع المال، فأغدقه عليها دون حساب، واشترى لها القرى والبساتين^(٤).

وهكذا اجتمعت مصالح الخيزران مع غايات الوزير يحيى بن خالد البرمكي، وجد كل منهما في الآخر خير عون وسند لنجاحه. كما رأى هارون الرشيد في إشراف أمه الخيزران خير ضمان لحكمه، فأسند إليها زمامه وسار في ركابها، بعد أن منحها تلك السلطة المطلقة، والثقة العمياء التي لا يشوبها لا حذر ولا ريب، حتى ضاعت شخصيته بين طموح أمه الخيزران ودهاء وزيره يحيى بن خالد البرمكي^(٥).

(١) الجهشيارى أبو عبدالله محمد (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٣٨، ص ١٧٧.

(٢) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص ٧٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٧٠.

(٤) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، خمسة أجزاء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م، ج ٢، ص ٣٥.

(٥) الجهشيارى: المصدر السابق، ص ١٧٨.

٤- وفاة الخيزران

(١٧٣هـ/٧٨٩م)

توفت الخيزران ليلة الجمعة ٢٦ جمادى الثانية (١٧٣هـ/٢٠ تشرين الثاني ٧٨٩)^(١) عن عمر يناهز الخمسين سنة، إثر مرض لم يهملها طويلاً.

كان موكب تشييع الخيزران مهيباً للغاية، مشى فيه الخليفة هارون الرشيد، آخذاً بقوائم النعش، حافياً يدب على الطين والأوحال، لابساً جبة سعيدية وطيلساناً أزرق يلتف على جسمه بحزام عريض، حتى أتى "مقابر قريش". وكان الوزير يحيى بن خالد البرمكي، يسير فيه في مقدمة المشيعين وراء النعش، ومشى معه كبار القوم في بغداد، ليس لأن الخيزران كانت أم الخليفة هارون الرشيد فحسب، بل لما كان عليها من الأفضال على الكثيرين في قضاء الحاجات.

ثانياً: نفوذ المرأة الحرة زبيدة^(٢) (١٦٥-١٩٨ هـ / ٧٨١-٨١٣ م).

١- نفوذها بعد زواجها من هارون الرشيد (١٦٥هـ/٧٨١م)

يعود الفضل إلى الخيزران في إقناع هارون الرشيد بالزواج من زبيدة ابنة عمه جعفر ابن المنصور سنة (١٦٥هـ/٧٨١م)^(٣)، لتحظى عن طريقها بتأييد بني هاشم^(٤). وقد تم حفل الزفاف في مهرجانات ضخمة، وبلغت نفقاته ألف درهم^(٥)، باستثناء ما أنفقه الرشيد من ماله الخاص^(٦).

^(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٦٣.

^(٢) زبيدة (ت ٢١٦هـ/٨٣١م): اسمها أمة العزيز، وكنيتها أم جعفر، ولقبها "زبيدة" لقبها به جدها أبو جعفر المنصور لبياضها ونعومة بشرتها بعد ولادتها عام ١٤٩هـ/٧٦٦م، توفي والدها جعفر وهي في الثالثة من عمرها، فكفلها جدها، وبعد وفاته احتضنها عمها محمد المهدي، فأحببها الخيزران.

الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٧٣، ٧٠، ص ٣٥.

^(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٧٧.

^(٤) عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد، ص ٨١.

^(٥) الشابستي: الديارات، تحقيق كوريكوس عواد، مكتبة المثنى، بغداد، طبعة ثانية، ١٩٦٦، ص ١٠١.

^(٦) سوزي حمود: الدولة العباسية، مراحل تاريخها وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى،

وقد شعرت زبيدة بعظمة المرأة الجارية الخيزران، حينما اختارتها زوجة لابنها الرشيد أثناء خلافة والده محمد المهدي، وحينما أصبح هارون الرشيد خليفة، وكذلك أثناء موكب تشييع الخيزران سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م)، عندما خرج الرشيد حافياً يعدو في الطين ليصلي على أمه في مقابر قریش، منتهاً تقاليد الخلفاء بعدم إظهار الحزن علانية عند موت المقربين منهم^(١).

استطاعت المرأة الحرة زبيدة زوجة هارون الرشيد أن توطد مكانتها بعد إنجابها محمد الأمين سنة (١٧٠هـ/٧٨٧م)، لأنها إقننت أن ولاية العهد ستكون له. وكان الرشيد قد رزق قبل أربعة أشهر بابنه المأمون من جارية فارسية تدعى مراجل. ليبدأ الصراع بين التيار العربي الذي تمثلته المرأة العربية الحرة زبيدة وابنها الأمين، والتيار الفارسي الذي تمثلته المرأة الجارية الفارسية مراجل وابنها المأمون.

٢- نفوذها بعد وفاة الخيزران (١٧٣هـ/٧٨٩م)

ب وفاة الخيزران سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م) أصبحت زبيدة أقوى نفوذاً، سواء في عهد زوجها هارون الرشيد، أو في عهد ابنها محمد الأمين^(٢).

وما لبث هارون الرشيد أن رضخ لزوجته زبيدة والتيار العربي الذي تمثلته، وعهد بولاية العهد من بعده إلى ابنه محمد الأمين سنة (١٧٥هـ/٧٩١م)^(٣). لكن التيار الفارسي وعلى رأسه البرامكة تمكن سنة (١٨٢هـ/٧٩٨م) من إقناع الرشيد بجعل ولاية العهد الثانية لابنه المأمون بعد الأمين، على أن يتولى المأمون ولاية المشرق بعد وفاة أبيه الرشيد^(٤)، وهذا يعني تقسيم الخلافة إلى خلافتين.

واعتمد هارون الرشيد سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م)، ولاية العهد الثالثة مع ابنه الثالث القاسم "المؤمن" ليكون بعد المأمون. وقسم الدولة العباسية بين أولاده الثلاثة، فجعل الأمين على ولاية

(١) سوزي حمود، الدولة العباسية، ص ٦٥.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٣٣.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٥١.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٠.

الغرب التي تضم بلاد الشام ومصر والمغرب، وجعل المأمون على ولاية الشرق التي تضم خراسان والري وهمذان، أما المؤتمر فكان نصيبه الأصغر في الجزيرة والثغور^(١).

٣- دورها في إخراج أبي العتاهية من السجن:

كانت زبيدة تقرب أبا العتاهية الشاعر، لمدائه في ابنها الأمين.

وحدث له مرة أن مر (القاسم بن الرشيد) في موكب عظيم، وهو من أتية الناس، وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له، فلم يزل قائماً حتى جاز، فجازته ولم يلتفت إليه... فقال أبو العتاهية:

يتيه ابن آدم من جهله كأن رحا الموت لا تطحنه

فسمع بعض من في موكبه الشعر، فأخبر به القاسم، فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مفرعة وقال له:

- يا ابن الفاعلة! أتعرض بي في مثل ذلك الموضع؟

وحبسه في داره، فدسّ أبو العتاهية إلى زبيدة، وكانت توجب له حقه هذه الأبيات:

حتى متى ذو التيه في تيهه	أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم	وهم يموتون وإن تاهوا
من طلب العز ليبقى به	فإن عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه	من ليس يرجوه ويخشاه

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه، وكانت مائلة إليه، فرقت له، وأخبرت الرشيد بأمره، وكلمته فيه، فأحضره وكساه ووصله ولم يرض عن القاسم، حتى برأ أبو العتاهية وأدناه واعتذر إليه^(٢).

^(١) سوزي حمود: الدولة العباسية، ص ٧٢.

^(٢) نابيا آبوت: المرأة والسياسية في الإسلام، ترجمة عمر أبو النصر، دار بيبيلون، باريس، ٢٠١٠، ص ١٥١.

٤- دورها في نكبة البرامكة (١٨٧هـ/٨٠٣م)

يبدو أن زبيدة لم تقف مكتوفة الأيدي أمام دور البرامكة في جعل ولاية العهد الثانية للمأمون الذي يمثل مع امه مراحل التيار الفارسي، فوجدت ضرورة القضاء على نفوذ البرامكة، فأخذت تشكوكهم باستمرار عند زوجها الرشيد^(١)، لينتهي الأمر بنكبة البرامكة سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م) حينما أمر هارون الرشيد بالقبض عليهم ومصادرة أملاكهم وضياعهم، وسجن يحيى البرمكي، وأمر بقتل جعفر البرمكي الذي علقت جثته على أحد جسور بغداد، وبذلك تخلصت زبيدة من نفوذ البرامكة في الإدارة والمجتمع، ومن استبدادهم على الدولة، واحتجابهم أموال الجباية، وجمع الثروات الكبيرة التي فاقت ثروة الرشيد نفسه^(٢).

٥- دورها أثناء خلافة ابنها محمد الأمين

(١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٩-٨١٣م)

تابعت زبيدة دورها في مواجهة التيار الفارسي، بعد وفاة زوجها هارون الرشيد ومبايعة ابنها محمد الأمين بالخلافة سنة (١٩٣هـ/٨٠٩م).

ويعد محمد الأمين الهاشمي الوحيد أباً وأماً بين جميع الخلفاء الذين سبقوه باستثناء علي ابن أبي طالب وابنه الحسن عليهما السلام^(٣).

حظي الأمين محمد الأمين بدعم كبير من أمه زبيدة ووزيره الفضل بن الربيع اللذين يمثلان التيار العربي، بينما اعتمد المأمون على وزيره الفضل بن سهل وأهل خراسان الذين يمثلون التيار الفارسي. وهكذا ظهرت سريعاً السياسة الخاطئة التي اتبعها هارون الرشيد في تقسيم الدولة العباسية، فما إن بويع الأمين بالخلافة حتى بدأ الخلاف مع أخيه المأمون^(٤).

وإزداد الخلاف، مع تدبير زبيدة لمحاولة الأمين حصر ولاية العهد في ابنه موسى، بدلاً من أخيه الأمين، ولقبه "الناطق بالحق" سنة (١٩٥هـ/٨١١م)، ما أدى إلى إسراع المأمون إلى إعلان نفسه خليفة، وبويع في خراسان، وبدأت الحرب بينهما^(٥).

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج٦، ص ٢٧٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٢٨١، ٢٩٤.

(٣) محمد الخضري بك: الدولة العباسية، ص ١٥٢-١٥٣.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٥) سوزي حمود: الدولة العباسية، ص ٨٤.

وانتهى الصراع بين الأخوين، بمقتل الأمين في (٢٥ محرم ١٩٨ هـ/ ٥ ايلول ٨١٣ م)، ومبايعة المأمون بالخلافة.

وعاش موسى ابن الأمين في كنف جدته زبيدة حتى وفاته سنة (٢٠٩ هـ/ ٨٢٤ م) وعمره دون العشرين^(١). بينما توفت زبيدة سنة (٢١٦ هـ/ ٨٣١ م) قبل سنتين من وفاة المأمون.

ثالثاً: الدور السياسي لقبiche زوجة المتوكل وأم المعتز

(٢٤٧-٢٥٥ هـ/ ٨٦١-٨٦٩ م)

تعد قبiche أول امرأة في البلاط العباسي الثاني، تؤدي دوراً سياسياً مهماً. فهي زوجة الخليفة المتوكل على الله الذي سماها "قبiche" لجمال صورتها^(٢)، وهذا يعني أن اسمها لا يعكس أبداً صورتها الحقيقية، لأنه من أسماء الأضداد.

نجحت قبiche في جعل زوجها المتوكل يبايع ابنها المعتز بولاية العهد^(٣)، بعد أن كان يؤثر ابنه الآخر المنتصر على غيره من أبنائه، لذلك شب الخلاف بين المتوكل وابنه المنتصر. فاستغل القادة الأتراك هذا الخلاف، بعد محاولة المتوكل الوقوف في وجه نفوذهم، وبناء حاضرة جديدة "المتوكلية" ليقص نفوذ الأتراك في سامراء^(٤). وشارك المنتصر بالمؤامرة التي أعدها الأتراك لقتل أبيه، ليلة الأربعاء (٤ شوال ٢٤٧ هـ/ ١١ كانون الأول ٨٦١ م)، وببيع المنتصر بالله بالخلافة^(٥).

لم يحكم المنتصر بالله سوى ستة أشهر، وندم على مشاركته في مؤامرة قتل والده المتوكل، فعزم على التخلص من نفوذ الأتراك الذين أسرعوا وتخلصوا منه بدس السم له، فتوفي سنة (٢٤٨ هـ/ ٨٦٢ م)، ليتولى الخلافة المستعين بالله^(٦) طيلة ثلاثة أعوام وثمانية أشهر وثمانية

(١) زاهدة عبد الله عبد الرزاق: الخليفة العباسي محمد الأمين، ص ٣٤.

(٢) الثعالبي: لطائف المعارف، ص ٤٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٤) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٣٧.

(٥) سوزي حمود: الدولة العباسية، ص ١١٥.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٤٠.

وعشرين يوماً، وتم خلعه في (٤ محرم ٢٥٢هـ/ ٢٥ كانون الثاني ٨٦٦م). فنجحت قبيحة في جعل ابنها المعتز بالله خليفة بعده، وعين أخيه اسماعيل ولياً للعهد^(١) فاستمرت خلافة المعتز ثلاثة أعوام وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، أصبحت خلالها أمه قبيحة من أغنى السيدات. تحكمت قبيحة بأمور الدولة في عهد ابنها المعتز بالله الذي أخذت تحرضه على الأتراك انتقاماً لمقتل والده المتوكل^(٢). ولكن المعتز لم يستطع مواجهة الأتراك الذين طالبوا بالمال، فعجز عن الدفع، رغم أن أمه قبيحة بحوزتها الأموال والجواهر، فلم تمده بالمال، واختفت، بعد مقتل ابنها على يد الأتراك، (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م). وقيل أنها توجهت إلى مكة المكرمة^(٣)، ثم عادت إلى سامراء، وتوفت سنة (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م).

رابعاً: دور حبشية أم المنتصر بالله

(٢٤٧-٢٤٨هـ/ ٨٦١-٨٦٢م)

لم يحكم المنتصر بالله سوى ستة أشهر^(٤) أو سبعة أشهر^(٥)، وقد تتدم على اشتراكه مع الأتراك في مؤامرة مقتل أبيه المتوكل، فعزم على تفريق جمع القادة الأتراك، وأخذ يهددهم قائلاً: هؤلاء قتلة الخلفاء^(٦). وبذلك، خاف الأتراك على أنفسهم منه، فوجدوا الفرصة لقتله عند مرضه. فعلى الرغم من وقوف حبشية، وهي رومية، تزوجها المتوكل إلى جانب ابنها المنتصر بالله أثناء مرضه، كما وقفت إلى جانبه في مواجهة ضررتها قبيحة حتى أمنت الخلافة له، إلا أنها لم تستطع الوقوف في وجه القادة الأتراك الذين أوعزوا إلى طبيبه الخاص ابن الطيفوري، فسمه.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٣٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٠-١٩٧٢، ج ١، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٠٥.

(٤) المسعودي: التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٣٠.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣١٠.

الصفدي: الوافي بالوفيات، فيسبادن ١٩٦٢-١٩٨٤، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ١١٩.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ج ١٢، ص ١٦.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٧.

وقال المنتصر بالله لأمه حبشية، عندما اشتد عليه مرضه: "ذهبت والله مني الدنيا والآخرة"^(١)، عاجلت أبي، فعوجلت"^(٢).

وبوفاة المنتصر بالله، أصبح ابن عمه المستعين بالله خليفة، سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م)، وذلك بتدبير من القادة الأتراك، لكي لا يتولى الخلافة أحد من أبناء المتوكل، فيأخذ بثأر أبيه منهم^(٣).

خامساً: دور مخارق أم المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ / ٨٦٢-٨٦٦م)

كانت أم المستعين بالله صقلية تدعى مخارق، وقد تصرفت بأمر الدولة كيفما تشاء، في الوقت الذي ظل فيه ابنها المستعين ألعوبة في يد الأتراك، ففوض الأمور إليهم، وفي طليعتهم القادة: وصيف، بغا، باغر، وأتامش. كما فوض التصرف في أموال بيت المال إلى ثلاثة: أتامش التركي، وشاهك الخادم وأمه مخارق. فأسرف الثلاثة، وبخاصة أتامش في صرف الأموال حتى لم يبق شيئاً ببيت المال.

فقد تحول أتامش إلى وزير المستعين بالله، وكان بذلك صاحب السلطان التام، ومعه شاهك الخادم الذي جعله المستعين على داره وخزائنه وخاص أموره، وضم إليهما في النفوذ والتصرف أمه مخارق التي لم يمنعها من أي شيء تريده، وكان كاتبها الخاص سعيد بن سلمة النصراني^(٤).

وعندما شعرت مخارق أم المستعين بالله، بغيرة القائدين وصيف وبغا من وزارة أتامش ونفوذه، حرصتهما عليه، فتذمر الأتراك وأحاطوا بقصر الخلافة مطالبين به. حاول أتامش الهرب فلم ينجح، فاستجار بالخليفة المستعين بالله، فلم يجره. وتم القبض عليه يوم السبت ١٤ ربيع الثاني (٢٤٩هـ/٨٦٣م)، وقتلوه مع كاتبه شجاع، ونهبوا داره، وأخذوا منها أموالاً كثيرة ومتاعاً وفرشاً^(٥).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٢٥٢.

(٢) الصفي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٩، ص ٢٥٦.

(٤) محمد الخضري بك: الدولة العباسية، ص ٢٦٢.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣١٤-٣١٣.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣-٤.

واستمر الصراع بين القادة الأتراك، ويبدو أن مخارق دفعت ابنها المستعين للتحالف مع القائدين وصيف وبغا من أجل قتال القائد باغر، فقتلاه^(١). ويعتبر باغر من القادة الأتراك الكبار الذين قتلوا المتوكل، وقد أسهم في مجيء المستعين إلى الخلافة ومنع أي ابن من أبناء المتوكل من الخلافة حتى لا يأخذ بثأر أبيه، فإذا بالثأر يتحقق على يد المستعين بالله وأمه مخارق.

كانت قبيحة أم المعتز، تنتظر الفرصة، لأن يتولى ابنها الخلافة، وهي تشهد نفوذ حبشية أم المنتصر ثم مخارق أم المستعين بالله الذي وضع ابنها المعتز بالله في السجن ومعه أخوه المؤيد. علماً أن المستعين بالله لم يكن ولياً للعهد قبل أن يتولى الخلافة بتدبير من القادة الأتراك. وشاءت الظروف، أن يقبع المعتز بالله في حبس الخليفة المستعين، وحبس معه أخوه المؤيد، في الوقت الذي خرجت فيه جماعة على المستعين رافضين البيعة له، ومطالبين بالمعتز بالله خليفة.

وهنا يبدو دور قبيحة أم المعتز بالله، التي حرصت تلك الجماعة، ضد نفوذ مخارق أم المستعين بالله التي استبدت مع القادة الأتراك بأمور الدولة في سامراء. كما أن المستعين بالله تضايق من هذا النفوذ، وما لبث أن خاف على نفسه من بطش الأتراك، وخرج من سامراء إلى بغداد.

وخروج المستعين بالله من سامراء إلى بغداد، تحت تأثير أمه، له دلالة تاريخية، فقد استغل أهل بغداد هذه الأوضاع، وهاجوا مطالبين باحترام الخليفة المستعين بالله، وعقدوا الاجتماعات ونادوا بالنفير، لكن الأتراك أحمداو تحركهم^(٢). وهذا يعني أن أهل بغداد رغبوا من وراء هذه الانتفاضة أن تعود مدينتهم داراً للخلافة، بعد ثلاثين سنة مرت على نقل المعتصم لها إلى سامراء سنة (٢٢١هـ/٨٣٦م). لكن المستعين بالله، بعد أن يؤس من إعادة سلطته، هرب إلى بغداد سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م)، ومعه أنصاره من الأتراك. وقد حاول قادة الأتراك إعادة سامراء لأن وجوده في العاصمة ضروري لكي يكسب حكمهم الشرعي، إلا أنه رفض، وعندئذ بايعوا ابن عمه المعتز بالله، ودارت الحرب بين الطرفين.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢١٨-٢١٩.

زهير الكبي: موسوعة خلفاء المسلمين، ج ٢، ص ٥٩.

(٢) فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج ٢، ص ٢٦.

ساندت مخارق ابنها المستعين بالله، وحثته على المقاومة، والوقوف ضد القادة الأتراك. فحصن أسوار بغداد وحفر الخنادق حولها، وفتحت السدود باتجاه سامراء لمنع وصول الجند إلى بغداد. كما اصدر الأمر بحصار سامراء اقتصادياً، ونظم المدافعين عن المدينة من أهل بغداد^(١).

سادساً: دور قرب أم المهدي بالله

(٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٨-٨٦٩م)

كانت قرب أم المهدي بالله رومية الأصل. ويبدو أنها لم تحاول على غرار قبيحة أم المعتز بالله أو حبشية أم المنتصر بالله أو مخارق أم المستعين بالله، أن تجمع الثروة عن طريق التدخل في أمور الدولة. فقد كانت فترة عهد ابنها المهدي قصيرة (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٨-٨٦٩م) من جهة، وكان المهدي بالله متقشفاً، في المطعم والمشرب، متديناً، يتشبه بالخليفة الأموي عمر ابن عبد العزيز، من جهة ثانية.

لذلك يمكن اعتبار عهد المهدي بالله، محاولة جدية للإصلاح، فقد اتخذ إجراءات من أكثر الإجراءات السياسية والعسكرية جدية في سبيل استعادة هيبة الخلافة ومركزها. فقد كان إدارياً حازماً، ابتعد عن مجالس الغناء والشراب والجواري، كما أبعد السباع وكلاب الصيد عن البلاط^(٢). وأخذ يسمع الظلمات ويصرف أمور الدواوين بنفسه. وهذا كله يصب في صالح أمه قرب التي يبدو أنها لم تكن مثل قبيحة أم المعتز التي تحكمت بأمر الدولة. وهذا ما أشار إليه الطبري بأن المهدي بالله، وقف أمام القادة الأتراك محاولاً إنهاء سيطرتهم، وهو يقول لهم مهدداً: "إنه بلغني ما أنتم عليه من أمري، ولست كمن تقدمني مثل أحمد بن محمد (المستعين بالله) ولا مثل ابن قبيحة (المعتز بالله)"^(٣).

فعندما يذكر المهدي بالله "ابن قبيحة" فإنه يعني أن قبيحة هي التي كانت تدبر أمور

البلاد في عهد ابنها المعتز بالله.

(١) فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج ٢، ص ٢٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٢٤-١٣٠.

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٣٤٧.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١١، ص ١٧٢.

فهل ساندت قرب أم المهتدي بالله ابنها الخليفة، وهو يعلن النفير العام مبيحاً دماء الأتراك وأموالهم؟ ولكن عامة الناس خافت من الجند، بعد تمكن القائد التركي بايكباك من توحيد جهود الأتراك ضد الخليفة والقبض عليه^(١)، وأعلنوا خلعه قبل موته، وأخرجوا أحمد بن المتوكل وبايعوه بالخلافة^(٢) ولقبه المعتمد على الله سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م)، علماً أن أهل بغداد أرادوا مبايعته بعد مقتل المعتز بالله^(٣).

سابعاً: دور فتیان أم المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/٧٨٠-٨٩٢م)

لم تقم فتیان أم المعتمد على الله على ما يبدو بدور سياسي. ولعل ذلك، يعود لأحد أمرين، فيبدو أنها ماتت قبل تولي ابنها الخلافة، فلم تتح لها الفرصة للقيام بدور ما. والأرجح الأمر الثاني، وهو تعاضم نفوذ أخيه أبي أحمد الموفق بن طلحة، منذ انتصاره على حركة الزنج سنة (٢٥٨هـ/٨٧١م)، فأطلق عليه لقب "الناصر لدين الله الموفق، ولي عهد المسلمين أخ أمير المؤمنين.

واستولى الموفق على أمور الحكم كلها، وضيق على أخيه الخليفة المعتمد الذي لم يعد له شيء من الأمر^(٤). ما يطرح السؤال: لماذا لم يخلع الموفق أخاه المعتمد من الخلافة، ما دام يملك جميع السلطات؟

حاول المعتمد على الله الإفلات من قبضة أخيه الموفق، بالتعاون مع أحمد بن طولون حاكم مصر الذي دعاه إليه^(٥)، ليجعل من القطائع في مصر مركزاً للخلافة العباسية، حتى يضفي شرعية على ولايته بعد وصول الخليفة المعتمد على الله، تمهيداً لسيطرة أحمد بن طولون على الخلافة نفسها. لكن الموفق تمكن من القبض على أخيه المعتمد وقواده، عند حديثه الموصل، وأعيد إلى سامراء^(٦)، قبل أن ينتقل بعدها إلى بغداد.

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٥، ص ١٤٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٤٦٢.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٧.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ١٧٤.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١١، ص ٤٣.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٨١.

ثامناً: شغب أم المقتدر بالله ونفوذ النساء "القهرمانات"

(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)

إن الدور البارز للمرأة الجارية في العصر العباسي الثاني، تمثل في شغب أم المقتدر بالله. فقد تمكنت شغب، بالتنسيق مع الأتراك، من الاستبداد بأمور الدولة عهد ابنها المقتدر بالله طيلة ربع قرن (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، على غرار ما فعلته الخيزران بالتنسيق مع البرامكة الفرس في العصر العباسي الأول، فقد أحاطت شغب نفسها العديد من القهرمانات لمساعدتها في إكمال سيطرتها ونفوذها.

وعندما تدخل شغب إلى مجلس ابنها الخليفة المقتدر، تصطحب معها عدة جوارى في أوقات محددة لزيارتها. وكانت عادة المقتدر، إذا رأى أمه، يقوم لها قائماً، ويعانقها، ويقبل رأسها، ويجلسها معه في دسسته، ويخاطبها بكلمة: يا ستي^(١).

وعندما تدخل شغب إلى مجلسها، تفرق جوارىها حولها، وتبقى واحدة منهن معها. وما إن يراها صاحب الحاجة، يقبل الأرض أمامها، ثم يقوم ويدعو لها، قبل أن يفصح عن حاجته^(٢). قد كان لها ديوان تجالس فيه الوزراء والقادة للنظر في أمور الدولة، ما يدل على مدى تأثيرها على سياسة ابنها المقتدر بالله^(٣).

١- نفوذ السادة برئاسة شغب

لم تكتف السيدة شغب، بإطلاق يدها في أمور الدولة، كونها أم الخليفة المقتدر بالله الذي أمنت له الخلافة، بالتنسيق مع القادة الأتراك، وهو صغير السن لا يتجاوز الثالثة عشرة، بل فتحت باب النفوذ والسلطان أمام أختها خاتمة المقتدر بالله، وأمام أخيها غريب الخال، خال المقتدر بالله، ثم ابن أخيها هارون بن غريب الخال، ابن خال المقتدر بالله، فكون هؤلاء الأربعة أحد مراكز القوى السياسية عهد المقتدر بالله، ولقبوا بـ "السادة"^(٤).

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ٤، ص ١٤٨.

(٢) التتوخي: الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤، ص ٣٦٥.

(٣) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ١٦٤.

(٤) الصابئ: تاريخ الوزراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص ١١٩.

التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٨، ص ٣٩.

(أ) خاطف:

تعتبر خاطف خالة المقتدر بالله، واحدة من الثلاثي النسائي الذي كان يدير أمور الدولة في أيام الخليفة المقتدر بالله، إلى جانب أختها السيدة شغب أم المقتدر بالله ودستبويه أم ولد المعتضد بالله.

وكانت دار خاطف في الرصافة، تعرف بدار الخالة^(١)، لأنها خالة الخليفة المقتدر بالله، وكان يدخل إليها بدهليز، يؤدي إلى دار أولى، على عظمتها، فارغة، لا يوجد أحد، تنتهي إلى سرداب، يصعد منه إلى درجة طويلة، تقضي إلى دار في نهاية الحسن والسرور، وفيها من الفرش والآلات كل شيء حسن. وكانت خاطف، تتدخل في تعيين الوزراء^(٢).

(ب) غريب الخال:

يعتبر غريب الخال^(٣)، من قادة الدولة العباسية، عهد ابن أخته المقتدر بالله، لذلك عرف بـ "الخال"، أي خال المقتدر بالله. وكان عظيم الجاه في أيامه. وهو أحد القلائل الذين ثبتوا مع المقتدر بالله لما بويع عبد الله بن المعتز^(٤) بالخلافة لمدة يوم وليلة فقط سنة (٢٩٦هـ/٣٠٨م) ليستمر نفوذه مع عودة المقتدر بالله^(٥).

ويبدو أن غريب الخال، من المؤيدين لسياسة الإصلاح في الخلافة العباسية، لذلك كان من المناصرين للوزير علي بن عيسى الذي حاول جاهداً إصلاح الأوضاع المالية دون جدوى، لأنه كان دائماً يصطدم بمصالح السيدة شغب أم المقتدر والقهرمانات والقادة الأتراك المتنافسين جميعاً حول السلطة والنفوذ وجمع المال.

ومع ذلك برز القائد هارون بن غريب الخال، وهو ابن خال الخليفة المقتدر بالله.

(١) التتوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٣٧.

(٢) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٩٠، ١٤٣.

(٣) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٨، ص ٥٤، ١٨١.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٥.

(٥) مسكويه: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧.

(ج) هارون بن غريب الخال:

كان هارون بن غريب الخال، هو أحد القادة الكبار، عهد ابن عمته الخليفة المقتدر بالله. ويعتبر من المتسلطين على الدولة في ذلك العهد، يشترك في ترشيح الوزراء، وتنصيب العمال^(١). وقد اتخذ كاتباً له يدعى أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرازد^(٢).

وكان لهارون دور في قمع ثورة العامة في بغداد أثناء وزارة حامد بن العباس.

وكان من خصوم الوزير علي بن الفرات، ومن أنصار الوزير علي بن عيسى^(٣). ثم اختلف مع القادة الأتراك الذين أصروا على أن يغادر بغداد، فقلده المقتدر بالله الثغور الشامية والجزيرة، ليقيم في قطربل، مما سهل الأمر أمام هؤلاء القادة لخلع المقتدر بالله ومبايعة القاهرة يوم الخميس ١٣ محرم (٣١٧/هـ-٩٢٩م)^(٤). وما لبث المقتدر بالله أن أعيد للخلافة. ولما قتل المقتدر سنة (٣٢٠/هـ-٩٣٢م)، انحدر هارون إلى واسط. وعندما تولى الخلافة الراضي بالله، جرد جيشاً لمحاربتة، وقتل هارون في المعركة سنة (٣٢٣/هـ-٩٣٥م).

(د) الحرة:

تزوج الخليفة المقتدر بالله من ابنة الأمير بدر^(٥) مولى المقتدر بالله، فأقامت عنده سنين، وكان لها مكرماً، وعليها مفضلاً الفضال العظيمة، فتأملت حالها، وانضاف ذلك إلى عظيم نعمتها الموروثة^(٦).

(١) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٢٢٨.

(٢) أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرازد: كان كاتباً لهارون بن غريب الخال، ثم كتب لابن رائف، ثم وزير بجكم، ثم قبض عليه. ولما قتل بجكم، وزر لتوزون، وحكم بغداد باسمه. ولما مات توزون، نصبه الجند في مكانه. وبعد دخول معز الدولة البويهى بغداد، ولاه الخراج والجزية، ثم فر منه والتحق بناصر الدولة الحمداني الذي اختلف معه حتى سلمه إلى معز الدولة الذي صادره على خمسمائة ألف درهم.

مسكويه: المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٣، ٤١٦. ج ٢، ص ٣ - ١١١.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٣٥٤-٣٦٧.

(٣) مسكويه: المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٢، ١٨٥.

(٤) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ١٩٥.

(٥) الأمير بدر بن خير "أبو النجم" (ت ٢٨٩/هـ-٩٠٢م): صاحب الشرطة عهد المعتضد بالله. وكانت بينه وبين المكنتي بالله. تباعد، فبعد خمسة أشهر على وفاة المعتضد بالله، قتله المكنتي بالله سنة (٢٨٩/هـ-٩٠٢م).

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١٠، ص ٦٧.

ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٣٦.

(٦) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ١٠.

وكانت ابنة الأمير بدر، تعرف بـ "الحرّة" منذ أن تزوجها المقتدر بالله، وفي ذلك، يقول التتوخي:

"إنما سميت الحرّة، لأجل تزويج المقتدر بها، وكذا عادة الخلفاء، لغلبة الممالك عليهم، إذا كانت لهم زوجة، قيل لها: "الحرّة"^(١).

(هـ) دستنبويه:

تعتبر دستنبويه أم ولد المعتضد بالله، واحدة من الثلاثي النسائي الذي سيطر على أمور الدولة عهد المقتدر بالله. وكانت تأخذ الرشى وتتصب الوزراء^(٢). وعندما تطلق كلمة السادة، فإنها تعني الخليفة المقتدر بالله، ووالدته شغب وخالته خاطف ودستنبويه أم ولد المعتضد بالله^(٣). وفي ذلك يقول القاضي التتوخي في النشوار: "وكان قول السادة، إشارة إلى المقتدر بالله، والسيدة والدته، وخاطف، ودستنبويه أم ولد المعتضد بالله، وهم إذ ذاك مسئولون على التدبير لصغر سن المقتدر بالله". ويقول مثل هذا القول في كتابه الفرج بعد الشدة: "ويعني بالسادة: المقتدر، ووالدته، وخالته خاطف، ودستنبويه أولد المعتضد، لأنهم كانوا إذ ذاك يدبرون الأمور، لحدائثة سن المقتدر.

وتجدر الملاحظة، إلى أهمية التفاهم بين دستنبويه أم ولد المعتضد بالله، وشغب أم المقتدر ابن المعتضد بالله، أي تفاهم الضرتين دستنبويه وشغب، وهو التفاهم الذي أدى إلى مبايعة المقتدر بالخلافة، وفتح المجال الثلاثي النسائي: شغب وأختها خاطف وضررتها دستنبويه، للسيطرة والنفوذ.

٢- نفوذ القهرمانات في بغداد

لم تسيطر امرأة على مقاليد الأمور، منذ سيطرة الخيزران زمن المهدي والرشيد في البلاط العباسي الأول، كما سيطرت السيدة شغب أم المقتدر بالله في البلاط العباسي الثاني، حتى يمكن القول أن دولة المقتدر استمرت حوالي ربع قرن من الزمان (٢٥٩-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ١٢.

(٢) الصابئ: تاريخ الوزراء، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(٣) التتوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٤٥، ٤٦، ٤٨.

٩٣٢م)، كانت تحت حكم النساء، حيث تقاسمت السلطة النساء، فبرزت إلى جانب السيدة شغب، قهرمانتها أم موسى الهاشمية، والقهرمانة ثمل الدلفية، والقهرمانة فاطمة، والقهرمانة زيدان. القهرمان، كلمة يونانية دخيلة في اللغة العربية، وجمعه قهارمة، وهو مدبر البيت أو أمين الدخل والخرج^(١). ومؤنث الكلمة قهرمانة، وجمعها قهرمانات. وأصل عمل القهرمانة في بلاط الخليفة العباسي، أن تؤدي الرسائل عن الخليفة، ولكن ضعف الخلفاء، في العصر العباسي الثاني، واحتجابهم في قصورهم، أمام تسلط القادة الأتراك، وتسلط النساء، أدى إلى سيطرة القهرمانة^(٢).

فقد كان للمكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨هـ)، داية اسمها فارس، نصبها قهرمانة لما استخلف. فلم تكتف القهرمانة فارس بنقل الرسائل من الخليفة إلى الوزراء والقادة، بل شاركت في المؤامرة لعزل الوزير القاسم بن عبيد الله لكن المؤامرة فشلت^(٣). ولعلها أول قهرمانة في العصر العباسي الثاني، تصل إلى مثل هذا النفوذ والسيطرة، ما فتح الباب واسعاً لسيطرة القهرمانات في عهد المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) وهو عملياً عهد دولة السيدة شغب أمه، حين أصبح للقهرمانة سيطرة تامة على أمور الدولة، بحكم صلتها بالخليفة المقتدر وبأمره السيدة شغب. فكانت القهرمانة تتدخل في ترشيح الوزراء وكبار العمال وفي عزلهم واعتقالهم^(٤) ويعهد إليها الخليفة أحياناً بتعذيب من يريد تعذيبه، أو يعتقل لديها من يريد اعتقاله. ومن شهرات القهرمانات في عهد المقتدر بالله: فاطمة، أم موسى الهاشمية، ثمل الدلفية، زيدان، ونظم.

(أ) فاطمة (٢٩٥-٢٩٩هـ/٩٠٥-٩١١م):

تعتبر القهرمانة فاطمة، أول من برز من القهرمانات بجانب السيدة شغب أم الخليفة المقتدر بالله. فاستمر نفوذها طيلة السنوات الأربع الأولى من عهد المقتدر بالله، أي منذ توليه الخلافة، وهو في الثالثة عشرة، سنة (٢٩٥هـ/٩٠٨م) حتى وفاتها سنة (٢٩٩هـ/٩١١م).

(١) طوبيا العنيسي: تفسير الدخيلة في اللغة العربية، دار العرب، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٥٩.

(٢) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٢١-٢٤.

(٣) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ٢٦٩.

(٤) مسكويه: المصدر السابق، ج ١، ص ٩٠.

وما يشير إلى مدى نفوذها وسلطانها، أنها كانت توقع على مراسيم الخلافة، بإسم الخليفة المقتدر بالله، قبل أن يوقع الوزير في آخر المرسوم، ويأمر بتنفيذه^(١).

ويذكر مسكويه أن القهرمانة فاطمة ماتت غرقاً في نهر دجلة، حينما غرق بها طيارها في يوم ربح عاصف، تحت جسر بغداد سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)^(٢). وهذا ما يثير التساؤل هل ماتت قضاءً وقدرًا بسبب الظروف الطبيعية التي تعرضت لها بغداد، في ذلك اليوم العاصف، أم أنها غرقت في حادث مدبر، حتى يغرق طيارها، وتغرق معه تحت جسر بغداد؟

(ب) أم موسى الهاشمية (٢٩٩-٣١٠هـ/٩١١-٩٢٢م):

تعتبر القهرمانة أم موسى الهاشمية، إحدى السيدات المسيطرates على أمور الدولة، في عهد المقتدر بالله. وقد قهرمتها السيدة شغب أم المقتدر سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)، على إثر غرق القهرمانة فاطمة في طيارها تحت جسر بغداد.

وكانت أم موسى الهاشمية تنقل رسائل السيدة شغب، ورسائل الخليفة المقتدر بالله إلى الوزير، فازداد نفوذها، وأثرت إثراء فاحشاً.

ويروي القاضي التنوخي، دور أم موسى الهاشمية، أثناء سجن الوزير علي ابن الفرات طيلة خمس سنوات (٢٩٩-٣٠٤هـ/٩١١-٩١٦م)، حيث يقول الوزير:

"دخل علي أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوبة الأنباري^(٣)، في محبسي بدار المقتدر، فطالمني بكتب خطي بثلاثة عشر ألف ألف دينار... فاجتهد بي، فلم أجبه إلى شيء، فحبسني. فلما كان من الغد، دخل إلى الحبس ومعه أم موسى، فطالمني بذلك، وأسرف في سبي وشتمي ورماني بالزنا... فأنكرت أم موسى هذا الحال، وغطت وجهها حياء منه. فقال ابن ثوبة:...

(١) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٩٠.

(٢) سوزي حمود: الدولة العباسية، ص ١٤٠.

(٣) أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوبة الأنباري الكاتب: كان من شرار الناس. اشترك في حادثة خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز لمدة يوم وليلة، فاعتقله الوزير علي بن الفرات، لما وزر للمقتدر، فحقد على ابن الفرات، وانتصب لمحاسناته لما عزل من الوزارة، وعذبه، وأهانته. وما لبث الوزير علي بن عيسى أن اعتقله، ومات وهو معتقل في سجن الكوفة.

مسكويه: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢، ٢٧، ٨٨.

فتستأمرين السادة في إنزال المكروه به حتى يذعن بالأموال... ويعني بالسادة: المقتدر، ووالدته، وخالته خاطف، ودستنبويه أم ولد المعتضد... فمضت أم موسى، ثم عادت، فقالت لابن ثوابه: السادة يقولون لك: صدقت فيما ذكرت، ويدك مطلقة فيه..."^(١).

وبالفعل عومل الوزير علي بن الفرات، معاملة قاسية في السجن، وذلك بعد أن أعلمت أم موسى الهاشمية "السادة بالأمر، والهدف بالطبع أن يعترف الوزير بمخابئي المال، وهو مبلغ كبير فقد طالبه ابن ثوابه بثلاثة عشر مليون دينار، على الرغم من أنه الوزير قال^(٢): "وله، ما جرى قدر هذا المال، على يدي للسلطان، في طول وزارتي، فكيف أصادر على مثله؟

سيطرت القهرمانة أم موسى الهاشمية سيطرة عظيمة، بحيث أن صاحبها فرج النصرانية كانت تحمل خاتم الخليفة لمن يعده بتوليته الوزارة^(٣). وقد توسطت أم موسى لابن أبي البغل^(٤) حتى يولى الوزارة، فتصدى له الوزير محمد بن عبيد الله بن خاقان اثناء وزارته (٢٩٩-٣٠١هـ/٩١١-٩١٣م) وقبض عليه، فأنفذته أم موسى، وأعيد إلى منصبه في أصبهان.

وكان ابن الحواري^(٥)، عظيم البذل، فاتصل بأم موسى الهاشمية فأوصلته إلى الخليفة المقتدر، وأصبح أسيراً لديه. وهو الذي أشار عليه باستيزار حامد بن العباس (٣٠٦-٣١١هـ/٩١٨-٩٢٣م) الذي قلده جميع أعمال العطاء في العساكر لسائر نواحي المغرب.

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ٥٠-٥٢.

(٢) التتوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٤٣.

(٣) الصابئ: تاريخ الوزراء، ص ٢٩٣.

(٤) ابو الحسين محمد بن احمد بن يحيى المعروف بابن أبي البغل: كان عاملاً على أصبهان، فرغب بالوزارة، فتوسطت له أم موسى القهرمانة، فتصدى له الوزير محمد بن عبيد الله بن خاقان. فعاد إلى منصبه في أصبهان، بعد أو وقفت أم موسى الهاشمية إلى جانبه.

مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٢١، ٤٣، ٨٤، ١٤٠.

(٥) ابن الحواري، ابو القاسم علي بن محمد: توسطت له القهرمانة أم موسى الهاشمية، لدى الخليفة المقتدر بالله، فقلده جميع أعمال العطاء في العساكر لسائر نواحي المغرب، وقلد ابنه، وعمره عشر سنوات، بيت مال العطاء والحضرة، وكان يصل إليه مال عظيم وهو لا يباشر شيئاً من الأعمال. ولما نكبت أم موسى سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م)، اتهم ابن الحواري بالتآمر معها، وقبض عليه، وصودر على سبعمائة ألف دينار. ثم أخرج إلى الأهواز حيث قتل.

التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، القصة رقم ٦٣، ص ١٢٢-١٢٣.

وكانت السيدة شغب تستعين بأُم موسى الهاشمية في الاتصال بالقادة والأمراء والقضاة، لقضاء مصالحها الخاصة، فصدر القاضي أبو جعفر بن البهلول كتاب وقف بيعة ابتاعتها السيدة شغب، سأل أُم موسى القهرمانة عن السبب^(١)، فعلم أنها تريد الاحتفاظ به، لتزوره، وتبطل الوقف، فرفض، وعاد بالكتاب، غير آبه بنفوذ السيدة شغب التي بإمكانها صرفه من الخدمة، بعد ان بلغت أُم موسى بجواب القاضي^(٢).

وكانت أُم موسى القهرمانة، وراء عزل حامد بن العباس عن الوزارة، بسبب سفه لسانه عندما جاءت تطلب منه نفقات السيدة شغب والقهرمانات والأمراء^(٣).

ويبدو أن القهرمانة أُم موسى الهاشمية، حاولت إقامة تكتل نفوذ خاص بها، وكأنها تتنافس دولة السيدة شغب أُم المقتدر، بعد أن أثرت إثراء فاحشاً. فقد كان لها أخ اسمه أحمد بن العباس، يجلس، فيلقاه الناس ويأخذ رقاعهم وقصصهم إلى أخته أُم موسى. وزادت مكانته مع ارتفاع مكانة أُم موسى، فكان الخليفة المقتدر يرسله في أموره التي يحرص على كتمانها، وبلغ راتبه الشهري سبعة آلاف دينار. وولاه المقتدر إقامة موسم الحج سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م).

وبلغ نفوذ القهرمانة أُم موسى الهاشمية حداً كبيراً، حاولت معه السيطرة تماماً على الخلافة، بتعيين خليفة تابع لها بعد خلع المقتدر بالله. فقد أقدمت على تزويج ابنة أخيها بأحد سادة بني العباس، واسمه أبو العباس محمد بن إسحاق بن المتوكل، وأخذت تجمع له الأموال الكثيرة. لكن السيدة شغب أُم الخليفة المقتدر كشفت أمرها، واتهمتها بأنها تسعى إلى إزاحة المقتدر عن الخلافة ونقلها إلى صهرها أبي العباس محمد بن إسحاق بن المتوكل. فسخط عليها المقتدر بالله، وقبض عليها مع أخيها أحمد بن العباس وأختها، وأمر بمصادرة أموالهم وأملأهم. وقد سلمت السيدة شغب هؤلاء الثلاثة إلى القهرمانة ثمل سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م)، فأذاقتهم صنوف العذاب^(٤). وقيل أن أُم موسى الهاشمية صودرت وحدها على مليون دينار، ما اضطر

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٣.

(٣) غرس النعمة: الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشر، دمشق، ١٩٦٧، ص ٢٨٠.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ١٦٦.

الصايي: رسوم دار الخلافة، مطبعة الهاني، بغداد ١٩٦٤، ص ٢٧٢.

عصام شبارو: الصراع بين العرب وسيطرة غير العرب في الدولة العباسية، دار مصباح الفكر، بيروت، ٢٠١١، ص ٩٦.

الوزير علي بن عيسى إلى تشكيل ديوان خاص حمل اسمها هو ديوان المقبوضات من أم موسى، حتى يتمكن من حصر أموالها ومجوهراتها^(١).

وهكذا، لما صودرت أم موسى الهاشمية، اتهم معها كل من أخيها أبي بكر الذي تزوجت ابنته من أبي العباس محمد بن إسحاق بن المتوكل، وأختها، وقد تعرضا بدورهما للمصادرة والتعذيب. وكذلك اتهم ابن الحواري، وقبض عليه، وصودر على سبعمائة ألف دينار، وضرب المقارع، قبل نفيه إلى الأهواز حيث تم قتله^(٢).

ويمكن القول، أن نفوذ القهرماننة أم موسى الهاشمية، زال سنة (٣١٠ هـ / ٩٢٢م)، بعد أن إستمر حوالي إحدى عشرة سنة، منذ أن قهرمتها السيدة شغب على إثر غرق القهرماننة فاطمة سنة (٢٩٩ هـ / ٩١١م).

(ج) زيدان والإشراف على دار اعتقال الوزراء

كان في دار الخلافة، دار لاعتقال الوزراء وكبار رجال الدولة، تشرف عليها القهرماننة زيدان^(٣). وفي يوم الاثنين ٨ ذي الحجة (٣٠٤ هـ / ٩١٦م)، اعتقل في هذه الدار، الوزير علي بن عيسى^(٤) بسبب خلافه مع القهرماننة أم موسى الهاشمية حول نفقات نساء القصر. كما اعتقل الوزير علي بن الفرات، في هذه الدار، يوم الخميس ٢٧ جمادى الأولى (٣٠٦ هـ / ٩١٨م). نتيجة مؤامرة دبرها له قسيم الجوهري الذي كان يشرف على ضياع السيدة شغب بواسطة، بهدف تولية حامد بن العباس للوزارة. وبقي الوزير علي بن الفرات في دار القهرماننة زيدان طيلة خمس سنوات (٣٠٦-٣١١ هـ / ٩١٨-٩٢٣م)، وهي الفترة التي تولى فيها الوزارة حامد ابن العباس.

ومن الذين اعتقلوا في دار زيدان القهرماننة، سنة (٣٠٤ هـ / ٩١٦م)، الحسين ابن حمدان التغلبي، والأمير يوسف بن أبي الساج. وفي سنة (٣١٤ هـ / ٩٢٦م)، اعتقل لديها الوزير أبو العباس الخصيبي.

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، بيروت، ١٩٩٨م، ج ٢٣، ص ٤٩.

(٢) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٩٤-١٣٤.

(٣) القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق أمين

الخانجي، مصر، ١٩٠٨م، ص ٢٤٩.

(٤) مسكويه: المصدر السابق، ص ٤٠.

وما يشير إلى إرتفاع مكانة القهرمانة زيدان، أنها عينت طبيبها الخاص عيسى البغدادي، ليحمل إليها رقاد الوزير، قبل أن تعرضها على الخليفة المقتدر بالله^(١).

وكان أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقى رجلاً من وجوه التجار البزازين بباب الطاق، هو، وأبوه، وعمومته، وكانوا يشهدون عند القضاة، بتمكنهم من خدمة القهرمانة زيدان^(٢)، قهرمانة المقتدر بالله، ومعاملتهم لها. وعن طريق القهرمانة زيدان، قويت علاقة ابن إسحاق الخرقى بالخليفة المقتدر بالله، وبخاصيته، وولده المتقي لله^(٣) الذي ما إن آلت الخلافة إليه، قلده القضاء حتى وفاته بعد سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م).

وقيل أن القهرمانة زيدان، كانت تمكنت من جواهر الخلافة، فأخذت سبحة لم ير مثلاً، وكان يضرب بها المثل، فيقال: سبحة زيدان. فلما تولى علي بن عيسى الوزارة، قال للخليفة المقتدر بالله: ما فعلت سبحة جوهر قيمتها ثلاثمائة ألف دينار، أخذت من ابن الجصاص؟، فقال: في الخزانة، فقال: تطلب. فطلبت، فلم توجد، فأخرجها من كمه، وهو يقول: عرضت علي، فاشتريتها، فإذا كانت خزانة الجوهر لا تحفظ، فما الذي يحفظ؟ فغضب المقتدر بالله^(٤). وقيل أيضاً أن المقتدر بالله أهدى القهرمانة زيدان هذه السبحة من الجوهر التي تقدر قيمتها بثلاثمائة ألف دينار^(٥). ويذكر التنوخي أن المقتدر بالله أخذ مائة حبة من الجوهر ونظمها سبحة يسبح بها، فعرضت على الجوهريين، فقوموا كل حبة منها بألف دينار وأكثر^(٦). ولعل هذه المبالغ المالية، بالغت المصادر في قيمتها.

وكان الوزير علي بن الفرات، مقرباً من القهرمانة زيدان، فعندما يكتب إليها، يضيف إلى الدعاء كلمة: يا أختي^(٧).

وقد أشار القاضي التنوخي إلى سجن الوزراء وكبار رجال الدولة، في دار الخليفة المقتدر الذي عرف بدار القهرمانة زيدان، في أكثر من موضع^(٨).

(١) القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٤٩.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٢٣١.

(٣) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ٢٢٢.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٧٠.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٤.

(٦) التنوخي: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٥٥.

(٧) الصابئ: تاريخ الوزراء، ص ١٧٢.

(٨) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٢ ص ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٢-٥٤.

(د) نظم النصرانية:

ذكر القاضي التنوخي أيضاً، اسم نظم القهرمانة^(١) موضحاً أنها كانت داية عند أبي القاسم يوسف بن يحيى بن علي^(٢)، قبل أن يعمل في خدمة السيدة شغب أم المقتدر بالله، واختصت بها، بها، حتى صارت إحدى القهرمانات لديها، التي تجري على يديها الصغير والكبير.

ويتضح دور القهرمانة، من خلال نظم التي لم تنس أبي القاسم يوسف بن يحيى بن علي، فأصبح من كبار الأغنياء، بعد أن قدمته إلى السيدة شغب ليعمل في خدمتها. وفي ذلك يقول التنوخي عن نظم القهرمانة: " فرفعت أبا القاسم، وانتهت به إلى أسنى الأرزاق، وأوسع الأحوال، وأخرجت له الصلات، حتى تأثلت حاله بذلك، وصار صاحب عشرات ألوف الدنانير، وخطته بخدمة السيدة"^(٣).

وعندما أراد أبو القاسم يوسف " تطهير " ابنه، والتطهير إصطلاح بغداداي لا يزال مستعملاً ويعني الختان، انفق في وليمة ألوف الدنانير. كما جاءته القهرمانة نظم من عند السيدة شغب أم المقتدر بالله بأموال عظيمة، معونة له على التطهير، وحملت له من عندها، من الفرش والآنية، والثياب^(٤)...

ويبدو أن أبا القاسم يوسف، عرف كيف يستغل نفوذ القهرمانة نظم التي كانت تعمل لديه قبل أن تلتحق بخدمة السيدة شغب. فهو لم يكتف، بما وفرته له هذه القهرمانة، من عمل لدى السيدة شغب، ومن أموال عظيمة من عندها، بمناسبة ختان ابنه، بل استغل هذه المناسبة للحصول على "القرية الفضية" التي يملكها الخليفة المقتدر نفسه، وهي عبارة عن مزرعة كبيرة، "على صفة قرية، فيها مثال البقر والغنم والجمال والجواميس والأشجار والنبات والناس، وكل ما يكون في القرى"^(٥). وقد أنفق المقتدر بالله في هذه "القرية الفضية" مئات الدراهم. وبالفعل، عندما

(١) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ١٤٥-١٤٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٧٥.

(٣) التنوخي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٥.

(٤) التنوخي: المصدر نفسه، ج ٤ ص ١٤٦.

(٥) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٥.

فاتحت القهرمانة نظم بهذا الأمر، السيدة شغب، اصطحبتها إلى مجلس الخليفة المقتدر الذي لا يرفض لأمه طلباً، فوهب له القرية^(١).

فإذا كان، هذا، ما قدمته القهرمانة نظم، لأبي القاسم، وفاءً لعملها عنده، ليصبح من كبار الأغنياء، فإنه بدون أدنى شك، قد تحولت القهرمانة نظم، إلى إحدى كبريات النساء في دولة السيدة شغب أم المقتدر أو دولة النساء. والجدير ذكره، أن القهرمانة نظم هي نصرانية، وقد توفت سنة (٢٩٨ هـ / ٩١٠ م).

٣- تدخل المرأة في القضاء:

كان القضاء في الإسلام، محصوراً في الرجل دون المرأة، وقد أفرد للنظر في المظالم ديواناً خاص إلى جانب القضاء. وتدهور ديوان المظالم في دولة النساء برئاسة السيدة شغب عهد ابنها المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠ هـ / ٩٠٨-٩٣٢ م)، حينما عهدت لأول مرة في تاريخ القضاء في الإسلام، إلى قهرمانتها ثمل للنظر في المظالم سنة (٣٠٦ هـ / ٩١٨ م)، كما حاولت السيدة شغب التدخل في أمور القضاء.

كان هناك إلى جانب القضاء النظر في المظالم، وهو النظر في كل "حكم يعجز عنه القاضي، فينظر من هو أقوى منه يداً"^(٢)، ولكن اختصاص كل من هذين القضائين لم يحدد تحديداً دقيقاً. وفي الباب السابع من كتابه "الأحكام السلطانية" يحدد الماوردي الفروقات بين ناظر المظالم والقاضي^(٣).

ويرجع الفضل في إنشاء ديوان المظالم إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وقد أفرد الأمويون لصاحب المظالم فيما بعد ديواناً خاصاً للنظر في أحوال المتظلمين. وبذلك تكون المشكلات القضائية الصعبة قد عهد الفصل فيها لصاحب المظالم.

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ١٤٨.

(٢) المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، جزآن، طبعة بولاق، القاهرة (١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م)، ج ٢ ص ٢٠٧.

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ص ٦٦-٧١.

عبد الرزاق الأنباري: منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية. الدار العربية للموسوعات، بيروت طبعة أولى ١٩٨٧، ص ٧٦، ٧٧.

عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٢، ص ١١٦.

وكان الخلفاء يجلسون بأنفسهم للنظر في المظالم، فلا يمنع عنهم أحد من المتظلمين^(١).
وأول من جلس من الخلفاء المهدي في العصر العباسي الأول، وآخرهم المهدي بالله في
العصر العباسي الثاني.

ثم أخذ الخليفة يوكل مهمة النظر في المظالم بالوزراء^(٢) أو بأشخاص ذوي حرمة ومكانة
ومعرفة بالفقه والأحكام والحدود^(٣)، ثم اتسع العمل بالمظالم، وأخذ الخليفة يوكل إلى أحد أصحابه
أن يجلس للمظالم العامة فيسمع ظلمات المتظلمين من الموظفين ورجال الدولة، وآخر من
أصحابه يجلس للمظالم الخاصة^(٤) فيسمع ظلمات من يتظلم من الخليفة وأهل بيته.

وكان المتظلم يقدم ظلامته كتابة عن طريق رقعة أو قصّة^(٥)، يقال لها مخاصمة أو شكوى
أو ظلامة، فتعرض على ديوان المظالم. أما المتظلم الذي يخشى أن لا تصل قصّته إلى
المحاكم، يرفع قصبة^(٦) ويقف في الطريق الذي يمر به الحاكم، فإذا مرّ رفعها وحركها أمامه
فيراها ويأمر بأخذها. وكانت الأحكام تصدر مكتوبة.

(أ) ثمل صاحبة المظالم (٣٠٦ هـ/٩١٨م):

تدهورت خطة المظالم إلى حد أن السيدة شغب أم الخليفة المقتدر عينت قهرمانتها ثمل
الجارية صاحبة للمظالم سنة (٣٠٦ هـ/٩١٨م)، وكانت موصوفة بالشر والإسراف في العقوبة^(٧).
وكانت تجلس في مكان بنته السيدة شغب في الرصافة، للنظر في المظالم كل يوم جمعة، حيث
يحضر الوزير والكاتب والقضاة وأهل العلم وتصدر عنها التوقيعات^(٨).

(١) ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن علي بن ثابت (ت ٢٨٠ هـ/٨٩٣م): تاريخ بغداد، أربعة عشر جزءاً،
بيروت (د. ت)، ص ٣٠.

(٢) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٦٨.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ٥، ص ٤٠٩.

(٤) الصابئ: تاريخ الوزراء، ص ٢٧.

(٥) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ٥٨.

(٦) التتوخي: المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٦٢.

(٧) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٨٤.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ١٤٨.

وتعتبر ثمل (ت ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م)^(١) من ربات النفوذ والسلطان، في عهد المقتدر بالله، بفضل نفوذ السيدة شغب أمه التي اعتمدت عليها في إدارة سياسة الدولة وشؤونها، وجعلتها تجلس للمظالم. فكانت أول امرأة تجلس للقضاء، والنظر في رقاع الناس، لتخرج التوقيعات باسمها. وقد أنكر الناس جلوس ثمل للنظر في المظالم، واعتبر البعض هذا الواقع الجديد بمثابة تدهور واضح للقضاء، في ظل سيطرة دولة النساء برئاسة السيدة شغب والقهرمانات. فكان من أثر تعيينها القهرمانة صاحبة المظالم، أن أستهتر العامة بالخلافة ونظروا إليها نظرة الاحتقار والإزدراء^(٢).

وعندما غضبت السيدة شغب أم المقتدر بالله على قهرمانتها أم موسى الهاشمية، بعدما اتهمتها بالعمل على خلع ابنها المقتدر بالله لتولية صهرها محمد بن إسحاق بن المتوكل العباسي، سلمتها مع أخيها وأختها إلى ثمل^(٣) التي أذاقت الثلاثة صنوف العذاب واستخرجت منهم الأموال والجواهر الكثيرة^(٤) سنة (٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م)، أي قبل سنة واحدة من وفاة ثمل.

(ب) مواجهة قاضي القضاة أبو جعفر لشغب:

تولى أبو جعفر أحمد بن إسحاق^(٥) منصب قاضي قضاة بغداد سنة (٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م)، واستمر في منصبه عشرين سنة^(٦) حتى سنة (٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م)، وهي الفترة التي كان فيها المقتدر خليفة، ما يعني أن مكانة قاضي القضاة أبو جعفر قد ارتفعت كثيراً في دولة المقتدر،

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام، ج ٢١ ص ٢٤، ٢٥.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، طبعة سابعة، ج ٣، ١٩٦٤، ص ٤٥٦.

(٣) الذهبي: المصدر السابق، ج ٢٣، ص ٤٩ م.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ٨٣.

(٥) أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسان بن سنان (ت ٣١٨ هـ/ ٩٣٠ م):

ولد في الأنبار سنة (٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م)، وتولى القضاء فيها سنة (٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م) زمن الخليفة الموفق. واستمر في القضاء زمن المعتضد والمكثفي فالمقتدر الذي عينه في منصب قاضي قضاة بغداد سنة (٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م). وتوفي سنة (٣١٧ هـ/ ٩٣٠ م)، أي بعد سنتين من تركه مهنة القضاء التي خدمها طيلة أربعين سنة دون أن يعتاش منها بل من تجارته الخاصة.

ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١، ج ١، ص ٨٢.

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٧٨.

(٦) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٢٣٢، ج ٥، ص ٢١٣.

الخطيب البغدادي: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣١.

بدليل مواقفه الجريئة، سواء أثناء اشتراكه في محاكمة الوزير ابن الفرات، أو في محاكمة الوزير علي بن عيسى، وهو يدرك حرج الموقف في ظل الصراع بين الوزراء حول السلطة، والذي قد يؤدي إلى فقدانه منصب قاضي القضاة. لكنه لم يخش في الحق لومة لائم، فتصدى للسيدة شغب أم المقتدر نفسها^(١).

بلغت ذروة مواقفه الجريئة في مواجهة السيدة شغب أم المقتدر، التي كانت تسيطر على أمور الدولة زمن ولدها المقتدر، فقد أرادت السيدة شغب تزوير كتاب وقف لضيعة كانت قد ابتاعها^(٢)، وكان الكتاب عند أبي جعفر في ديوان القضاء، وعندما علم من أم موسى القهرمانه أن السيدة تريد أن تحتفظ بالكتاب رفض تسليمها الكتاب، وقال لأم موسى: "تقولين للسيدة أعزها الله، هذا والله ما لا طريق إليه أبداً، أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم، فإما مكنتموني من خزنه كما يجب وإلا فاصرفوني وتسلموا الديوان دفعة، فاعملوا به ما شئتم وخذوا منه ما أردتم، ودعوا ما أردتم، أما أن يفعل شيء منه على يدي، فوالله لا كان هذا ولو عرضت علي السيف". فشكته السيدة شغب إلى ولدها الخليفة المقتدر الذي سألته عن الأمر، فأوضح له ما حدث، فقال له المقتدر: "مثلك يا أحمد يقلد القضاء، أقم على ما أنت عليه، بارك الله فيك ولا تخف أن ينظم ذلك عرضك عندنا"، فاقتنعت السيدة بموقفه وفسخت شراء الضيعة، واسترجعت المال، وشكرت القاضي أبا جعفر^(٣).

٤- تدخل شغب في تعيين الوزراء وعزلهم:

تدخلت شغب في تعيين الوزراء وعزلهم، وفي القبض عليهم ومصادرتهم، وقتلهم في بعض الأحيان. فقد كانت الوزارة تتال بالرشوة، وتقديم الأموال لها، حتى بلغ عدد الوزراء اثني عشر وزيراً في خمس عشرة عملية تعيين جرت عهد المقتدر بالله، وهذا ما بدا جلياً مع عزل الوزير حامد بن العباس وقتله سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) ومع القبض على الوزير علي بن عيسى سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م).

(١) عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام، ص ٢٤٥.

(٢) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٢-٣٤٤.

ومن جهة أخرى، كانت السيدة شغب تتدخل لإنقاذ بعض أتباعها من السجن، كما حصل مع إنقاذ الحاجب نصر القشوري لخلافه مع الوزير علي بن محمد بن الفرات الذي انتهى قتلاً سنة (٣١٢ هـ / ٩٢٤ م)، في حين نجا الحاجب نصر القشوري من السجن.

(أ) عزل الوزير حامد بن العباس وقتله (٣١١ هـ / ٩٢٣ م).

تعتبر وزارة حامد بن العباس^(١) أطول الوزارات عمراً عهد المقتدر بالله، فقد استمرت حوالي الخمس سنوات (٣٠٦-٣١١ هـ / ٩١٨-٩٢٣ م)، على الرغم من أن الوزير حامد بن العباس هو أفضل وزراء المقتدر، وقد وصفه القاضي التنوخي بأنه سفيه اللسان، و"كان لا يرد لسانه عن أحد البتة، وكان إذا غضب شتم"^(٢).

لم يستطع الوزير حامد بن العباس، مداراة أم موسى الهاشمية القهرماننة، عندما قصدته في مجلسه، مطالبة بنفقات الخليفة والسيدة شغب والأمراء والقهرمانات. فعندما ذكرته بأن الوزير الأسبق علي بن محمد بن الفرات كان يحمل إلى الخليفة المقتدر بالله ألف دينار كل يوم، وإلى السيدة شغب عشرة آلاف في الشهر، وإلى الأمراء والقهرمانات خمسة آلاف دينار في الشهر. ثم أعلمته بأنه تأخر عن الدفع منذ أربعين يوماً، فكان جوابه، كعادته في سفه اللسان^(٣).

وتكفي هذه القصة، لتوغر أم موسى الهاشمية صدر السيدة شغب أم المقتدر بالله، التي أسرعت بدورها لتخاطب ابنها المقتدر في شأن هذا الوزير الذي تأخر عن دفع نفقات الخليفة والسيدة والقادة. فقد تعرض الوزير حامد بن العباس للتعذيب بعد القبض عليه سنة (٣١١ هـ / ٩٢٣ م)، وتولي علي بن محمد بن الفرات الوزارة، فقتله بدس السم له.

(١) حامد بن العباس (ت ٣١١ هـ / ٩٢٣ م): وزير المقتدر بالله. كان يتولى أعمال السواد، وكان كريماً، متجماً، سريع الطيش والحدة، إلا إن كرمه كان يغطي على ذلك. وزر للمقتدر سنة (٣٠٦ هـ / ٩١٨ م)، ولما بانته قلة خبرته، ضم إليه علي بن عيسى لمساعدته. ثم عزله المقتدر، وأعاد الوزير علي بن محمد بن الفرات، وسلم إليه حامد بن العباس، فقتله سنة (٣١١ هـ / ٩٢٣ م).

ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٦٨.

(٢) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٢-٢٤، ٤٣، ١٦٢-١٦٤.

(٣) التنوخي: المصدر نفسه، ج ٨، ص ٨٥.

(ب) إنفاذ الحاجب نصر القشوري من السجن

برز تأثير السيدة شغب على ابنها الخليفة المقتدر في تنفيذ ما ترتأيه. فقد كانت السيدة تشير عليه في الأمور المهمة، وتحلل له موقف الوزراء والقادة، بما تراه هي، حتى يأخذ القرار الذي توجهه إليه.

فقد إلتجأ الحاجب نصر القشوري^(١) إلى السيدة شغب، خوفاً من الوزير علي بن محمد بن الفرات الذي أراد القبض عليه. وأسرعت السيدة شغب إلى مجلس ابنها الخليفة المقتدر الذي كان ينصت جيداً لما تقوله. وأوضحت له خطورة القبض على حاجبه^(٢)، ما يفسح المجال أمام الوزير ابن الفرات للسيطرة على جميع الأمور. وبذلك نجا نصر الحاجب من السجن، في حين قتل الوزير علي بن محمد بن الفرات سنة (٣١٢ هـ/٩٢٤ م).

(ج) القبض على الوزير علي بن محمد بن الفرات وقتله (٣١٢ هـ/٩٢٤ م).

تبقى قصة السيدة شغب أم المقتدر بالله مع الوزير علي بن محمد بن الفرات^(٣)، الدليل الواضح على تدخل النساء في تعيين الوزراء وعزلهم والقبض عليهم، ثم قتلهم. فقد استمرت وزارة علي بن محمد بن الفرات الأولى طيلة ثلاث سنوات وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، انتهت بعزله ونهب داره ودور أولاده وأهله، ومصادرته على مليون وستمائة ألف دينار سنة (٢٩٩ هـ/٩١١ م).

(١) نصر القشوري (ت ٣١٦ هـ/٩٢٨ م): حاجب المقتدر بالله، وكان عظيم التأثير عليه، واتهم بأنه دافع دفاعاً عنيفاً عن الحلاج لما أريد قتله. وكانت خصومته للوزير علي بن محمد بن الفرات السبب الأقوى في قتل ابن الفرات وقتل ولده. كما أنه هو الذي توسط لابن مقلة في الوزارة. ولما اشتدت وطأة القرامطة على الدولة خرج للقاءهم، فاعتل في الطريق، وتوفي سنة (٣١٦ هـ/٩٢٨ م)، وحمل تابوته إلى بغداد. ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ٢٢٠.

التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٦٤، ٢٨٣، ٣٢٥. ج ٢، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ١١٧.

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات (٢٤١-٣١٢ هـ/٨٥٥-٩٢٤ م): وزير المقتدر بالله، داهية، فصيح، أديب، جواد. اتصل بالمعتضد بالله، فولاه ديوان السواد. ثم وزر للمقتدر ثلاث مرات. وقبض عليه المقتدر بالله سنة (٣١٢ هـ/٩٢٤ م) وقتله، وهو في الواحدة والسبعين. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٤١.

وعندما تعهد الوزير ابن الفرات بإطلاق نفقات النساء والخدم، وأن يحمل إلى الخليفة المقتدر بالله كل يوم ألف دينار، وإلى السيدة شغب والأمراء خمسمائة دينار، أعيد إلى الوزارة سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م). وما لبثت دولة النساء برئاسة السيدة شغب أن انقلبت عليه، بتحريض من نصر الحاجب، فتم القبض عليه يوم الخميس ٢٧ جمادى الأولى (٣٠٦ هـ/٩١٨م) من بعد أن استمرت وزارته الثانية سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً.

وكانت المأساة، في وزارته الثالثة التي لم تستمر أكثر من عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً، منذ أن تقلدها في ربيع الثاني (٣١١ هـ/٩٢٣م). فقد كان ابنه المحسن^(١) يعاونه في هذه الوزارة الثالثة، فألب الناس عليه، نتيجة السياسة الفاسدة التي اتبعها لجمع الأموال عن طريق مصادرة الناس وتعذيبهم. فاستغل نصر الحاجب هذا الأمر، لتصفية حسابه مع الوزير ابن الفرات، فأوغر صدر السيدة شغب، وسائر المتضررين من أعمال الوزير ابن الفرات وابنه المحسن، ليصدر الخليفة المقتدر بالله الأمر بالقبض عليهما في (٨ ربيع الأول ٣١٢ هـ/٩٢٤م). وقام عجيب^(٢) بضرب عنق المحسن بن الفرات بأمر المقتدر بالله، وسار بالرأس إلى سيده نازوك^(٣) صاحب الشرطة، فأخذه ودخله معاً على أبيه الوزير علي بن محمد بن الفرات، ووضعاً الرأس أمامه. ثم أمر نازوك غلامه عجيب، فضرب عنق الوزير ابن الفرات، وحمل

(١) المحسن، أبو أحمد (٢٧٩-٣١٢ هـ/٨٩٢-٩٢٤م): ابن الوزير أبو الحسن علي بن محمد الفرات. كان ظالماً سيء السيرة، فعندما تولى والده الوزارة للمرة الثالثة، أطلق يده في الانتقام من خصومه. وشجعه المقتدر بالله على ذلك، فعسف الناس عسفاً شديداً. ولما عزل والده عن الوزارة، قبض عليهما، وقتلاً معاً سنة (٣١٢ هـ/٩٢٤م)، وكان عمر المحسن ثلاثاً وثلاثين سنة.

التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٨٤.

(٢) عجيب (ت ٣١٧ هـ/٩٢٩م): كان يقوم بأعمال الشرطة ببغداد تحت إشراف سيده نازوك صاحب الشرطة. وقتل عجيب مع سيده نازوك سنة (٣١٧ هـ / ٩٢٩م)، لما هجم الجند على دار الخلافة، وخلعوا القاهر، وأعادوا المقتدر بالله إلى الخلافة.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٠٤.

(٣) نازوك (ت ٣١٧ هـ/ ٩٢٩م): من كبار القادة الأتراك في عهد المقتدر بالله. ولي شرطة بغداد سنة (٣١٠ هـ/ ٩٢٢م). كان شديداً حازماً، اختلف مع القائد هارون بن غريب الخال، أي ابن خال المقتدر بالله، فانقلب على الخليفة، ليشترك في مؤامرة خلعه وتنصيب أخاه القاهر سنة (٣١٧ هـ/ ٩٢٩م)، وما لبث المقتدر بالله أن أعيد للخلافة وقتل نازوك.

ابن الأثير: المصدر نفسه، ج ٨ ص ١٣٧، ١٧٣، ١٨٧، ٢٠٠-٢٠٢-٢٠٤.

نازوك الرأسين إلى المقتدر بالله^(١). وكان الوزير يناهز الواحد والسبعين، وابنه المحسن لا يتعدى الثالثة والثلاثين.

وهذه النهاية المأساوية، تعود إلى أن الوزير علي بن محمد بن الفرات، اظهر في وزارته الثالثة عدم الاهتمام بالسيدة شغب أم المقتدر بالله، فأدرك أصحاب الوزير مغبة هذا الأمر بالقول: هذا آخر عهد الوزير بالحياة. وبالفعل، لم يلبث الوزير أن عزل وقتل مع ولده المحسن. فكسب رضى السيدة شغب هو الطريق الوحيد للحصول على الوزارة^(٢).

(د) القبض على الوزير علي بن عيسى (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م):

يعتبر الوزير علي بن عيسى^(٣) أفضل الوزراء في عهد المقتدر بالله، حاول إصلاح أمور الدولة، منذ توليه الوزارة للمرة الأولى في ١٠ محرم (٣٠١ هـ / ٩١٣ م). لكنه، لم يعرف كيف يرضي نساء القصر اللواتي بحاجة إلى نفقات دائمة، على الرغم من الثروات التي جمعتها السيدة والقهرمانات. لذلك اعتقل الوزير علي بن عيسى بسبب خلافه مع أم موسى الهاشمية قهرمانة السيدة. حول النفقات المخصصة لنساء القصر، وذلك يوم الاثنين ٨ ذي الحجة (٣٠٤ هـ / ٩١٦ م). وانتهى به الأمر في مكة المكرمة بعد الإفراج عنه^(٤).

وعندما تولى علي بن عيسى الوزارة للمرة الثانية سنة (٣١٥ هـ / ٩٢٧ م)، حاول أيضاً إصلاح الوضع المالي، عن طريق تقليص نفقات النساء والجند والخدم، ولاسيما نفقات السيدة شغب أم المقتدر بالله، وتغلبت النساء والهاشمية في أمره، فأمر المقتدر بالقبض عليه وعلى أخيه عبد الرحمن في منتصف ربيع الأول (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م).

(١) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ١٣٢، ١٣٨.

(٢) الصابئ: تاريخ الوزراء، ج ١١١، ١١٢، ٢٩٤.

(٣) علي بن عيسى بن داود الجراح " أبو الحسن " (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٤ م): وزير المقتدر، شيخ من شيوخ الكتاب، كان محمود السيرة. قال عنه الصولي: ما أعلم أنه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وتعففه ومعرفته وصفاته. توفي سنة (٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م). الزركلي: الإعلام، ج ٥، ص ١٣٣.

(٤) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٢٢٢-٢٢٣.

تاسعاً: استنتاجات:

إن الدور السياسي الذي قامت به المرأة العربية الحرة في العصر العباسي، يشير إلى رصانة التدخل السياسي، كما هو حال زبيدة زوجة هارون الرشيد وأم محمد الأمين التي تمكنت من التأثير على زوجها في تنفيذ نكبة البرامكة سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م)، ووقوفها إلى جانب التيار العربي في وجه النفوذ الفارسي. وكذلك فإن أم الشريف بنت عيسى، برهنت على بعد النظر وصواب الرأي في معالجة الأمور عهد المعتضد بالله.

أما المرأة الجارية، فقد أوصلت الحكم العربي في العصر العباسي إلى البلبلة والاضطرابات، في ظل تفاقم النفوذ الفارسي، حينما برزت الخيزران التي تعد أول امرأة جارية من أمهات الخلفاء تستبد بالحكم في الإسلام (١٥٨-١٧٣هـ/٧٧٥-٧٨٩م). بعد أن تحالفت مع البرامكة الفرس، ليتطور دور المرأة مع شغب أم المقتدر التي تعاونت مع النفوذ التركي، لتسيطر مع القهرمانات طيلة ربع قرن (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، وتدخل في تعيين الوزراء وعزلهم. وبذلك تطورت الخلافات بين العباسيين في العصر العباسي الأول، لتصبح اشد وأعقد في العصر العباسي الثاني، فرغم الدور البارز للخيزران وزبيدة في العصر العباسي الأول، إلا أن دور شغب في العصر العباسي الثاني، كان اشد خطراً وعنفاً، فقد كانت الخلافات تشد كلما زاد تدخل النساء والخدم في السلطة، مع تدخل الأتراك، ما أدى إلى قتل العديد من الخلفاء العباسيين أمثال: المتوكل، المستعين، المعتز، المهدي، والمقتدر. كما سمل القاهر بعد خلعه، وسمل أيضاً المتقي والمستكفي.

وفي العصر العباسي الأول كانت الخيزران وراء مقتل ابنها الخليفة الهادي حتى تستبد بالأمور مع خلافة ابنها الآخر هارون الرشيد. كما كان الصراع بين زوجتي هارون الرشيد كفيلاً بتأجيج الصراع بين الأخوين محمد الأمين ابن زبيدة العربية، وعبد الله المأمون ابن مراجل "الفارسية" لينتهي الأمر بمقتل الأمين وتولي المأمون الخلافة. وفي العصر العباسي الثاني فإن الصراع بين قبيحة أم المعتز وحبشية أم المنتصر، وهما من زوجات المتوكل والد المعتز

والمنتصر، أدى إلى مشاركة حبشية في مؤامرة قتل زوجها المتوكل حتى تفتح المجال أمام خلافة ابنها المنتصر الذي شارك أيضاً في المؤامرة، ليتولى الخلافة ويموت بدوره مسموماً.

إن المرأة الجارية غير العربية، هي التي تحولت إلى سيدة القصر، سواء زوجة للخليفة أم أمّاً له، هي أحد أسباب الصراع في العصر العباسي، فقد حاول الفرس السيطرة في العصر العباسي الأول قبل أن تحل بهم نكبة البرامكة على يد هارون الرشيد، ليستعيدوا السيطرة مع خلافة المأمون، فقد حول الأتراك خلفاء العصر العباسي الثاني إلى ألعوبة بأيديهم، يعزلون من يشاؤون، ويبايعون من يشاؤون طيلة نحو قرن (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م).

الفصل الثالث

تطور دور المرأة في الشعر والغناء

أولاً: دور المرأة الحرة في الشعر

- ١- زبيدة بنت جعفر
- ٢- عُلَيَّة بنت المهدي
- ٣- خديجة بنت المأمون
- ٤- زهراء الكلابية
- ٥- عائدة الجهنية
- ٦- عاتكة المخزومية
- ٧- قطر الندى زوجة المعتضد
- ٨- أم الشريف بنت عيسى

ثانياً: دور المرأة الجارية في الشعر

- ١- عنان جارية النطاف
- ٢- فضل اليمامية جارية المتوكل على الله
- ٣- سلمى اليمامية جارية أبي عباد

ثالثاً: دور المرأة الجارية في الغناء

- ١- دنانير جارية محمد بن خالد البرمكي (ت ٢١٠هـ/٨٢٥م)
- ٢- هدية جارية إبراهيم بن المهدي.
- ٣- فريدة الكبرى وفريدة المحسنة
- ٤- عُرَيْب جارية المأمون (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م).
- ٥- بدعة الكبرى (ت ٣٠٢هـ/٩١٤م).
- ٦- شاجي جارية عبيد الله.

رابعاً: استنتاجات

أتاحت الحياة الثقافية والاجتماعية التي كانت تحياها المرأة، حرة أو أمة، في العصر العباسي، أن تقول الشعر في المديح. وكان لبعض النساء الحرائر أن يحضرن مجالس الخلفاء، لإلقاء قصائد في المديح والتهاني، أسوة بالشعراء.

وإن كانت المرأة الجارية سبقت المرأة الحرة في الشعر. فبرزت الشواعر الجواري: عنان، فضل اليمامية، نبت، سلمى اليمامية، بدعة الكبرى، ورائعة.

أولاً: دور المرأة الحرة في الشعر

قامت المرأة العربية الحرة بدور بارز في الحياة الأدبية التي عرفها المجتمع العباسي. ويعود ذلك إلى البيئة التي عاشت فيها، ففي حين كانت الفتاة العادية تلقن بعض مبادئ الدين والفنون المنزلية التي تؤهلها لرعاية شؤون أسرتها، فقد كانت الفتاة الموسرة، تتعلم القراءة والكتابة، وقرض الشعر، فضلاً عن العلوم الدينية. فلا غرو أن تبرز المرأة الحرة في الشعر^(١). أمثال: علية بنت المهدي، عائدة الجهنية، عاتكة المخزومية، قطر الندى، وأم الشريف.

١- زبيدة بنت جعفر:

تزوج بها الرشيد سنة ١٦٥هـ/٧٨١م. ولما قتل ابنها الأمين اضطهدتها رجال المأمون، فكتبت إليه تشكو حالها، فعطف عليها، وجعل لها قصراً في دار الخلافة، وأقام لها الوصائف والخدم.

وقد كتبت إلى المأمون بأبيات ترثي بها سوء حالها بعد فقد ولدها^(٢):

لخير إمام قام من خير عنصر	وأفضل سام فوق أعواد منبر
لوارث علم الأولين وفهمهم	وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني مستهل دموعها	إليك ابن عمي من جفون ومحجر
وقد مسني ضير وذلك كآبة	وأرق عيني يا ابن عمي تفكري
وهمت لما لاقيت بعد مصابه	فأمري عظيم منكر عند منكر
سأشكو الذي لاقيته بعد فقد	فأنت لبيتني خير رب معمر
أتى طاهر لا طهر الله طاهراً	فما طاهر فيما أتى بمطهر

(١) أمل كوسا: دور المرأة في المجتمع العباسي، ص ١٦٣.

(٢) شاعرات العرب، جمع وتحقيق عبد البديع صقر، منشورات المكتب الإسلامي، طبعة أولى،

فأخرجني مكشوفة الوجه حاسراً
يعز على هارون ما قد لقيتَه
فإن كان ما أبدى بأمر أمرته
تذكر أمير المؤمنين قرابتي

وقالت ترثي ولدها الأمين:

أودى بألفين من لم يترك الناسا
لما رأيت المنايا قد قصدن له
فبت متكئاً أرعى النجوم له
والموت كان به والهم قارنه
رزنته حين باهيت الرجال به
فليس من مات مردوداً لنا أبداً

٢- عليّة بنت المهدي^(١):

كانت أم عليّة، جارية مغنية اسمها مكنونة اشتراها الخليفة العباسي الثالث محمد المهدي بمائة ألف درهم، فولدت له عليّة التي أصبحت أميرة عباسية، أدبية شاعرة، تقول الشعر الجيد وهي أخت الخليفة هارون الرشيد.

وإن لها من الشعر معنى بديع، ولها فيه لحن مشهور، حينما قالت^(٢):

تحبب فإن الحب داعية الحب
تبصر فإن حدثت أن أخواً هوى
وكم من بعيد الدار مستوجبُ القرب
نجا سالماً فادج النجاة من الحب

وكانت عليّة بنت المهدي حسنة الدين، لا تغني إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإن ظهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تُلذ بشيء غير قول الشعر. وكانت تقول: لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط، ولا أول شعري عبثاً^(٣).

(١) عليّة بنت المهدي، ولدت سنة (١٦٠هـ/٧٧٧م)، وتوفت سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م).

الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ج ١٠، ص ١١١، ١٧١-١٩٥. ج ٢٢، ص ٥٠، ٥٣، ٥٧.

(٢) التتوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٥، ص ٤٣.

(٣) التوحيد، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت بعد ٤٠٠هـ/١٠١٠م): البصائر والذخائر، تحقيق إبراهيم

الكيلاني، دمشق، ج ١، ص ٩٠.

الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٩٧.

وقالت في أخيها الرشيد وقد زارها مرة:

تفديك اختك قد حببت بنعمة	لسنا نعد لها الزمان عديلاً ^(١)
إلا الخلود وذاك قريبك سيدي	لا زال قريبك والبقاء طويلاً
وحمدت ربي في إجابة دعوتي	ورأيت حمدي عند ذاك قليلاً

وعتب عليها أنها بعد حجها أقامت أياماً في طيزاناباذ^(٢) فقالت:

أي ذنب أذنبته أي ذنب	أي ذنب لولا مخافة ربي
بمقامي بطيزاناباذ يوماً	بعده ليلة على غير شرب ^(٣)
ثم باكرتها عقاراً شمولاً	تفتن الناسك الحليم ونصبي
قهوة قرقفاً تراها جهولاً	ذات حلم فراجة كل كرب

٣- خديجة بنت المأمون:

كانت تقلد عمته عليّة بنت المهدي في التشبيب والتلحين، ومن قولها في خادم من خدم

أبيها^(٤):

بالله قولوا لي لمن ذات الرشا	المثقل الردف الهضيم الحشا
أظرف ما كان إذا ما صحا	وأملح الناس إذا ما انتشى
وقد بنى برج حمام له	أرسل فيه طائراً مرعشا
يا ليتني كنت حماماً له	أو باشقاً يفعل بي ما يشا
لو لبس القوهي من رقة	أوجعه القوهي أو خدشا

٤- زهراء الكلابية

شاعرة من شواعر الدولة العباسية كانت تحدث اسحاق الموصلي وتناشده، وكانت تميل

إليه وتكني عنه في عشيرتها إذا ذكرته بـ "جمل"، فكتبت إليه وقد غابت عنه تقول^(٥):

^(١) شاعرات العرب، ص ٥٨.

^(٢) طيزاناباذ: موضع بين الكوفة والقادسية، كان من أنزه المواضع محفوفاً بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكان من المواضع المقصودة للهو والبطالة.

^(٣) شاعرات العرب، ص ٤٩.

^(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٥، ص ٣٢٩.

^(٥) شاعرات العرب، ص ١٤١.

وجد السقيم ببرء بعد إنداف وجدي بجمل على أني أجممه
أو وجد مغترب من بين آلاف أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدا

وقالت ترثي زوجها:

تأوهت من ذكرى ابن عمي ودونه نقاً هائل جعد الثرى وصفيح
وكننت أنام الليل من ثقتي به وأعلم أن لا ضيم وهو صحيح
فأصبحت سالمته العدو ولم أجد من السلم بدأ والفؤاد جريح

٥- المهناة بنت الهيثم الشيباني:

روى القاضي التنوخي قصة الشاعرة المهناة بنت الهيثم الشيباني مع الأمير الشاعر مالك بن طوق^(١) الذي تزوجها بعدما أعجب بشعرها. فقد سمع مالك، شعر المهناة، من محمد بن عبد الحميد الجشمي الذي كان في طريقه إلى الحج سنة (٢٤٣هـ/٨٥٧م)، فالتقاه في الرحبة، حيث أخبره بما رأى من الأعاجيب في سفره، حينما وجد في البادية فقراء يطلبون العطاء، وبينهم امرأة "تتصدق، بوجه كأنه القمر حين استدار، أو كقرن الشمس حين أنار"^(٢). فقال لها: أما تستحين أن تبدين هذا الوجه في مثل هذا الموضع، بحضرة الخلائق. فلطمت وجهها، وقالت^(٣):

(١) أبو كلثوم مالك بن طوق بن عتاب التغلبي (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م): أمير شاعر، كان من ندماء الخليفة هارون الرشيد الذي منحه أرض الرحبة، فبناها في خلافة المأمون وإليه تنسب. وولي أمرة دمشق عهد المتوكل على الله سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م، ووقف إلى جانب المستعين في صراعه مع أخيه المعتز. وتوفي في الرحبة سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٢٨٧.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٤٢، ٢٧٤.

مسكويه: تجارب الأمم، ج ٦، ص ٥٧٩.

ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات، ص ٢٩٤.

الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ١٣٧.

(٢) التنوخي: الفرغ بعد الشدة، ج ٢، ص ٣٦٠.

(٣) التنوخي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٠.

لم أبده حتى تقضت حيلتي	فبذلته وهو الأعز الأكرم
ويعز ذاك علي إلا أنه	دهر يجوز كما تراه ويظلم
قد صنته وحجبتة حتى إذا	لم يبق لي طمع ومات الهيثم
أبرزته من حجبته مقهورة	والله يشهد لي بذاك ويعلم
كشف الزمان قناعه في بلدة	قل الصديق بها وعز الدرهم
أصبحت في أرض الحجاز غريبة	وأبو ربيعة أسرتي ومحلم

وبذلك، أعجب محمد بن عبد الحميد الجشمي بفصاحة المرأة الفقيرة وأدبها وشعرها إلى جانب جمالها، فسألها عن اسمها، لتقول: "أنا المهناة بنت الهيثم الشيباني، وكان أبي جاراً لبني فزارة، فاعتل، واستنفد ماله، وتوفى، وتركني فقيرة، فاحتجت إلى التكفف"^(١).

وقد أعجب مالك بن طوق بأبيات الشعر التي قالتها المهناة، وكتبها. ثم أرسل رسلاً إلى البادية، سألوا عنها حتى ظفروا بها، فحملوها إليه، ثم تزوجها ورزقا بعدد من الأولاد^(٢). وأرسل مالك خادمين إلى منزل محمد بن عبد الحميد في الشام، يحملان إليه عشرين ألف درهم وعشر تخوت ثياب^(٣).

ويبدو أن لجوء النساء الحرائر إلى السؤال والاستجداء، يكون بدافع الحاجة وبدافع الحرص على صيانة العفة والشرف، بعدما يجور الدهر بموت الرجال ونفاد الأموال. وعلى غرار قصة المهناة بنت الهيثم الشيباني التي ذكرها التنوخي، توجد العديد من قصص النساء الحرائر اللواتي يجور الدهر بموت رجالهن^(٤)، ومن بينها قصة ذكرها التنوخي أيضاً، عن "امرأة بالبادية، وقد جاء البرد فذهب بزرع كان لها، فجاء الناس يعزونها، فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلق، وببيدك التعويض عما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك... حتى جاء رجل من الأجلاء، فحدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار"^(٥).

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٣٦١.

(٢) التنوخي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٣) التنوخي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ٤٢٨.

(٥) التنوخي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٨١.

٦- عائدة الجهنية:

كانت عائدة بنت محمد الجهنية، زوجة عم الوزير ابن شيرزاد، وقد أورد التتوخي، شعراً لعائدة الجهنية تهجو فيه أبا جعفر الكرخي^(١) حينما تولى الوزارة، وتعييه بقصر قامته وهزاله، وهي تقول^(٢):

شاورني الكرخي لما دنا ال	نيروز والسن له ضاحكه
فقال ما نهدي لسلطاننا	من خير ما الكف له مالكة
أهد له نفسك حتى إذا	أشغل ناراً كنت دوباركه ^(٣)

وهكذا، كانت الشاعرة عائدة الجهنية تكثر من هجاء أبي جعفر الكرخي، ربما لأسباب شخصية أو سياسية، وهذا الأمر يوضح أنه كان لبعض النساء الحرائر مواقف عداء أو كره لبعض الشخصيات، أدت إلى الهجاء.

٧- عاتكة المخزومية:

"عاتكة بنت محمد بن القاسم أم أبي الحسن محمد بن عبدالله السلامي الشاعر"^(٤)، هي شاعرة فصيحة، حضرت مجلس عضد الدولة ببغداد، من يوم عيد الفطر سنة (٩٣٦٧هـ/٩٧٧م)، وحضر الشعراء فأنشدوا التهاني. وحضرت أم أبي الحسن البغدادي السلامي، فأنشدته لنفسها قصيدة طويلة، بعبارة فصيحة^(٥):

(١) أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م): تقلد عدة دواوين، قبل أن يتقلد الوزارة للخليفة الراضي بالله. ثم وزر المتقي لله. وكان قصير القامة، وكان له نيف وأربعون طباًخاً وانتهى به الأمر فقيراً، ومات بمنزله في بغداد سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م).

ابن طباطبا الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٨١.

(٢) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ٢٢٣، ج ٥، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) الدوباركه: كلمة أعجمية، وهي اسم للعب على قدر الصبيان يخلونها أهل بغداد في سطوحهم ليالي النيروز المعتضدي، ويلعبون بها، ويخرجونها في زي حسن، من فاخر الثياب والحلي، ويحلونها كما يفعل بالعرائس، وتحقق بين يديها الطبول والزمور، وتشغل النيران.

السيوطي: نزهة الجلساء في أخبار النساء، ص ٧٥.

(٤) أبو الحسن محمد بن عبدالله السلامي (ت ٣٩٤هـ/١٠٠٣م): ولد في الكرخ ببغداد سنة (٩٣٦هـ/٩٣٧م)، وقال الشعر وهو صبي. ثم اتجه نحو الموصل وهو مراهق، فامتحنه الشعراء في قول الشعر، وأجلوه وعظموه، ثم استقر لدى صاحب بن عباد فالحقه بخدمة عضد الدولة.

الثعالبي: بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، القاهرة ١٩٥٦، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٥) التتوخي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٦٩.

شَتَان بَيْن مَدْبَر وَمَدْمَر صِيد اللَّيْوْثُ حَصَائِدُ الْغَزْلَانِ
رَوْعَتُهُ مِنْ بَعْدِ دَهْرٍ رَاعَنِي وَسَقِيَّتُهُ مَا كَانَ قَبْلَ سَقَانِي
فَلَقَدْ سَهَرْتَ لِيَالِيَا وَلِيَالِيَا حَتَّى رَأَيْتُكَ يَا هَلَالَ زَمَانِي

٨- قطر الندى زوجة المعتضد:

تذوقت قطر الندى^(١) الأدب والشعر، وعندما أصبحت زوجة المعتضد أنشأت في القصر، حلقة تجتمع فيها الشواعر والأدبيات ليتناقشن في الأدب والشعر.

٩- أم الشريف بنت عيسى:

كانت أم الشريف بنت عيسى بن الشيخ عبد الرزاق شاعرة ذات عقل وحكمة وبلاغة، فعندما حاصر المعتضد آمد التي تحصن فيها محمد بن أحمد بن عيسى، أرسلت أم الشريف إلى ابن أخيها محمد تطلب منه أن لا يقف في وجه المعتضد، قائلة^(٢):

إِقْبَلْ نَصِيحَةَ أُمِّ قَلْبِهَا وَجَع عَلَيْكَ خَوْفًا وَإِشْفَاقًا وَقَلْ سَدَدَا
وَلَا تَثِقْ بِرَجَالٍ فِي قُلُوبِهِمْ ضَغَائِنُ تَبْعَثُ الشَّنَآنَ وَالْحَسَدَا
أَعْطِ الْخَلِيفَةَ مَا يَرْضِيهِ مِنْكَ وَلَا تَمْنَعْهُ مَالًا وَلَا أَهْلًا وَلَا وَلَدَا

ثم أرسلت كتاباً إلى الخليفة المعتضد، تمدحه بهذه الأبيات^(٣):

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ وَالْإِمَامِ الْمَرْضَى رَأْسُ الْخَلَائِقِ مِنْ قَرِيشِ الْأَبْطَحِ
بِكَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا بَعْدَ الْفَسَادِ وَظَالِمًا لَمْ تَصْلَحِ
وَتَزَحَّزَحْتَ بِكَ قُبَّةَ الْعِزِّ الَّتِي لَوْلَاكَ بَعْدَ اللَّهِ لَمْ يَتَزَحَّزَحِ
وَأَرَاكَ رَبِّكَ مَا تَحِبُّ فَلَا تَرَى مَا لَا يَحِبُّ فَجَدَ بِعَفْوِكَ وَأَصْفَحِ

أعجب المعتضد بالله بهذه الأبيات، فأمر بأن يحمل إليها تخوت الثياب والمال، وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد بن عيسى مثل ذلك، بعد العفو عنه.

(١) عمر كحالة: أعلام النساء، ج ٤، ص ٢١٢.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٧٦.

(٣) المسعودي: المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٧٦.

ثانياً: دور المرأة الجارية في الشعر

تسابق النخاسون في صقل أذهان الجواري وتنافسوا في تطويع ألسنتهن وتفننوا في إظهار جمالهن، والإعلان عن ميزاتهن في الجمال والأدب والثقافة، لتصل أخبارهن إلى إسماع الخلفاء والأمراء والقادة والأغنياء، فيشتروهن بأعلى الأثمان.

وقد يعرض النخاس بعض هؤلاء الجواري المثقفات الجميلات على الخليفة، فيجري لها امتحان أمامه. فيشتريها إذا ما رضى عنها أو يرفضها.

وقد تهدي الجارية الجميلة المثقفة إلى الخلفاء أو الوزراء أو الأمراء، لتتحول بجمالها وذكائها وحسن أدبها إلى المحظية الأثيرة أو الزوجة أو أم الأولاد. وتتداول كتب التاريخ والأدب، الكثير من شعر الخلفاء والأمراء والقادة في جواريهم، غزلاً أو وصفاً أو مدحاً أو رثاءً... بعدما استطاعت الجواري الأثريات أن يملأن المجالس أنساً وبهجة وفناً وشعراً^(١).

لذلك، اهتم النخاسون بتتقيف الجواري وتعليمهن صنوف الآداب والفنون، لأن قيمة الجارية ومكانة النخاس بمقدار ما تتقنه الجارية من آداب وفنون ومعارف^(٢).

ومن أبرز الجواري الشواعر: عنان، فضل اليمامية، سعاد، بنان، ريا، ظمياء، محبوبة، وسلمى اليمامية.

١- عنان جارية النطاف:

كانت عنان^(٣) من أذكى النساء وأشعرهن. كانت جارية لرجل يدعى الناطفي من أهل بغداد. وهي من مولدات اليمامة. وقيل: المدينة اشتهرت ببغداد، وكان العباس بن الأحنف يهواها، ولها أخبار معه ومع أبي نواس وغيرها. ماتت بخراسان سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م.

(١) سوزي حمود: دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في البلاط العباسي الثاني (٢٣٢-٨٤٧/٨٤٥م)، أطروحة دكتوراه، جامعة بيروت العربية، كلية الآداب، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٧٨.

(٢) واجدة الأطرقجي: المرأة في أدب العصر العباسي، ص ٥٣.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢، ص ٥٢١-٥٣٢.

ابن ظافر، علي الأزدي: بدائع البدائة، تحقيق محمد أبو الفضل، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٤٩.

ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص ٣٧-٥٣.

قال القالي: عنان الشاعرة اليمامية كانت بارعة الأدب سريعة البديهة، وكان فحول الشعراء يساجلون لها فتنتصف فيهم.

قال بكر بن حماد الباهلي: لما انتهى إليّ خبر عنان، وأنها ذكرت لهارون، وقيل له: إنها أشعر الناس وخرجت معترضاً لها فما راعني إلا الناطفي مولاها قد ضرب على عضدي فقال لي: هل لك فيما سنح من طعام وشراب ومجالسة عنان؟ فقلت: ما بعد عنان مطلب، ومضيئنا حتى أتينا منزله، فعقل دابته، ثم دخل، فقال: هذا بكر شاعر باهلة، يريد مجالستك اليوم، فقالت: لا والله أني كسلانة، فحمل عليها بالسوط، ثم قال لي: ادخل، فدخلت ودمعها ينحدر كالجمان في خدها، فطمعت بها فقلت^(١):

هذي عنان اسبلت دمعها كالدّر إذ يستن من خيطه

ثم قلت لها: أجيّزي، فقالت:

فليت من يضربها ظالماً تجف يميناه على سوطه

فقلت لها: إن لي حاجة، فقالت: هاتها، فمن سبك أؤذينا.

قلت لها: بيت وجدته على ظهر كتابي لم أقرضه، ولم أقدر على إجازته، قالت: قل،

فأنشدتها:

فما زال يشكو الحب حتى حسبته تنفس من أحشائه وتكلما

قال: فأطرقت ساعة ثم أنشدت:

وبيكي فأبكي رحمةً لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دماً

حدث إبراهيم بن عمر قال: كان الرشيد قد استعرض عنان جارية الناطفي ليشتريها،

وقال لها: أنا والله أحبك، ثم أمسك عن شرائها، فجلس ليلة مع سماره فغناه بعض من حضر من

المغنيين بأبيات جرير حيث يقول:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا

فطرب الرشيد لها طرباً شديداً، وأعجب بالأبيات، وقال لجلسائه:

هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات بمثلهن، وله هذه البدرة؟ وبين بديه بدرة من دنانيز -

قال: فلم يصنعوا شيئاً، فقال خادم على رأسه: أنا لك بها يا أمير المؤمنين. قال: شأنك، فاحتمل

البدرة، ثم أتى الناطفي فقال له: استأذن لي على عنان، فأذنت له. فدخل وأخبرها الخبر، فقالت:

ويحك: وما الأبيات؟ فأنشدها إياها فقالت له: اكتب^(٢).

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢، ص ٥٢٤.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ٥٧.

هـبـجـت بـالـقـول الـذي قـد قـلـتـه داء بقلبي ما يـزال كـمـينا
قـد أـيـنـعت ثـمـراتـه فـي حـيـنـها وشـقـين مـن مـاء الـهـوى فـروـينا
كـذب الـذيـن تـقـولـوا يـا سـيـدي ان القـلوب إذا هـوين هـوينا

ولها في مدح جعفر البرمكي قولها لذكر براعته في حل الأمور إذا ما التبتست، وتصفه بسعة الصدر والحزم في الرأي، وهي تقول^(١):

بـديـهـتـه وفـكـرـتـه سـواء إذا التبتست على الناس الأمور
وصـدر فـيـه للـهم اتـسـاع إذا ضاقت من الهم الصدور
واحـزم ما يـكـون الـدهـر رـيا إذا عجز المشاور والمشير

وقد فاضت عنان حسرة، بعد وفاة مولاهما النطاف، وبكت خشية أن تطول حياتها بعده، إذ لا انتفاع لها بالبقاء، وأخذت تقول^(٢):

نـفـسـي عـلى حـسـراتـها مـوقـوف فوددت لو خرجت مع الحسرات
لـو فـي يـدي سـيـاق أـيـامـي إذا خطـرفـتـهن تـعـجـلا لـوفـاتـي
لا خـير بـعـدك فـي الـحـيـاة وإنـما أبـكـي مـخـافـة أن تـطـول حـيـاتـي

٢- فضل اليمامية جارية المتوكل على الله:

كانت فضل اليمامية^(٣) من جواري المتوكل على الله، وهي سمراء، حسنة الوجه، أدبية، فصيحة، مطبوعة في قول الشعر، متقدمة لسائر نساء زمانها فيه^(٤).

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) ابن الساعي: نساء الخلفاء، تحقيق مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، ص ٥٢.

(٣) فضل اليمامية: (ت ٢٥٧هـ/٨٧١م) ولدت في اليمامة، ونشأت في البصرة. حملت أمها بها من مولى لها من عبد القيس، فمات وهي حامل بها، فباعها ابنه علي، فولدت على سبيل الرق. ثم اشتراها أحد النخاسين ويدعى حسنوية بعشرة آلاف درهم، وبلغ خبرها محمد بن الفرغ الرخجي، فابتاعها وأهداها إلى المتوكل. وتوفت سنة ٢٥٧هـ/٨٧١.

الأصفهاني: الأغاني، ج ١٨، ص ١٥٥. وج ١٩، ص ٣٠١.

(٤) الأصفهاني: الإمام الشواعر، تحقيق نوري القيسي وبنس السامرائي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٨٦، ص ٥٠.

وكانت فضل اليمامية بارعة في إجازة الشعر بسرعة بديهة وبلاغة معنى. وتميزت بالقدرة على كتابة الرسائل في براعة وجودة ومثانة، حتى قيل عنها: "لو أن أفاضل الكتاب وكبراءهم وأمثالهم أخذوا عنها لما استغنوا عن ذلك"^(١).

وكانت فضل الشاعرة، تجلس في مجلس المتوكل على كرسي تقارض الشعراء بحضرته. وعندما طلب إلى علي بن الجهم أن يقول بيتاً لتجيزه فضل، قال:

لاذ بها يشتكى إليها فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت فضل، ثم قالت^(٢):

ولم يزل ضارعاً إليها تهطل أجفانه رذاذا
فعاقبوه فزاد عشقاً فمات وجدا فكان ماذا

ومن قولها:

إن من يملك رقي مالك رق الرقاب
لم يكن يا أحسن العـالم هذا في حسابي

وقالت:

لأكتمن الذي بالقلب من حرق ولا يقال شكا من كان يعشقه
حتى أموت ولم يعلم به الناس^(٣) إن الشكا لمن تهوى هي الياس
عند الجلوس إذا ما دارت الكاس ولا أبوح بشيء كنت أكتمه

وسألها المتوكل: أشاعرة أنت؟ فقالت: كذا يزعم من باعني واشتراني، فقال: أنشدينا، فقالت:

استقبل الملك إمام الهدى عام ثلاث وثلاثين^(٤)
خليفة أفضت إلى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرينا

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٨، ص ١٦٧.

ابن ظافر الأزدي: بدائع البدائنة، ص ١٥٠.

(٢) ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص ٨٧.

السيوطي: المستطرف في أخبار الجواري، ص ٥٢.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٠، ص ٢٢٧.

(٤) المصدر نفسه: ج ١٩، ص ٢٥٨.

إنا لَنرجو يا إمام الهدى أن تملك الناس ثمانينا
لا قدس الله امرءاً لم يقل عند دعائي لك آمينا

فاستحسن الأبيات، وأمر لها بخمسة آلاف درهم:

ومستفتح باب البلاء بنظرة تزود منها قلبه حسرة الدهر
فأجابته مسرعة:

فو الله ما يذري أتدري بما جنت على قلبه أم أهلكته وما تدري

وخرج المتوكل متوكئاً على جاريته فضل وبنان، فقال لهما: أحيزا:

تعلمت أسباب الرضا خوف عتبها وعلمها حبي لها كيف تغضب^(١)
وقالت فضل:

تصد وأدنوا بالمودة جاهدا وتبعد عني بالوصال وأقرب
وقالت بنان:

وعندي لها العتبة على كل حالة فما منه لي بد ولا عنه مذهب

عتب عليها سعيد بن حميد أن كانت تحديق النظر إلى بنان، فقالت:

يا من أطلت تفرسي في وجهه وتنفسي^(٢)
أفديك من متدلل يزهي بقتل الأنفس
هبنني أسأت وما أسأ ت بلي أقر أنا المسي
أحلفتني ألا أسأ رق نظرة في مجلسي
فنظرت نظرة مخطئ أتبعتهـا بتفـرس
ونسيت أني قد حلفـ ت فما عقوبة من نسي

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٩، ص ٢٦.

(٢) الأصفهاني: المصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٠١.

وأنشدها أبو دلف المجلي:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة

فقال فضل مجيبة له:

إن المطيية لا يلذ ركوبها
والدر ليس بنافع أصحابه

وقالت بلسان المتوكل:

علم الجمال تركتني
ونصبتني يا منيتي
فأرقتني بعد الدنـ
فلو أن نفسي فارقـت
ما كان ضرك لو وصلـ
برسالة تهـدينها
أو لا فطيف في المنا
صلة المحب حبيبـه

وكتب إليها أحدهم شعراً فأجابته:

الصبر ينقص والسقام يزيد
أشكوك أم أشكو إليك؟ فإنه
إني أعوذ بحرمتي بك في الهوى

وكتب بعضهم شعراً يتشوق به إليها، فأجابته:

لعمري إلهي إنني بك صبة
لمن أنت منه في الفؤاد مصور

أشهى المطي إلي ما لم يركب
نظمت وحنة لؤلؤ لم تثقب

ما لم تذلل بالزمام وتركب^(١)
حتى يؤلف للنظام بمثقب

في الحب أشهر من علم^(٢)
غرض المظنة والـتهم
و فـصرت عندي كالحـم
جسمي لفقدك لم تـلم
ت فـخف عن قلبي الأـلم
أو زورة تحـت الظـلم
م فلا أقل من اللـم
الله يعلمـه كـرم

والدار دانية وأنت بعيد^(٣)
لا يستطيع سواهما المجهود
من أن يطاع لديك في حـسود

فهل أنت يا من لا عدت مثيب^(٤)
وفي العين نصب العين حين تغيب

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٩، ص ٢٥٨.

(٢) الأصفهاني: المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٢٥٩.

(٣) الأصفهاني: المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٢٦٠.

(٤) الأصفهاني: المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٢٦١.

على أن بي سقما وأنت طبيب

فثق بوداد أنت مظهر مثله

وكتبت إلى سعيد بن حميد:

لأقصر عن أشياء في الهزل والجد^(١)
وذاك وأخلو فيك بالبت والوجد
عدو فيسعى بالوصال إلى البعد

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى
ولكنني أبدي لهذا مودتي
مخافة أن يغرى بنا قول كاشح

فكتب إليها سعيد:

وأهـى جفوني أن تبثك ما عندي
بنا فانظري ماذا على قاتل العمد

تنامين عن ليلي وأسهره وحدي
فإن كنت لا تدريين ما قد فعلته

قال أبو يوسف ابن الدقاق الضرير: صرت أنا وأبو منصور الباخري إلى منزل فضل
الشاعرة، فحجبنا عنها، وانصرفنا وما علمت بنا، ثم بلغها مجيئنا وانصرافنا، فكرهت ذلك رغمها،
فكتبت إلينا تعتذر:

ولكن أمر الله ما عنه مذهب^(٢)
بصفح وعفو ما تعود مذب

وما كنت أخشى أن تروا لي زلة
أعود بحسن الصفح منكم وقبلنا

لقيها بعضهم صبيحة قتل المعتز وهي تبكي وتقول:

ما كان أغفلنا عنه وأسهاننا^(٣)
ما لي وللدهر ما للدهر لا كانا

إن الزمان بذحل كان يطلبنا
ما لي وللدهر قد أصبحت همته

وقالت:

في قدح كالكوكب الزاهر^(٤)
فوق قضيب أهيف ناضر

سلافة كالقمر الباهر
يديرها خشف كبدار الدجى

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٩، ص ٢٦٣.

(٢) الأصفهاني: المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٢٦٤.

(٣) الأصفهاني: المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٢٦٨.

(٤) الأصفهاني: المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٢٦٩.

على فتى أروع من هاشم مثل الحسام المرهف الباتر

ومن جوارى المتوكل اللواتي لهن مقدرة على قول الشعر:

سعاد وبنان^(١)، وريا وظمياء، والشاعرة محبوبة التي أهداها ابن طاهر من خراسان إلى المتوكل على الله^(٢).

٣- سلمى اليمامية جارية أبي عباد:

اشترى أبو عباد جاريته سلمى اليمامية من نخاس مكي قدم بها عليه، فلما جاءه بها أراد أن يمتحنها، فأنشد لفضل الشاعرة ولسعيد بن حميد^(٣):

من لمحب أحب في صغره فصار أحوثة على كبره
من نظر شفنه وأرقه فكان مبدا هوا من نظره

وقال لها: أخبريني ما سمعت، فقالت غير متوقفة:

ما إن لها مسعد فيسعه بالليل في طوله وفي قصره
لولا التمني لمات من كمد والزوج فيما أرى على أثره

ثالثاً: دور المرأة الجارية في الغناء

حفل المجتمع العباسي بعدد كبير من القيان، أي الجوارى المغنيات اللواتي يعدهن النخاسون للغناء والمجالسة، إما في دور أصحابهن، أو يخرجن إلى دور من يطلبهن لقاء أجر. وقد أفرد أبو الطيب الوشاء، في كتابه الموشى، باباً في "صفة ذم القيان"^(٤) جاء فيه بكل طريف نادر وهو يصفهن ويتكلم عن تصرفاتهن.

(١) السيوطي: المستطرف في أخبار الجوارى، ص ١٢.

عمر كحالة: أعلام النساء، ج ١، ص ١٤٨.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٩، ص ٣١١.

الإمام الشواعر، ص ١١٧-١٢٠.

(٣) ابن ظافر الأزدي: بدائع البدائ، ص ١٢٥-١٢٦.

(٤) الوشاء: الموشى، تحقيق كمال مصطفى، طبعة ثانية ١٩٥٣، ص ١٣٤.

كان النحاس، يقيم بدور الوسيط، في بيع وشراء الجواري المغنيات، لأنه أصلاً هو تاجر الرقيق، ويعلم مكان وجود الجواري بعد بيعهنّ ويطلع على أحوال أصحابهنّ، إذا ما ضاقت الأحوال بهنّ، فيضطرونّ لبيعهنّ.

١- تدريب الجواري على الغناء وبيعهنّ:

ذكر التنوخي قصة بعنوان "الوليد بن يزيد ودحمان المغني"^(١) يشرح فيها كيف يشتري المغني إحدى الجواري بمائتي دينار^(٢)، لتقيم عنده، حيث تلتقي بكبار المغنين، حتى تحذق نعمة الغناء، فيبيعها بعشرة آلاف دينار^(٣).

وتدور هذه القصة حول دحمان المغني^(٤)، الذي كان جمالاً، يتجر، فالتقى بجارية تبكي، وكانت مملوكة لامرأة من قريش^(٥)، فساومها بها، حتى استقر الأمر بينهما على مائتي دينار، فاشتراها. وأقامت عنده مدة، تتدرب على يديه، وعلى يدي استاذة معبد ونظرائه من المغنين. ثم خرج بها إلى الشام، وقد حذقت. وعندما اقترب من الشام، ألقى عليها لحنه^(٦):

وإني لآتي البيت ما أن أحبه وأكثر هجر البيت وهو حبيب
وأغضي على أشياء منكم تسوؤني وأدعى إلى ما سركم فأجيب

فحفظت الجارية هذا اللحن بسرعة، واندفعت تغنيه، فسمعها أحد المسافرين، فطرب، وامتلأ سروراً، حتى قرب وقت الرحيل، فعرض أن يشتريها، فطلب دحمان عشرة آلاف دينار،

(١) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٣٠-١٣٣.

الأصفهاني: الأغاني، ج ٦، ص ٢٥-٢٧.

(٢) التنوخي: المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٣٢.

(٤) عبد الرحمن بن عمرو الملقب دحمان الأشقر: أخذ الغناء عن معبد، ونبغ واشتهر في أوائل العهد العباسي، واتصل بالمهدي، وتوفي في أيامه.

الأصفهاني: الأغاني، ج ٦، ص ٢١-٣١.

(٥) التنوخي: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٣٠.

(٦) التنوخي: المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٣١.

فوافق المسافر وسطر كتاباً إلى وكيله، حتى يدفع الثمن ويتسلم الجارية^(١)، وعندما وصل دحمان إليه، عرف أنه وكيل أمير المؤمنين الوليد بن يزيد الذي كان مسافراً دون أن يعرف أحد هويته، وهو بدوره لا يعرف أن دحمان المغني هو الذي باعه الجارية المغنية، وأصبح دحمان أثيراً عنده^(٢).

وكان البعض يمتنع عن عرض الجارية المغنية، إلا في داره، فيأتي النخاس إليه ومعه المشتري. فعندما وصف اسحاق بن إبراهيم الموصللي للوزير جعفر بن يحيى، جارية مغنية، تباع في البصرة، ومولاهما ممتنع عن عرضها إلا في داره، عزم الوزير جعفر على التوجه إليها، مستخفياً بعمامة وطيلسان ونعل عربية، ومعه اسحاق والنخاس^(٣). وعندما دخلوا البيت، خرجت الجارية، وفي يدها عود. فأمرها الوزير جعفر بالغناء، فجلست وضربت ضرباً حسناً، واندفعت تغني^(٤):

إن يمس حبلك بعد طول تواصل	خلقاً ويصبح بيتكم مهجوراً
فلقد أراني والجديد إلى بلا	دهراً بوصلك راضياً مسروراً
جذلاً بمالي عندكم لا أبتغي	بدلاً بوصلك خلة وعشيراً
كنت المنى وأعز من وطئ الحصى	عندي وكنت بذاك منك جديراً

وقد طلب الشاب صاحب الجارية ثلاثة آلاف دينار.

واشترى الخليفة المعتمد على الله الجارية المغنية "نبت" بثلاثين ألف درهم، بعدما عرضت عليه، وامتحنها في الغناء والكتابة^(٥).

واشترى اسحاق الموصللي الجارية شارية، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي، فتعلمت أصول الغناء على يديه^(٦).

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٣٣.

(٣) التتوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٣٣١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٣٢.

(٥) الأصفهاني: الإمام الشواعر، ص ١٣٠.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٥، ص ٣٢٠-٣٢٨. عمر كحالة: أعلام النساء، ج ٢، ص ٢٨٠.

وعندما يحضر المشتري يفحص الجارية بحضور أحد كبار المغنين والنخاس^(١).

وتمن الجارية المغنية الحسنة، يكون أحياناً، مائتي دينار^(٢)، أو ألف دينار أو ثلاثة آلاف دينار^(٣) أو عشرة آلاف دينار^(٤) وأحياناً يصل ثمن الجارية المغنية المشهورة إلى مائة ألف دينار^(٥)، كما حصل لبدعة الكبرى جارية عريب.

ومن أشهر الجواري المغنيات دنانير، هدية، فريدة الكبرى، فريدة المحسنة، عريب، بدعة الكبرى، وشاجي.

٢- دنانير جارية يحيى بن خالد البرمكي (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م).

كانت دنانير^(٦) جارية لرجل من أهل المدينة، فأحسن تدريبها، حتى أصبحت أروع الناس للغناء القديم والشعر، وقد أخذت عن فليح وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وابن جامع ونظرانهم، ولها كتاب مجرد في الأغاني. اشتراها الوزير يحيى بن خالد البرمكي، فأخذت بمجامع قلبه، ونبغت في بيته^(٧).

وقد سمع الخليفة هارون الرشيد غناء دنانير، فاشتد إعجابه بها، ووهبها هبات سنوية منها عقد ثمنه ثلاثون ألف دينار^(٨).

وبعد نكبة البرامكة، على يد هارون الرشيد، أقامت دنانير على الوفاء لهم ولمولاها الوزير يحيى بن خالد البرمكي، وقالت المراثي فيهم، ورفضت أن تغني بعدهم لأحد. فعندما أمرها الخليفة هارون الرشيد بالغناء في حضرته، أبت، فأمر بضربها، ثم رق لها فأطلق سراحها. وظلت وفية للبرامكة حتى توفت سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م)^(٩).

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٤ ص ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٨.

(٢) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٧ ص ١٣١.

(٣) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٤ ص ٣٥٤ - ٣٣٦.

(٤) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٧ ص ١٣٢.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ١٢٩.

(٦) دنانير (ت ٢١٠هـ/٨٢٥م): مغنية صفراء، من أحسن الناس وجهاً وأظرفهن، وأحسنهن أدباً، اشتراها الوزير يحيى بن خالد البرمكي، وكان الخليفة هارون الرشيد معجباً بها، وقد أطلقها بعد نكبة البرامكة، وتوفت سنة

(٧) (٢١٠هـ/٨٢٥م). عمر كحالة: أعلام النساء، ج ١، ص ٤١٧.

(٨) أمل كوسا: دور المرأة في المجتمع العباسي، ص ٢٠٠.

(٩) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٨، ص ١٣.

(٩) عمر كحالة: أعلام النساء، ج ١، ص ٤١٧.

٣- هدية جارية ابراهيم بن المهدي

اختلف الأمين مع عمه ابراهيم بن المهدي^(١)، ذات يوم، فبعث ابراهيم إليه هدية ورقعة يعتذر فيها، فرد الأمين الهدية ولم يجب عن الرقعة. "فوجه ابراهيم إليه جارية مليحة مغنية، كان قد رباها، وعلمها الغناء، وبعث معها عوداً معمولاً من العود الهندي، مكللاً بالجواهر، وألبسها حلّة منسوجة بالذهب، وقال أبياتاً، وغنى فيها، وألقى عليها الأبيات حتى حفظتها"^(٢).

وعندما وقفت الجارية بين يدي الأمين، قالت: عمّك وعبدك يقول... واندفعت تغني:

هتكت الضمير برد اللطف	وكشفت هجرك لي فأنكشف
فإن كنت تنكر شيئاً جرى	فهب للعمومة ما قد سلف
وجد لي بالصفح عن زلّتي	فبالفضل يأخذ أهل الشرف

فسر الأمين بها، وعندما سألها عن اسمها، قالت: هديّة، وبه سمّاني أنفأ، لما أهداني إلى أمير المؤمنين، ثم بعث إلى عمه ابراهيم ورضي عنه، وأمر له بخمسين ألف دينار^(٣).

٤- فريدة الكبرى وفريدة المحسنة

عرف الغناء العربي، نهاية العصر العباسي ومطلع العصر العباسي الثاني مغنيتين لهما صنعة جيدة، بإسم فريدة، هما فريدة الكبرى وفريدة المحسنة.

ولدت فريدة الكبرى في الحجاز، إلى آل الربيع فتعلمت الغناء في دورهم، ثم صارت إلى البرامكة، وعقب نكبتهم هربت. ثم آلت إلى الخليفة محمد الأمين، وإثر وفاته تزوجت الهيثم بن مسلم، ومن بعده السندي بن الحرشي الذي ماتت عنده.

^(١) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور (ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م): ولد في بغداد سنة (١٦٢هـ/٧٢٧م)، ونشأ فيها. وولي دمشق للخليفة هارون الرشيد مرتين، ولما قتل الأمين أعلن نفسه خليفة ببغداد، فاستمر سنتين (٢٠٢-٢٠٤هـ/٨١٧-٨١٩م). ولما قدم المأمون ببغداد، استتر ست سنوات، حتى عفا عنه سنة (٢١٠هـ/٨١٥م) بناء لطلب زوجته بوران بنت الحسن بن سهل، وكان يعير بأمه السوداء "شكله" كما كان يعير بالغناء، ويعير بنو العباس.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٩، ٤١.

الأصفهاني: الأغاني، ج ١٠، ص ١٣٢.

^(٢) التتوخي: الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٣٧١.

^(٣) المصدر نفسه، ج ١ ص ٣٧٢.

أما فريدة المحسنة^(١) فكانت للمغني عمرو بن بانة، فأهداها إلى الخليفة الواثق، فترتب مع صاحبة لها تدعى خلا. وكانت موصوفة ومحسنة، لذلك عرفت بفريدة المحسنة. وكانت حسنة الوجه والغناء، وحادة الفهم والفتنة. ويبدو أن المتوكل، كان يميل إليها، قبل توليه الخلافة، فلما مات الواثق ظلت فريدة المحسنة وفية له.

لم تثبت فريدة المحسنة على وفائها للواثق، فقد تزوجها أخوه المتوكل الذي أراد إعجاباً بها، فولدت ابنه أبا الحسن.

٥- عريب جارية المأمون (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)

عريب هي شاعرة أدبية، مغنية، ولدت ببغداد سنة (١٨١هـ/ ٧٩٧م)، كانت من أحسن النساء وجهاً وأفصح لساناً، ولغنائها ديوان مفرد نم شعرها والصنعة فيه لها. وقد أعجب بها الخليفة المأمون فقربها حتى نسبت إليه، فأصبحت تعرف باسم عريب المأمونية^(٢).

عاشت عريب المأمونية ستاً وتسعين سنة، وذاعت شهرتها طويلاً، وبخاصة زمن المأمون والمتوكل والمستعين بالله والمعتز بالله والمعتمد على الله.

ويبدو أن عريب المأمونية أحببت أكثر من شخص، كما أحببت محمد بن حامد في عهد المأمون، فقد عشقت صالح المنذري الخادم وتزوجته سراً في عهد المتوكل، وقالت فيه شعراً، وصاغت فيه لحناً.

٦- بدعة الكبرى (ت ٣٠٢هـ/ ٩١٤م)

كانت بدعة الكبرى جارية عريب^(٣)، أحسن أهل دهرها وجهاً وغناء^(٤) وعُرفت ببدعة الكبرى، لتمييزها عن بدعة الحمدونية التي عرفت ببدعة الصغيرة^(٥).

(١) السيوطي: المستظرف في أخبار الجواري، ص ٤٩.

ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص ١٠٠.

(٢) عريب المأمونية (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م): ولدت ببغداد سنة (١٨١هـ/ ٧٩٧م)، وبدأت شهرتها عهد الخليفة المأمون.

وهي شاعرة أدبية، مغنية، من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود. توفت بسمراء عن ست

وتسعين سنة، وذلك سنة (٢٢٧هـ/ ٨٩٠م). الأصفهاني: الاماء الشواعر، ص ١٣٩-١٤١.

(٣) التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ١ ص ٨٩، ١٣٢، ٢٧١ وج ٨ ص ٣٠.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢١ ص ٥٥، ٧٤، ٨٤ وج ٢٢ ص ١٧٩، ١٨١، ١٨٢.

الشابشتي: الديارات، ص ٦٤، ٩٩.

(٥) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٢ ص ٦٦.

وكان إسحاق بن أيوب الثعلبي يهواها، فلم تفكر فيه حتى التقيا^(١) فعندما سمع غناءها ازداد شغفه بها، ومالت إليه بعد الانحراف عنه، والنفار من ذكره، وكانت تبعث بالشعر وتقوله، فكتبت إليه^(٢):

كيف أصبحت سيدي وأميري	عشت في كل نعمة وحبور
علم الله كيف كان اغتباطي	ونعيمي وبهجتي وسروري
بلقاء الأمير لا عدمت نفـ	سي وعيني لقياه من أمير.

لما قدم المعتضد من الشام، ومعه وصيف، دخلت إليه بدعة، يوم جلس للشرب، فقال لها: أما ترين الشيب كيف اشتعل في رأسي ولحيتي، فقالت له:

عمرك الله يا سيدي أبداً حتى ترى أولاد أولادك قد شابوا، فأنت في الشيب أحسن من القمر، وقالت هذه الأبيات، وغنته فيها:

ما ضررك الشيب شيئاً	بل زادت فيه جمالاً
قد هدبتك الليالي	وزدت فيها كمالاً

٧- شاجي جارية عبيد الله

ذاعت شهرة شاجي المغنية عهد الخليفة المعتضد بالله الذي كان إذا استحسن شعراً بعث به إليها لتلحنه وتغنيه. وكانت "شاجي جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين^(٣) الذي أحبها وتزوجها ثم رثاها، حينما توفت، بقوله^(٤):

زرعت وشاجي بيننا في شبيبتي	غراس الهوى فاعتم بالثمر العذب
فشاب بنو شاجي لظهري وأدركوا	وشاب بنوهم وهي مالكة قلبي

(١) السيوطي: المستطرف في أخبار الجواري، ص ١٣، ١٥.

(٢) الأصفهاني: الأماء الشواعر، ص ١٤١.

(٣) أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م): ولد سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م، وهو أديب، شاعر، ولده المعتز بالله إمارة بغداد. وله مؤلفات في اللغة والأدب والسياسة.

الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٣٥٠.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ٩، ص ٤٠.

وهذا القول، يشير إلى أن شاجي وعبيد الله رزقا بالعديد من الأبناء.

وتبقى أشهر الجواري المغنيات، هنّ اللواتي، يحالفهنّ الحظ، ليدخلنّ قصور الخلفاء والوزراء والأمراء. مثل دنانير جارية الوزير يحيى بن خالد البرمكي، التي كانت تنهال عليها الهدايا والهبات السنية، حتى أن الخليفة هارون الرشيد أهداها عقد ثمنه ثلاثون ألف دينار. وكانت هدية جارية إبراهيم بن المهدي الذي أهداها إلى ابن أخيه الخليفة المأمون، وبعث معها عوداً مكللاً بالجواهر، وألبسها منسوجة بالذهب، فحصل منه على خمسين ألف دينار. كما أعجب المأمون، أيضاً بالشاعرة المغنية عريب، فقربها حتى نسبت إليه، وأصبحت تعرف باسم عريب المأمونية.

وإذا كانت دنانير وهدية وعريب المأمونية قد عشنّ في قصور الخلفاء وجمعنّ المال، فإنّ جواريهنّ المغنيات ما لبثنّ أن وصلنّ بدورهنّ إلى المال والجواهر، كما حصل مع بدعة الكبرى جارية عريب المأمونية، حينما حظيت لدى الخليفة المعتضد بالله، فكان يخلع عليها، ويحمل معها ثياباً فاخرة، وخلفت، بعد وفاتها، مالا كثيراً وضياعاً.

رابعاً: استنتاجات

كان للخلفاء في العصر العباسي مجالس للطرب والغناء يحضرها الشعراء والأدباء والمغنون والمغنيات والراقصات والموسيقيون والملهون. وحظيت الجواري الشوارع والمغنيات بمرتبة عالية لدى بعض الخلفاء والوزراء، بدءاً من الوزير يحيى بن خالد البرمكي الذي اشتهرت جاريته دنانير في الغناء، والمأمون الذي اشتهرت جاريته عريب، دون اغفال المرأة الحرة التي اشتهرت في الشعر مثل عليّة بنت المهدي وقطر الندى زوجة المعتضد.

وكان المعتمد على الله شغوفاً بالطرب والغناء والموسيقى، وله مجالس دونت في أنواع من الأدب. ويعود انتشار الغناء إلى كثرة الجواري، فقد كان معظم الفتيات اللاتي يحترفن الغناء في بغداد أواخر العصر العباسي الثاني من الجواري.

وكانت مجالس الغناء والطرب أكثر انتشاراً في العصر العباسي الثاني من العصر العباسي الأول بدليل رسوم لنساء يرقصن، عُثر عليها في أنقاض بعض القصور في أطلال مدينة سامراء. وهذه الرسوم، تعود إلى محاكاة العرب للفرس والبيزنطيين، فمزجوا بين الفنون التي اطلعوا عليها في البلاد المفتوحة التي كانت خاضعة للفرس والبيزنطيين، فكان لهم ما أرادوا فنوناً عربية إسلامية خالصة، وفي طليعتها الخط العربي الذي زخرفوا به حيطان المساجد.

وقد تطور فن الغناء مع تطور الموسيقى، في العصر العباسي نتيجة لتأثر المجتمع العباسي بالفرس والبيزنطيين، ولانتشار الجواري وتشجيع الخلفاء للمغنين والمغنيات والموسيقيين بالهدايا والأموال.

كان المتوكل، أول خلفاء البلاط العباسي الثاني، من أكثر الخلفاء تشجيعاً لأساتذة الموسيقى علناً وجهرًا، كما شجع المغنيات، وفي طليعتهنّ: فريدة وشارية وعريب ومحبوبة، لتتضم إليهنّ نبت عهد المعتمد على الله، وشاجي عهد المعتضد بالله، وصلفة عهد المقتدر بالله مع الإشارة إلى تراجع مجالس الغناء والطرب منذ عهد القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٤٣م) الذي منع إقامة مثل هذه المجالس.

وعلى الرغم من محاولة بعض الخلفاء وعلماء الدين والأئمة، في حث الناس للإقلاع عن مجالس المغنين والمغنيات وسماع الموسيقى، فقد كان العصر العباسي مزدهراً في فن الموسيقى والغناء، وحفلت قصور الخلفاء بمجالس اللهو والغناء والرقص والطرب، في الوقت الذي كان فيه هذا البلاط يبرز تحت نفوذ الأتراك، وما يرافق ذلك من انهيار سياسي وصراع حول السلطة والنفوذ، لم تغب عنه المرأة التي نشطت في السياسة والاجتماع والثقافة والاقتصاد، كما نشطت في مجالس اللهو والغناء والرقص والطرب.

الفصل الرابع

تطور دور المرأة في العلوم الدينية والزهد والتصوف

أولاً: دور المرأة في العلوم الدينية

- ١- أم أحمد الأنصارية
- ٢- سمانة بنت حمدان
- ٣- أم عيسى (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)
- ٤- ستيتة المحاملي (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٨م)
- ٥- أم الفتح (ت ٣٩٠هـ / ٩٩٩م)

ثانياً: موقف أمهات الخلفاء من النصارى

- ١- موقف زبيدة أم الخليفة محمد الأمين
- ٢- موقف شجاع أم الخليفة المتوكل على الله
- ٣- موقف مخارق أم الخليفة المستعين بالله
- ٤- موقف شغب أم الخليفة المقتدر بالله
- ٥- موقف ظلوم أم الخليفة الراضي بالله

ثالثاً: دور المرأة في الزهد والتصوف

مقدمة عن التصوف والزهد والفرق بينهما ومدرسة رابعة بالتصوف

- ١- رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ / ٨٠١م)
 - (أ) دور رابعة العدوية في تحول الزهد نحو التصوف
 - (ب) التوبة من منظار رابعة العدوية
 - (ج) الأدوات التي استخدمتها للتوبة
 - (د) تطور معنى الحج لدى رابعة العدوية
 - (هـ) الخلعة ومقامها عند رابعة العدوية
 - (و) تطور معنى الإيمان مع رابعة العدوية
- ٢- آسيا البغدادية (ت ٢٥٩هـ / ٨٧٢م)
- ٣- آمنة الرملية
- ٤- خزامى
- ٥- الزاهدات الصوفيات بشيراز
- ٦- الزاهدات الصوفيات (في مختلف المناطق التي تحت الحكم العباسي)

رابعاً: دور المرأة في الاعتزال

خامساً: استنتاجات

أولاً: دور المرأة في العلوم الدينية

أسهمت المرأة الحرة، في المجتمع العباسي الثاني، في الحياة الثقافية، وتبوأ منزلة لا يستهان بها، على الرغم ما فرض عليها من حجر وحجاب^(١).

فكانت الفتاة العادية تلقن مبادئ الدين وبعض الفنون المنزلية التي تحتاجها في إدارة شؤون البيت، ما يجعلها مطلعة على أمور الدين بصورة عامة وبعض أمور الدنيا. أما بنات الأغنياء، فيتجاوزن ذلك إلى تعلم القراءة والموسيقى والإطلاع على أسرار اللغة وقرض الشعر والمنطق، وغيرها من العلوم والآداب^(٢).

وأشهر النساء الحرائر في العلوم الدينية: عبدة بنت عبد الرحمن، سمانة بنت حمدان، أم عيسى بنت ابراهيم، أمة الواحد، وأمة السلام.

١- أم أحمد الأنصارية

برزت عبدة بنت عبد الرحمن أم أحمد الأنصارية^(٣)، وقيل أنها كانت محدثة ذات دين وفصاحة، حدثت عن أبيها، وروى عنها محمد بن مخلد الدوري العطار (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م) وسليمان بن أحمد الطبراني.

٢- سمانة بنت حمدان

كما برزت سمانة بنت حمدان^(٤) الأنبارية، وهي محدثة، حدثت عن أبيها، وروى عنها أبو بكر الشافعي وأبو القاسم الطبراني.

٣- أم عيسى (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)^(٥)

كانت أم عيسى بنت ابراهيم بن اسحاق الحربي امرأة فاضلة عالمة، تعنى في الفقه.

(١) واجدة الأطراقجي: المرأة في أدب العصر العباسي، ص ٤٦.

(٢) محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب، ص ١٥٠.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٢٣٩ وج ١٤ ص ٤٣٩.

(٤) عمر كحالة: أعلام النساء، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٤٢.

٤- أمة الواحد (ت ٣٧٧هـ/٩٨٨م)

أمة الواحد واسمها ستيتها^(١) (ت ٣٧٧هـ/٩٨٨م)، هي بنت القاضي المحاملي، حفظت القرآن الكريم، ودرست الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وقد حدثت وكانت تغني، وكتب عنها الحديث.

٥- أم الفتح (ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م)

أمة السلام بنت القاضي أبي بكر وتكنى أم الفتح^(٢) (ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م). وقد سمعت علماء عصرها وحدث عنها القاضي التتوخي وأثنى عليها ووصفها بالديانة والعقل والفضل.

ثانياً: موقف أمهات الخلفاء من النصارى

حدد القرآن الكريم، الوضع القانوني لأهل الكتاب، وسمح لهؤلاء النصارى واليهود الذين لم يدخلوا في الإسلام بأن يستمروا في الإقامة بدار المسلمين. وكانوا يتمتعون بحماية (ذمة) المسلمين، ويعفون من الخدمة العسكرية^(٣)، على شرط أن يخضعوا للشريعة الإسلامية ويؤدوا الجزية، لذلك سمو بأهل الذمة أو الذميين.

وعلى الرغم من أن النصارى يمثلون أقلية في البلاط العباسي، إلا أن الخلفاء وأمهات الخلفاء والأمراء والقادة استعانوا بهم بشكل لافت، فبرز منهم الأطباء والكتاب. وإن تعرضوا أحياناً للإقصاء عن مراكزهم، فليس لأنهم نصارى، فقد كان أصحاب المراكز من المسلمين يتعرضون لمثل هذا الإقصاء. بالعكس، نجد أن نساء القصور شملوا النصارى برعاية خاصة، أثروا من خلالها، بعدما ارتفعت مكانتهم داخل البلاط العباسي وبخاصة مع السيدة زبيدة ابنة جعفر بن المنصور وزوج الرشيد وأم المأمون، هي عربية خلفت ذكرى كأعظم ما يكون لكبرى سيدات البلاط العباسي الأول، وكانت أول من عطف على النصارى في العصر العباسي بأسره، فكانت تميل إليهم وتستخدمهم^(٤). وكذلك سارت على هذا المنوال شجاع أم المتوكل ومخارق أم

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٤٤٣.

(٣) عمر كحالة: أعلام النساء، ج ٢، ص ١٧-٣٠.

(٤) مصطفى جواد: سيدات البلاط العباسي، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٧، ص ٤٥-٥١.

المستعين وشغب أم المقتدر وظلوم أم الراضي وليس بالضرورة أن يكون الأصل الرومي لكل من مخارق أو شغب أو ظلوم، قد أسهم في عطف كل منهن على النصارى، فشجاع من أصل خوارزمي، وقد كانت أول من عطف على النصارى في العباسي الثاني.

١- موقف زبيدة أم الخليفة محمد الأمين:

كانت زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد وأم الخليفة محمد الأمين، وهي عربية ابنة جعفر بن المنصور، أول من عطف على النصارى في العصر العباسي، فكانت تميل إليهم وتستخدمهم^(١).

ولعل عطف زبيدة على النصارى، هو الذي أدى إلى إطلاق اسمها على القناطر الرومانية خارج بيروت، وهي التي عرفت باسم قناطر زبيدة، علماً أن الرومان هم الذين أقاموا هذه القناطر^(٢).

٢- موقف شجاع أم الخليفة المتوكل على الله:

تكاثر أهل الذمة من يهود ونصارى في الدواوين وزادوا على الحد، حتى أزاحوا المسلمين وحلوا محلهم في خدمة شجاع أم الخليفة المتوكل، وهي خوارزمية، وفي بطانة أهل الخليفة وأقاربه. وكان سلمة بن سعيد^(٣) كاتباً لدى شجاع أم المتوكل الذي كان بدوره يأنس به ويحضره^(٤).

فهل يعود الفضل لشجاع أم المتوكل في قصة ارتقاء سلمة بن سعيد إلى هذه الرتبة لدى المتوكل مع أنه نصراني وقيل أنه أدى دوراً بارزاً في الاقتراء على قوم من المسلمين ليهلكهم، ما حدا بالمتوكل لإعطاء الأمر بتنفيذ إجراءات تمييزية تستهدف أهل الذمة في عام (٢٣٥هـ/٨٥٠م). ولعل المتوكل، أراد بهذه الإجراءات كسب مساندة الشعب وعلماء أهل السنة،

(١) آبوت نابيا: المرأة والسياسة في الإسلام، ص ١٣٧.

(٢) سوزي حمود: الدولة العباسية، ص ٦٦.

(٣) التتوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ١٠٠-١٠٤.

(٤) جان موريس فييه: أحوال النصارى في خلافة بني العباس، دار المشرق، طبعة أولى، بيروت ١٩٩٠،

بعد أن شعر الكتاب المسلمون في الدواوين، بتكبر الكتاب النصارى الذين يطمعون في إزاحتهم من أماكنهم، فاندفع المسلمون إلى الثورة على الكتاب النصارى، وجاراهم المتوكل في لعبة سياسية لتقوية مركزه. ومما لا شك فيه، أن المسلمين كما النصارى تعرضوا للمصادرة التي أصبحت سبيلاً للحصول على المال كلما اشتكى بيت المال من القلة.

لذلك، يمكن القول أن التدابير التمييزية التي لجأ إليها المتوكل ضد الكتاب النصارى، هي تدابير لا أصل لها في القرآن الكريم ولا في تعاليم الإسلام، وقد يلجأ إليها بعض الخلفاء لأسباب سياسية، مع التأكيد على أن ما استهدف أهل الذمة من مصادرة وهدم منازل أو ما قيل إنه إجراءات تمييزية، قد استهدف أيضاً المسلمين في فترات مختلفة، لأسباب تتعلق بتوطيد مركز الخليفة إذا ما شعر بالضعف والحاجة إلى المال، فيبدو وكأنه يقف إلى جانب مذهبه السني، ضد المذاهب الأخرى.

وهل يمكن التساؤل، عما كان دور الفتح بن خاقان وزير المتوكل، في مثل هذه الإجراءات التمييزية، وهو يمثل النفوذ التركي لدى الخليفة؟ ألم يكن للأتراك تأثير فكري أيضاً، ينتصرون فيه لمذهبهم السني، في رد تركي على الشعوبية التي غلب عليها النفوذ الفارسي؟ فالإسلام العربي الذي تخلص من تأثير البيزنطيين عندما غادروا دمشق، لاقى اليونان ثنائية في ترجمات بيت الحكمة زمن المأمون، وصار يتراوح، أسوة بالخلافة، بين النفوذين التركي والفارسي، ليغلب النفوذ التركي في العصر العباسي الثاني، والنفوذ البويهى الفارسي في العصر العباسي الثالث. وهذه الأسئلة لم يجب عنها يوليوس جرمانوس في كتابه عن دور الأتراك في الإسلام.

ولا يجوز إغفال دور شجاع أم المتوكل في العطف على النصارى، مع أنها خوارزمية، فلم تجد غضاضة في جعل سلمة بن سعيد كاتباً لها، وهو نصراني أصله من الأنبار. ولما كان كاتباً لها، قدم لابنها الخليفة المتوكل إفطاراً كلفه ثلاثة آلاف دينار. وبطلب من شجاع، أذن له المتوكل بركوب الحمار في القصر^(١). فقد كان رؤساء اليهود والنصارى يركبون حميراً مصرية فارهة، ومنها النفيس الغالي الثمن ما يقارب أثمان أوساط الخيل.

(١) ابن الزبير، القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي). الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله. الكويت ١٩٥٩، الحكاية ٣٤.

٣- موقف مخارق أم الخليفة المستعين بالله:

تابعت مخارق أم المستعين بالله سياسة شجاع أم المتوكل في الاعتماد على النصارى، بعد فترة قصيرة لم تستمر أكثر من ستة أشهر، هي خلافة المنتصر بالله التي تفصل بين مقتل والده المتوكل سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) ومبايعة ابن عمه المستعين بالله سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م).

وكان على النصارى، كغيرهم من رعايا الخلفاء في البلاط العباسي الثاني، أن يختاروا أحد المتنافسين على الخلافة، وأن يدفعوا ثمن غلطهم في الاختيار. وتجلّى ذلك في سلمة بن سعيد النصراني كاتب مخارق أم المستعين بالله، ومخارق هي صقلبية، كانت تصنع ما تشاء بابنها الخليفة المستعين الذي كان بدوره لا يمنعها شيء تريده. وقد انعكس هذا الأمر على كاتبها النصراني سلمة بن سعيد، الذي دارت حوله الشبهة سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م)، ومع ذلك، فإن دار سلمة ودار ابراهيم بن مهران "العسكري" وهو نصراني أيضاً، سلمتا من نهب الأتراك^(١).

وهذا الأمر يشير إلى مكانة مخارق أم المستعين بالله، ودورها في رعاية النصارى^(٢)، ومع ذلك فإن ابنها المستعين انتهى قتلاً على يد سعيد الحاجب وبحضور فضلان الطبيب النصراني، وهو لا يتجاوز الخامسة والثلاثين، وذلك سنة (٢٥١هـ/٨٦٦م).

٤- موقف شغب أم الخليفة المقتدر:

استفاد النصارى من رعاية السيدة شغب أم المقتدر، في الوقت الذي صدر فيه أمر الخليفة المقتدر سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م)، بإبعاد النصارى واليهود عن كتابة الدواوين، وحصرهم في الصيرفة والطب، وفرض عليهم لبس الغيار وغيره من العلامات المميزة في زيّ الثياب^(٣).

(١) جان موريس فييه: أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ص ١٦٤.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢، ص ٤٢.

(٣) عريب بن سعيد القرطبي: صلة تاريخ الطبري، تحقيق ميكال يان دي خويه. ليدن ١٨٩٧م، ص ١٢١.

ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ثلاثة عشر جزءاً، القاهرة ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م، ج ٣، ص ١٦٥.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٠٨.

ويبدو أن السيدة شغب أم المقتدر، وهي رومية وقيل تركية، ساعدت الجاثليق ابراهيم الثالث إبرازاً في الحصول على قرار ضد بطريك الروم الملكيين الياس الأول الذي قدم إلى بغداد سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) لسياسة أسقف للعاصمة. واضطر الوزير علي بن عيسى لفرض غرامة على البطريك الياس الأول واخذ توقيعه بأنه لا يحق له أبداً التلقب بلقبه الجاثليق ببغداد ولا بتسمية مطران مقيم بها. وبذلك شكل عهد المقتدر بالله، بفضل رعاية السيدة شغب، اعترافاً بتفضيل جاثليق النساطرة ابراهيم على غيره من الرؤساء الدينيين النصارى من يعاقبة وملكانية^(١). وكان الوزير علي بن عيسى، وهو رجل يتحدر من آباء نصارى، يضمّر حقداً حقيقياً على الجاثليق ابراهيم الثالث، وعمل ما استطاع عمله ليجرده من امتيازاته، أثناء وزارته الأولى (٣٠١-٣٠٤هـ/٩١٣-٩١٦م). ولكن يبدو أن السيدة شغب استمرت في رعايتها للجاثليق ابراهيم، ولأطباء النصارى الذين استفادوا بدورهم من رعايتها، بعدما أنشأت أربعة مارستانات ببغداد^(٢). وقد بلغ عدد أطباء بغداد، نهاية عهد المقتدر، الثمانمائة والستين برئاسة سنان بن ثابت الصابئ "النصراني".

ولعل حب المال والولع بالثروات الكبيرة، كان يجمع بين السيدة شغب أم المقتدر، والجاثليق ابراهيم الثالث إبرازاً الذي لم يفلت من حمى المال التي سيطرت على عهد المقتدر بالله أو دولة السيدة شغب، وهي بالطبع دولة النساء فالكل على استعداد دائم للبيع أو للشراء.

والجاثليق ابراهيم الثالث نفسه، قد انتخب بعدما سخا في توزيع المال، وكان لا بد من أن يملأ خزائنه، ومما أخذ عليه من باب المتاجرة بالمراتب الدينية أنه عين ثلاثة مطارنة على نصيبين بعد أن أخذ مالا من كل منهم. ومن حسن حظه إن اثنين وافاهما الأجل، فخلت كرسي المطرانية للثالث^(٣).

وعلى الرغم من موقف السيدة شغب أم المقتدر المتعاطف مع النصارى، من جهة، ومعاملتها الحسنة للقاهر، أخ المقتدر، لما كان في السجن^(٤)، من جهة ثانية، فقد لاقت أنواع

(١) جان موريس فييه: المرجع السابق، ص ١٩٤.

(٢) آدم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٣) جان موريس فييه: المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٤) ابن العبري: المرجع السابق، ص ٥٥.

الفضائع بعد خلع ابنها وقتله، على يد القاهر الذي بوع بالخلافة، واختار طبيبه النصراني ابن العطار^(١)، أن "يركن إليه ويفضي إليه بأسراره"^(٢). ولعل هذا الطبيب النصراني هو الذي ألهم أنواع الفضائع وسفك الدماء ولا سيما ما أنزل منها بالسيدة شغب أم المقتدر سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م).

٥- موقف ظلوم أم الخليفة الراضي بالله:

كانت السيدة ظلوم أم الراضي بالله، من أصل رومي، وليس بالضرورة أن يكون هذا الأصل سبباً لوقوفها إلى جانب الطبيب النصراني بختيشوع بن يحيى الذي واجه بعض المتاعب. فقد أعطى هذا الطبيب هارون أخا الخليفة الراضي شربة قوية مات فيها هارون في سنة (٣٢٤هـ/٩٣٦م).

وكان الخليفة يحب أخاه، فحزن عليه حزناً عظيماً، ولكنه أبى أن ينتقم لأخيه من الطبيب بختيشوع معتبراً إياه "ما تعتمد ذلك"، ولكنه أعمى القلب قصير العلم بليد الفكر مرزوق في أيامه، محظوظ^(٣). لذلك اكتفى بنفيه إلى الأنبار، ويظن ابن تغرى بردى أن الطبيب تعمد قتل هارون^(٤).

تدخلت السيدة ظلوم لدى ابنها الخليفة الراضي بالله الذي اضطر إلى إعادة الطبيب بختيشوع بن يحيى من منفاه نزولاً عند طلب السيدة أمه^(٥)، وما لبث بختيشوع أن مات سنة (٣٢٩هـ/٩٤١م)^(٦). علماً أن هذا الطبيب بختيشوع بن يحيى هو غير بختيشوع بن جبرائيل طبيب

(١) ابن العطار (٢٧١-٣٥٨هـ/٨٤٤-٩٦٨م): هو عيسى بن يوسف المعروف بابن العطار، الطبيب النصراني الأثير لدى الخليفة القاهر بالله الذي لم يضغط عليه، كما فعل مع رئيس أطباء بغداد سنان بن ثابت الصابي الذي حمله الخليفة على الإسلام، وعمي قبل سنتين من وفاته.

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٥٤-٥٦.

(٢) ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد (ت ٦٨٨هـ/١٢٧٠م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ثلاثة أجزاء. دار الثقافة، بيروت، طبعة رابعة (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٣٢٠.

القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٦٦.

(٣) جان موريس فييه: أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ص ٢٠٨.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٥٧.

(٥) الهمداني، محمد بن عبد الملك، ت (٥٢١هـ/١١٢٧م): تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت كنعان، بيروت: طبعة ثانية، ١٩٦٢م، ص ٩٣.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٣٧٨.

المتوكل وأحد أكابر النصارى الذين نعموا بحظوة الخلفاء، فقد كان ينتقل من داره إلى قصر الخلافة بعربة من خشب الأبنوس وكان في خدمته ما يقارب الألف شخص، ويملك الأموال والضياع والعبيد والإماء^(١).

وعهد الرازي بالله، برزت قضية تركة أبي بشر عبد الله بن فرجويه^(٢) سنة (٣٢١هـ/٩٩٣م)، وهو رجل نصراني من النساطرة. وكانت أرملته وراء هذه القضية التي تتمثل بأن أبا بشر، وهو من رجال الوزير ابن الفرات الثقات، قد أوصى بدفع سبعة آلاف دينار من تركته إلى الجاثليق إبراهيم الثالث إبرازاً "حبر بغداد الأوحـد" لينفقها في وجوه الاحسان. وإذ تنكرت أرملة الرجل للوصية، رد الجاثليق بتحريم إقامة المراسم الدينية للفقيد أبي بشر، ولم يجرؤ أي من رجال الكنيسة على مخالفة أمر الجاثليق، باستثناء شماس واحد اسمه موسى رضي بالصلاة على الميت نظراً لصلة القرابة مع آل الفقيد، فتعرض إلى غضب الجاثليق وسخطه.

لجأت أرملة ابن فرجويه إلى أم الوزير ابن الفرات، وهنا يبدو دور المرأة في مواجهة أحد كبار رجال الدين النصارى الملقب بـ "حبر بغداد الأوحـد"، والذي نجح في إثارة رهبان بغداد وكتابها وطلابها وقساوستها وأطبائها في تظاهرة صاحبة احتشدت عند باب الوزير. واستجيب في الحال لشكوى الجاثليق إبراهيم^(٣)، وطردت الأرملة وسلمت إلى الجاثليق ليستوفي منها الدين وقدره سبعة آلاف دينار. وهذا يعني فشل أرملة ابن فرجويه المدعومة من أم الوزير ابن الفرات، ونجاح الجاثليق إبراهيم المدعوم من أبي الحسن سعيد بن عمرو (أو عمرو) بن سنجلا (أو سنكلا) كاتب الرازي قبل أن يبايع بالخلافة، وبعد مبايعته بالخلافة عينه كاتباً خاصاً بولديه ثم قلده زمام ديوان النفقات.

وكان الرازي لا يفعل إلا ما يريده ابن سنجلا الكاتب^(٤). ويبدو أن السيدة ظلم أم الرازي بالله، لم تتدخل في مثل هذه القضية التي تخص النصارى أنفسهم، حيث يقف فيها حبر بغداد الأوحـد الجاثليق إبراهيم مدعوماً من ابن سنجلا الذي تحول إلى زعيم الطائفة النسطورية الحقيقي في أثناء فترة خلو كرسي الجثثة بموت إبراهيم في شعبان (٣٢٥هـ/حزيران ٩٣٧م).

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٢) جان موريس فييه: أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ص ٢٠٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

ثالثاً: دور المرأة في الزهد والتصوف

كان للتطور الشامل الذي حدث في العصر العباسي الأول أثره الكبير في انتشار ظاهرة الزهد وذكر الموت والحساب والعقاب والثواب. وما لبث الزهد، إن اكتسب أبعاداً فلسفية وروحية وفكرية، واتخذ رسوماً وأنماطاً، تحول معها إلى التصوف في العصر العباسي الثاني.

تعود ظاهرة الزهد إلى وجود طبقة معينة، استفادت من العصر العباسي الأول الذهبي، مع تدفق الأموال عليها دون غيرها، لتعيش حياة الترف والبلذخ والإباحية، مع ازدياد الجواني والقيان وانتشارهن في كل مكان يبيتن الفسوق والمجون والخلاعة واللهو. وبالمقابل، كانت ردة الفعل معاكسة تماماً، أحدثت حركة مضادة لدى الذين حرّموا الثروة والملذات ويئسوا من الحصول عليها، أو الذين أوتوا من العقل والاعتزان ما جعلهم ينكرون أعمال الطبقة المنغمسة في اللهو والمجون، وينادون برفض هذه الأعمال، على الرغم من قدرتهم على الانغماس فيها، فأسهموا في توسع حركة الزهد. دون إغفال فئة من الطبقة المنغمسة في اللهو والمجون، ما لبثت أن رأت تفاهة ما هي فيه، فتحوّلت إلى الزهد تبغي التوبة، وتبالغ في ذلك، في الوقت الذي تطورت فيه العلوم وانتشرت، فتولّف مدرسة دينية وفكرية وروحية جديدة عنواناً الزهد في العصر العباسي الأول، والتصوف في العصر العباسي الثاني^(١).

وأشهر النساء في الزهد والتصوف: رابعة العدوية، آسيا البغدادية، آمنة الرملية، خزامى.

١- رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ/٨٠١م):

(أ) دور رابعة العدوية في تحول الزهد نحو التصوف:

تعتبر رابعة العدوية^(٢). في العصر العباسي الأول، أبرز شخصية نسوية أحدثت تحولاً مهماً في تقدم الزهد نحو التصوف الذي تكرر في العصر العباسي الثاني، فهي التي وضعت

(١) سوزي حمود، دور المرأة في البلاط العباسي الثاني، ص ٢١.

(٢) رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ/٨٠١م): ولدت في أسرة فقيرة، فذاقت مرارة الفقر والحرمان، قبل أن يجرفها تيار اللهو والمجون في البصرة. وما لبثت أن أفافت من ذلك، واعتزلت الناس، لتطهر نفسها من شوائب الحياة المادية، زاهدة في الحياة الدنيا وخيراتها، فاختارت حياة الحرمان والشظف، تشد الاتصال الروحي بالله. فصورت في شعرها مذهبها الزهدي القائم على الاستغراق في حب الذات الإلهية. توفت سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م)، وقيل سنة (١٨٥هـ/٨٠١م).

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٨٦.

عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي (رابعة العدوية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.

حركة الزهد على أعتاب الحب الإلهي فهي لا تعبد الله خوفاً من النار أو طمعاً بالجنة، وإنما تعبده استغراقاً في الحب لذاته. ولم تكن رابعة العدوية وحيدة زمانها في الزهد، وإنما أشهرهن في التصوف.

ورابعة العدوية هي أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية مولاة آل عتيك البصرية، صالحة مشهورة من أهل البصرة، ومولدها بها، كانت تصلي أكثر الليل، وتنام أقله فإذا وثبت من مرقدتها خاطبت نفسها بقولها: يا نفس كم تتامين وإلى كم تتامين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور، وكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت، ومن وصاياها:

اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم. ولما حضرتها الوفاة دعت خادمتها عبدة وقالت لها: يا عبدة لا تؤذني بموتي وكفني في جبتي هذه، وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون، فكفنتها عبدة في تلك الجبة وفي خمار صوف كانت تلبسه، سنة ١٨٥هـ/ ٨٠١م^(١).

من شعرها قولها في الذات الالهية:

يا سروري ومنيتي وعمادي	وأنيسي وعدتي ومراذي
أنت روح الفؤاد أنت رجائي	أنت لي مؤنس وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وأنسي	ما تشئت في فسيح البلاد
كم بدت منة وكم لك عندي	من عطاء ونعمة وأياد
حبك الآن بغيتي ونعيمي	وجلاء لعين قلبي الصادي
ليس لي عنك يا حبيب براح	أنت مني مكن في الفؤاد
إن تكن راضياً علي فإني	يا منى القلب قد بدا إسعادي

وقالت^(٢):

إني جعلتك في الفؤاد محدثي	وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس	وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

^(١) شاعرات العرب: تحقيق عبد البديع صقر، المكتب الإسلامي، طبعة أولى، ١٩٦٧م، ص ١٢٤.

^(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٥.

وقالت:

وما لسواه في قلبي نصيب
ولكن عن فؤادي ما يغيب

حبيب ليس يعدله حبيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي

وقالت:

أ للزاد أبكي أم لطول مسافتي
فأين رجائي فيك أين مخافتي

وزادي قليل ما أراه مبلغني
أحرقني بالنار يا غاية المنى

وخطبها الحسن البصري، فردته وقالت:

وحبيبي دائماً في حضرتي
وهواه في البرايا محنتي
فهو محرابي إليه قبلتي
وأعنائني في الورى واشقوتي
جد بوصل منك يشفي مهجتي
نشأتني منك وأيضاً نشوتي
منك وصلاً فهو أقصى منيتي

راحتي يا اخوتي في خلوتي
لم أجد لي عن هواه عوضاً
حيثما كنت أشاهد حسنه
إن أمت وجداً وما ثم رضى
يا طبيب القلب يا كل المنى
يا سروري يا حياتي دائماً
قد هجرت الخلق جمعاً أرتجي

وقالت ^(١):

وجباً لأنك أهل لذاك
فشغلي بذكرك عمن سواك
فكشفك لي الحجب حتى أراك
ولكن لك الحمد في ذا وذاك

أحبك حبين حب الهوى
فأما الذي هو حب الهوى
وأما الذي أنت أهل له
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي

(ب) التوبة من منظار رابعة العدوية

التوبة عند رابعة لا تتم بالمجهود بقدر ما تتم بالفضل من الله. روى القشيري ^(٢): "قال رجل لرابعة: إني قد أكثر من الذنوب والمعاصي؛ فلو تبت، هل يتوب علي؟ فقالت: لا، بل لو تاب عليك لتبت". فهي كانت لا تثق في قدرتها على الظفر بالتوبة لمجرد استغفارها وإقلاعها عن ذنوبها، بل كان لا بد لها من رضا الله: فهو وحده الذي يتوب على الناس المخطئين؛ فلو لم

^(١) شاعرات العرب، ص ١٢٦.

^(٢) "الرسالة القشيرية"، باب التوبة، ص ٤٨، القاهرة سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.

يتب، لم تتحقق لديهم التوبة. وهي نظرية نجد لها نظائر عدة في التصوف المسيحي، خصوصاً في كل ما يتصل بفكرة فضل الله La Grace Divine ومن هنا يظهر الجانب السلبي القابل في كل طبيعتها، مما سنراه ظاهراً لديها بكل وضوح، ومن شأن هذا الطابع السلبي أن يزيد من قلقها على نتائج أعمالها. فهي لا تدرى مطلقاً ما إذا كانت توبتها مقبولة عند الله أو غير مقبولة، لأن التوبة ليست فعلاً أو حالاً تحصله بنفسها، بل توهبه هبةً. بهذا نفسر أقوالها التي تدور حول هذا المعنى، مثل قولها: "وأستغفر الله من قلة صدقي في قلبي: استغفر الله"، أو قولها مرة أخرى: "استغفارنا يحتاج إلى استغفار لعدم الصدق فيه"^(١).

٢. آسية البغدادية (ت ٢٥٩هـ/٨٧٢م):

برزت من الزاهدات المتصوفات في العصر العباسي الثاني، آسية البغدادية^(٢). وقيل أن عبد الله بن طاهر، دعاها إليه، حينما علم بأمرها، فلزمت الصمت خمسة أيام بعد قدومها إليه فقال لها: أحرصاء أنت مالك لا تتطقين، قالت: لا، ولكني أقول^(٣):

قالوا نراك تطيل الصمت قلت لهم	ما طول صمتي من عى ولا خرس
الصمت أحمد في الحاليين عاقبه	عندي وأحسن بي من منطق شكس
أنشر البز في من ليس يعرفه	أم أنثر الدر بين العمى في الغلس

٣. آمنة الرملية:

انقطعت آمنة الرملية للزهد والعبادة في العصر العباسي الثاني، وكان أكثر زهاد زمانها يترددون عليها. وحينما زارها بعضهم، قالت لهم: ما شأنكم؟ قالوا: نسألك الدعاء، فقالت: لو أن الخاطبين خرسوا ما تكلمت عجوزكم من البكم والكم ولكن الدعاء سنة، ثم تابعت: جعل الله قراكم

(١) عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، ص ١٢.

(٢) آسية البغدادية (ت ٢٥٩هـ/٨٧٢م): من ربات العبادة والزهد والتقوى والصلاح. عكف عليها العام والخاص، وتوفت سنة (٢٥٩هـ/٨٧٣م).

عمر كحالة: أعلام النساء، ج ١، ص ٧.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ٢٦٤.

من بيتي الجنة وجعل ذكر الموت بيني وبينكم على بال وحفظ علينا الإيمان وهو أرحم
الراحمين^(١).

٤. خزامي:

عرف البلاط العباسي الثاني نوعاً من الزهد، تلجأ إليه الجواري، اللاتي سبق أن ملأن
الدنيا عبثاً ومجوناً وفجوراً، حينما تشعرن بقرب الموت، فقد تمتد السنون ببعضهن، فتتأثر في
نفوسهن بعض نزاعات إلى الزهد والتوبة، كما حصل لخزامي.

كانت خزامي جارية مغنية محسنة وشاعرة ظريفة، نادمت ابن المعتز وهو حدث، ثم
تركت اللهو والشرب، بعدما تقدمت في السن، لتظهر الزهد والتوبة، حينما راسلها ابن المعتز
مراراً، وتأخرت عنه، قبل أن تجيبه أخيراً برسالة تشكره فيها، وتعتذر إليه اعتذاراً رقيقاً، بعدما ولى
شرح الشباب، وزجرتها ألسن الدهر عن المضي في سبيل اللهو والمجون^(٢)، وقالت فيها:

أتاني قريض يا أميري محبر	حكي لي نظم الدر فصل بالشذر
أنكرت يا ابن الأكرمين أنابتي	وقد أفصحت لي السن الدهر بالزجر
وأدبني شرح الشباب ببينة	فيا ليت شعري بعد ذلك ما عذري

٥. الزاهدات الصوفيات بشيراز:

على الرغم من أن التتوخي، لا يحب المتصوفة، وقد سخر منهم، إلا أنه لم يتعرض
لرموز المتصوفية، مثل رابعة العدوية وغيرها من الزاهدات المتصوفات، وحتى لم يذكرهن أبداً،
وما ذكره هو السخرية من الصوفية في شيراز، حيث يقول: "وأمر الصوفية هناك مفرط جداً،
حتى يقال إن عددهم ألوف، رجال ونساء"^(٣).

ففي قصة "ابن خفيف شيخ الصوفية بشيراز يتكلم على الخطرات والوساوس"^(٤)، يذكر
التتوخي: "إن بشيراز رجلاً يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك، يجتمعون إليه،

(١) عمر كحالة: المرجع السابق، ج ١، ص ١٠.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٠، ص ٢٩٤.

(٣) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ٢٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ٣، القصة رقم ١٤٨، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

فيتكلم على الخطرات والوساوس، ويحضر حلقاته ألوف من الناس، وأنه فاره، فهم، حاذق، وأنه استغوى الضعفى من الناس، إلى هذا المذهب^(١).

والخطرات والوساوس أو الهواجس^(٢)، في قول التنوخي، هما من اصطلاحات الصوفية، فالخاطر ما يرد على القلب والضمير في الخطاب، رانياً كان أو نفسياً أو شيطانياً من غير إقامة. والهاجس يعبر عن خاطر، ويسمى نقد خاطر فإذا تحقق في النفس سموه إرادة، ومع الشروع في العقل سموه نية.

ويسخر التنوخي من أمر الصوفية بشيراز، بعد أن يتحدث عن أفكارهم ومذهبهم، مستهجنًا وجود أمثالهم في دار الإسلام، ما اضطر عضد الدولة للقبض على بعضهم وتشتيت البعض الآخر^(٣).

وإذا كان عضد الدولة، قد شنت الصوفية وقبض على بعضهم، بعد أن استفحل أمرهم في شيراز، فإن الوزير أبو محمد المهلبى قبض على رؤساء الصوفية في بغداد خشية اندلاع الفتنة، واستعان بقاضي القضاة أبي السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني^(٤) في محاكمة الصوفية^(٥)، لأنه ضليع في علم التصوف وعالم بأهل الزهد في الدنيا^(٦)، ثم أمر الخليفة بإطلاق سراحهم^(٧).

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٠، ١٩٨. ج ٢، ص ٣٥٦. ج ٣، ص ١١٧-١٢٣، ١٤٤، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٢٨.

(٤) أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م): ولد في همدان سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م). غلب عليه علم التصوف والميل إلى أهل الزهد في الدنيا. سافر إلى بغداد حيث لقي العلماء، وتفقّه على مذهب الشافعي. تقلد قضاء مراغة، وأضاف إليها قضاء أذربيجان. ثم تقلد قضاء بغداد، حتى تقلد منصب قاضي القضاة سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م).

ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٥٣، ٢٥٨.

(٥) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ١٤٤.

(٦) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٥٥.

(٧) عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام، ص ١٦١.

خامساً: دور المرأة في الاعتزال

نشأ الاعتزال في البصرة، مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ثم انتشر في بغداد، فتكونت للاعتزال مدرستان: مدرسة البصرة وتمثل المدرسة النظرية، ومدرسة بغداد وتمثل المدرسة العلمية. وكان الباعث على إنشاء الاعتزال، أن كثيراً ممن دخل الإسلام شكلاً وظاهراً من اليهود والمجوس، أثاروا الشكوك حول الإسلام، وهاجموه مستخدمين في ذلك الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني، فنتسلح المعتزلة بسلاح خصومهم، مستفيدين من الفلسفة اليونانية التي صبغوها بصبغة إسلامية، وجادلوا خصومهم جدالاً علمياً^(١). كان التنوخي متمسكاً بالمعتزلة ويدافع عنها، فهو يثني عليهم كلما ورد ذكرهم، ويسميهـم "أهل الحق"^(٢).

قصة وحيدة تتعلق بالمرأة المعتزلية، وهي بعنوان "اللس والعجوز الجلدة أم الصيرفي"^(٣). ويصف التنوخي هذه العجوز، بأنها "عجوز صالحة، كثيرة الصيام والقيام، وكان لها ابن صيرفي منهمك على الشرب واللعب". وبأنها "معتزلية جلدة". وكان ابنها الصيرفي، يعمل نهاراً، ويعود في المساء إلى منزله، حيث يضع كيس المال عند والدته، ثم يمضي الليل في أماكن اللهو والشرب. فراقبه أحد اللصوص، ولحق به ذات يوم، ودخل وراءه إلى المنزل، دون أن يشعر به. وسلم الصيرفي كيس المال إلى والدته، وخرج ليلاً، فبقيت وحدها، بعد أن خبأت الكيس خلف الباب. ثم قامت إلى الصلاة، وقد فطنت إلى وجود اللص، واستمرت بالصلاة، وما أن دخل إلى الغرفة التي وضعت الكيس خلف بابها، حتى أقفلت عليه الباب، حتى طلعت الشمس، وجاء ابنها، فعرف خبرها، فمضى وأحضر صاحب الشرطة، وفتح الباب، وقبض على اللص.

(١) عصام شبارو: القضاء والقضاة في الإسلام "العصر العباسي". دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣م،

ص ١٤٦، ١٤٧.

(٢) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٩-٣٤١.

سادساً: استنتاجات

لم تكن المرأة في العصر العباسي، بعيدة عن الحياة الثقافية، بل أسهمت فيها، وتبوأت منزلة لا يستهان بها، عبر دورها في العلوم الدينية والأدب والشعر.

ومن الطبيعي، أن تبرز المرأة الحرة في العلوم الدينية، مثل: عبده بنت الرحمن الأنصارية، سمانة بنت حمدان الأنبارية، أم عيسى بنت إبراهيم بن اسحاق الحربي، أمة الواحد "سنتيه"، وأمة السلام "ام الفتح".

وإذا كانت الجواري، قد برعن في الأدب والشعر، والغناء، وبرزن في مجالس اللهو والطرب والرقص، فقد كان للتطور الشامل الذي حدث في البلاط العباسي الأول، أثره في انتشار ظاهرة الزهد التي ما لبثت أن تحولت إلى التصوف في البلاط العباسي الثاني. فأسهمت المرأة الحرة في حركة الزهد والتصوف، على غرار اسهامها في الميادين الأخرى، وبرزت آسية البغدادية وآمنة الرميلية.

لم تقتصر ظاهرة الزهد والتصوف على المرأة الحرة، فهناك نوع من الزهد، تلجأ إليه الجواري، اللائي سبق أن ملأن الدنيا عبثاً ومجوناً وفجوراً، حيناً تشعن بقرب الموت كما حدث لعريب وخزامى.

وثمة ظاهرة مهمة، تجلت في موقف أمهات الخلفاء من النصارى، فقد تطور هذا الموقف من زبيدة أم الخليفة محمد الأمين في العصر العباسي الأولى إلى مواقف شجاع أم الخليفة المتوكل ومخارق أم الخليفة المستعين وشغب أم الخليفة المقتدر وظلوم أم الخليفة الراضي في العصر العباسي الثاني، وهذا يدل إلى مدى العطف الذي حظي به النصارى من أمهات الخلفاء العباسيين.

الفصل الخامس

تطور وضع المرأة الاجتماعي في البيت والعمل

أولاً: وضع المرأة العباسية داخل البيت

ثانياً: المعايير الجديدة لتجمل المرأة وزينتها

ثالثاً: مزاولة الجواري معظم الأعمال

١. الخط والكتابة

٢. الحجامة

٣. الغزل

٤. الماشطات والخبازات

٥. المهن الأخرى

رابعاً: تمسك المرأة الحرة بالتقاليد العربية

خامساً: استنتاجات

أولاً: وضع المرأة العباسية داخل البيت

تباينت المواقف من الزواج والزوجات، ما بين نظرة متعلقة تحرص على الحياة الزوجية والأسرة وتحترم الزوجة الحرة، ونظرة صاخبة عابثة ترى في الزواج عبئاً وهماً وتتفر من الزوجة سيما بعد مرور السنين ونضوب الجمال، وتنتجه نحو الجواري الحسان اللواتي يعج بهن المجتمع العباسي الثاني الزاخر بدور اللهو والعبث والمجون.

لذلك، كثرت الدعوات إلى تفضيل التزوج بالحرائر على التسري بالجواري، وعلى الرغم من هذه الدعوات، فإن صورة الزوجة الحرة تأثرت بالتيارات والظروف الاجتماعية، وخفت صفة قدرتها على التأثير في المجتمع العباسي عما كانت عليه صورة الزوجة الحرة في العصر الأموي.

ومن الظواهر الاجتماعية التي بدت في المجتمع العباسي، الحث على الاكتفاء بزوجة واحدة، إذ لا داعي لتعدد الزوجات ما دام البيت يعج بملك اليمين، وما دامت بيوت المغنيات والراقصات ومجالس اللهو والعبث منتشرة في كل مكان.

ويبدو أن الزوجة الحرة رضخت للأمر الواقع، حينما اعتادت الحياة مع الجواري داخل بيتها، دون أن تتلاشى غيرتها أو تنعدم، وإذا كانت هذه الغيرة قد خفت مع مرور الأيام إلا أن هذا لا يعني إختفاء غيرة النساء على أزواجهن، فقد تبلغ غيرة المرأة الحرة من الجواري إلى حد الجنون بقتل الزوج^(١)، إن لم يجد نفعاً للتوسل بأنواع المكائد والحيل لصرف الرجل عن التعلق بجارية. كما أن الخلاف بين الحرائر الزوجات والجواري السراي كان يشتد أحياناً، وبخاصة عندما ينجب الرجل الواحد من زوجته الحرة العربية ومن الجارية الأعجمية، فيفجر أولاد الحرة على أولاد الجارية.

وتغيرت النظرة إلى الأرملة التي كانت لا تجد حرجاً في الزواج ثانية، فأصبح الرجال يكرهون ذلك، ويعافون المرأة الحرة إذا فارقت زوجاً واحداً. وتلحق السخرية أبناء الأرامل اللواتي تزوجن ثانية، فيقال فيهم الهجاء وترسل إليهم رسائل التعزية مملوءة بالاستخفاف والتندر^(٢). ولم

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص ٢٤٦.

(٢) التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ٢ ص ٢٦٤.

يعد الرجل بحاجة لأن يطلق زوجته إذا ما كبر سنها وذوى جمالها، لأن بإمكانه اتخاذ جارية شابة تكفيه شؤونه وأصبح الأبناء يخلطون من زواج أمهاتهم، بعد وفاة أزواجهن^(١).

ترددت في كتب الأدب والأخبار، أقوال، يدل بعضها على كره البنات والحرص على موتهنَّ والرغبة في الخلاص منهنَّ.

وهذا الموقف السلبي من البنات، في العصر العباسي هو موقف فيه آثار الجاهلية. وعلى الرغم من أن الإسلام قد خفف كثيراً من هذه الآثار، إلا أن جذور التخلف بقيت تبعاً حدثها أحياناً أخرى للظروف والأحوال، حتى العصر العباسي. فالتعزية بفقد الابنة مثل التهنية، لأن من نعم الله، كما يقول البحتري^(٢) "بقاء البنين وموت البنات" حينما قصد أبا الحسن بن الفرات ليعزيه في ابنته، قائلاً^(٣):

ومن نعم الله لا شك فيه بقاء البنين وموت البنات

وعلى الرغم من الموقف السلبي من البنات، فهناك الموقف الإيجابي الذي يصور عطف الأب على الابنة، أو احترام البنات، وبذلك ظهر موقف مختلف في ظرف آخر، وهو موقف ابن الرومي الإيجابي الذي قال في عزاء عن ابنة^(٤):

تعزيت عن أثمرتك حياته ووشك التعزي عن ثمارك أجدر
فلا تهلكن حزناً على ابنة جنة غدت وهي عند الله تحبى وتحبر

وهكذا، يمكن القول، أن الموقف من البنات مختلف متباين، تؤثر فيه الظروف، وتلونه أحوال الأشخاص، فيكون تارة سلبياً وتارة إيجابياً. فتبدو صورة المرأة في العصر العباسي مختلف السمات والملامح تبعاً لاختلاف الظروف وتباين النظرة إليها.

(١) واجدة الأطرقي، المرأة في أدب العصر العباسي، ص ١١٧.

(٢) البحتري (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م): هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي، أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، أبو تمام، والبحتري. وكان يقال لشعره "سلاسل الذهب". وهو في الطبقة العليا.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦ ص ٢١.

(٣) ديوان البحتري: تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف ١٩٦٣م، ص ٣٨٢.

(٤) ديوان ابن الرومي، مطبعة التوفيق الأدبية. القاهرة ١٩٢٤، ج ٢، ص ١٠٤.

ورثى ابن الرومي إمرأته رثاء المحب الوفي، وهو يرى أن من صدق الوفاء أن يستمر في الحزن والبكاء الذي شبهه بالداء، لأنه لا يريد دواءً لدائه، فقال^(١):

عيني سحا ولا تسحا	جل مصابي عن البكاء
تركما الداء مستكناً	أصدق عن صحة الوفاء
وما ابتغاء الدواء إلا	بغيا سبيل إلى البقاء

ثانياً: المعايير الجديدة لعمل المرأة وزينتها

اتجه معظم الخلفاء العباسيين، نحو بناء القصور العظيمة، وتزويدها بفاخر الأثاث والرياش، ولم يلبت أن حذا حذوهم الوزراء والأمراء والقادة.

وعاشت النساء من الحرائر والجواري، في قصور الخلفاء، عيشة البذخ والترف، وهنّ يتجولنّ حول البرك المزينة بالذهب والجواهر والفضة، أو يتنقلنّ بين الغرف المحلاة جدرانها بالفسيفساء والرخام^(٢)، والمفروشة بالبسط الفاخرة والأسرة من الذهب والستور من الديباج.

وتتفنن النساء داخل القصور في اختيار الأزياء الثمينة المحلاة بخيوط الذهب والجواهر، وعلى رؤوسهنّ العصائب المرصعة بالدر والياقوت والأحجار الكريمة، مع التزين بالقلائد والأكاليل والتيجان والخلخل الثمينة^(٣). فقد كان لطغيان العنصر الفارسي في العصر العباسي، أن ترك الفرس بصماتهم واضحة في المجتمع، وبخاصة في ما يتعلق بتعدد الأزياء. فظهر أثر الفرس في ملابس الرجال مثل استعمال القلائس والسروايل والجوارب^(٤)، ليتعدى ذلك إلى أزياء النساء اللواتي أكثرن من استعمال الحلي والمجوهرات، وتفنن في تصفيف الشعر وتزيينه.

تختلف المعايير العامة لجمال المرأة في المجتمع من عصر إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، بسبب اختلاف العوامل الحضارية والاجتماعية.

(١) ديوان ابن الرومي، ج ١ ص ٣١.

(٢) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٣٤.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٥ ص ٦.

(٤) المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ص ٧.

ففي الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي، كانت الصفات المستحبة أغلب الأحيان، تتمثل بالبياض والطول والسمنة^(١) غير المفرطة، وسواد الشعر، وسعة العينين. وكان العرب يقتبسون عناصر الجمال من بقر الوحش^(٢) والظباء والشمس والقمر والمصباح... ويشبهون المرأة بها^(٣).

وتغير الكثير من معايير جمال المرأة، في نظر الرجل، في العصر العباسي، بعدما ازدهرت الحضارة، وعمت المدنية أرجاء المجتمع الحضري على وجه الخصوص. فاعتبر الجاحظ أن معايير الجمال السابقة، غير قادرة على التعبير عن جمال المرأة الحقيقي، والجمال بنظره أروع من ذلك كله^(٤).

وهكذا اتضحت معايير جديدة لجمال المرأة، فأصبحت الصفات المستملحة المستحبة هي البياض أو الصفرة، سواد الشعر وتجعيده، سواد العينين، رشاقة القوام، ضмор الخصر، وثقل الروادف. فأعرض الرجال عن النساء السمينات، وفضلوا عليهن المتناسقات الأعضاء الكاسيات العظام، أي أنهم يقدمون المجدولة^(٥) التي بين السميكة والممشوقة، ولا بد أن تكون كاسية العظام من اللواتي لا سمنة في أجسامهن ولا ترهل. وأعرض الرجال عن البطون ذات العكن، أي ذات الأظواء في البطن من السمنة، وفضلوا الضامرات البطون^(٦). كما صدقوا عن النهود الضخمة الكبيرة، وفضلوا النهود الكواعب.

وظهرت حيل النخاسين في تغيير صفات الجواري وتمويهها حتى تسهل عملية بيعهن. وأشار ابن بطلان إلى حيل النخاسين بقوله^(٧):

(١) صلاح الدين المنجد: جمال المرأة عند العرب. بيروت ١٩٥٧، ص ٢٦، ٣٤.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، الدار القومية، القاهرة (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، ص ٦٢.

(٣) علي الهاشمي: المرأة في الشعر الجاهلي. مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٠م، ص ٩١.

(٤) الجاحظ: مفاخرة الجواري والغلمان. تحقيق شارل بيلا. دار المكشوف. طبعة أولى، بيروت ١٩٥٧، ص ٤٤.

(٥) الجاحظ: المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٦) صلاح الدين المنجد: المرجع السابق، ص ٣٦.

(٧) ابن بطلان: رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد. تحقيق عبد السلام هارون. طبعة أولى

" كن على حذر من شرى الرقيق في المواسم، ففي مثل هذه الأسواق يتم للنخاسين الحيل، فكم من قطيفة بيعت بخصبة وسمراء كمدة بيعت بصفراء مذهبة، ومسموح العجز بثقل الروادف، ويطين بمجدول الحشا، وأبخر الفم بطيب النكهة، وكم صفروا البياض الحادث عن القروح في العين والبرص والبهق في الجلد، وجعلوا العين الزرقاء كحلاء، واكسبوا الشعور الشقر حالك السواد، وجعدا الشعور السبطة، ويبضوا الوجوه المسمرة..."

أقبلت نساء القصور على الأقمشة الثمينة النادرة والأردية الرشيدية والطبرية والنيسابورية والخراسانية^(١)، ولبسن الألوان المختلفة الزاهية المطرزة بالدر والذهب واللؤلؤ، والمصبوغة بالطيب والزعفران مثل الملحم الأصفر والدبيقي المغبر، وهما نوعان من ملابس النساء^(٢).

وتختلف أسماء ملابس النساء^(٣) وألوانهن، باختلاف طبقاتهن، فنساء الطبقة الراقية، لا يلبسن من الثياب ما كان مصبوغاً، أي أنهن لا يلبسن الأصفر والأسود والأخضر والأحمر والمورد، إلا إذا كان اللون من أصله غير مكتسب، فيتخذنه من اللاذ والحرير والديباج والقر والخز والوشي.

لذلك، فإن الجواري القيان أقبلن على الملابس الملونة، وهي من وسائل الإغراء، ومن أهم وسائل الزينة في مجالس الغناء والطرب والرقص، حتى ذكر أيضاً أن الرجال كانوا يلبسون الملابس الملونة في مثل هذه المجالس، وهذا ما شجع على انتشار عملية تلوين ملابس النساء وتصبيغها.

تفننت المرأة في البلاط العباسي في تصفيف شعرها وتطيبه وصبغه وعقسه بمختلف أنواع الوقايات المزركشة المنقوشة بالحرير أو الذهب أو الجواهر، وربما زينته بالأمشاط أو التيجان الذهبية المرصعة بالدر والأحجار الكريمة المختلفة^(٤).

(١) الوشاء: الموشى، ص ١٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١.

(٣) وضع رينهارت دوزي بالفرنسية كتاباً مفصلاً بأسماء الملابس عند العرب:

Dosy Reinhart: Supplement au dictionnaire detaille des noms des vetements chez les Arabes. Paris 1845.

وقد ترجم أكرم فاضل هذا الكتاب إلى اللغة العربية سنة ١٩٧١م، بعنوان "المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب".

(٤) سوزي حمود: الدولة العباسية، ص ١٢٨-١٢٩.

وظهر، في البلاط العباسي نوع من تصفيف الشعر، شاع بين الجواري، وهو قص الشعر أو طمه، ولعل هذه التسريحة خاصة بالغلاميات^(١) من الجواري تشبهاً بالغلمان، وهذا ما جعل ربيعة بنت العباس بن علي زوجة الخليفة المتوكل على الله، ترفض أن تطم شعرها، على الرغم من تهديد زوجها لها بالطلاق إن لم تفعل^(٢)، ومع ذلك اختارت الطلاق على أن تطم شعرها كما تفعل الغلاميات.

كان الخضاب معروفاً لدى العرب منذ العصر الجاهلي، وزادت حاجة النساء في البلاط العباسي الثاني، وبخاصة لدى الجواري، لزيادة حرص النخاسين على تجميلهن، والخضاب هو التلوين بحمرة أو صفرة أو غيرهما. وتفننت النساء في نقش الحناء في الأكف وفي تشكيل الزخارف والنقوش التي تدل على الفن والذوق.

وبلغ من براعة النساء في نقش الحناء، كتابة أشعار الحب والغزل على راحات الأيدي أو على الأقدم، فتختار الجارية ما يكون وسيلة لاستمالة القلوب واصطياد المحبين. كما بلغ من ترف المغنيات، أنهن كنّ يمسحنّ خدودهنّ وشفاهنّ بالحمرة ويطلنّ وجوهن بالبياض^(٣).

وزاد اهتمام المرأة بالحلي في البلاط العباسي الأول ثم الثاني، ويكفي ما أعده الخليفة هارون الرشيد عند زواجه من السيدة زبيدة من الجواهر والحلي والنتيجان وقباب الفضة والذهب^(٤). وتكثر أخبار اقتناء المرأة للحلي في البلاط العباسي الثاني^(٥)، والحلي على أنواع كثيرة أشهرها: الخخال، الخاتم، الدمليج، الأسورة، الحقاب، الشنوف، القرط، الأتّب، القلادة، العقد، المشط التاج، والمنطقة.

(١) الجاحظ: مفاخرة الجواري والغلمان، ص ١٦.

(٢) الجاحظ: المحاسن والأضداد، مكتبة العرفان، بيروت (د.ت)، ص ١٨٦.

(٣) الموشى: الوشاء، ج ٢ ص ٢٤٠.

(٤) الشابشتي: الديارات، ص ١٠٠.

(٥) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٩٢.

ثالثاً: مزاولة الجوّاري معظم الأعمال

كانت أكثر الأعمال موقوفة على الجوّاري والإماء، لعدم التحرج في الإذن لهن بمزاوله ما يستدعي مجالسة الرجال والتحدث معهم أو التنقل من مكان إلى آخر. بينما قلة من الحرائر اللاتي بلغن سناً لا يخشى عليهنّ فيه من مخالطة الرجال، شاركنّ في مثل هذه الأعمال، فبرزت منهنّ، الخطاطة والكتابة، الحجامة، الغزالة، الماشطة، غسالة الموتى، نائحة المآتم، القابلة.... وهذا يعني أن المرأة في العصر العباسي الثاني، على غرار العصر العباسي الأول، كانت تتمتع بشيء من الاستقلال الاقتصادي^(١)، ما وفر لها حرية التصرف في بعض الأمور.

١- الخط والكتابة:

كان الخط مظهراً من المظاهر الثقافية التي يستحسن توفرها في الجارية وكثيراً ما كان الشعراء والكتاب يتغزلون بجمال الجارية ويحسن خطها في آن معاً^(٢). وتناول أبو بكر الصولي (ت ٣٣٦ هـ/٩٤٧م) ذكر ما استحسن من خط الجوّاري أسوة بما ذكره من خط الكتاب^(٣)، وقد امتحن المعتضد بالله الجارية نبت في الكتابة فرضي بما ظهر له من أمرها^(٤).

٢- الحجامة:

اشتغلت المرأة حجارة للنساء. وقد يستفاد أحياناً من المرأة الحجامة في أعمال التجسس ومعرفة أخبار المعارك لقاء أجر يمنحه لها المسؤولون في الدولة^(٥).
والحجامة، هي استخراج الدم من قفا العنق، بأن يشرط القفا بالموسى، ثم يوضع المحجم، وهو أداة تشبه الكأس، فيمتص الدم، ويجتذبه.

(١) ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ج ٥ ص ١٢٧.

الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ١٩٢.

(٢) الصولي: أدب الكتاب، المطبعة السلفية، مصر ١٩٢٢م، ص ٤٨، ٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٤) واجدة الأطرقجي: المرأة في أدب العصر العباسي، ص ٥٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ٦٥.

٣- الغزل:

يعتبر الغزل من الأعمال التي كثيراً ما تقوم بها النساء الحرائر والجواري معاً. وهو من الأعمال التي استحبت للمرأة، لأنها ملهاة أمينة مريحة.

فقد كان الغزل مورد رزق جيد للمرأة تقضي به حاجاتها المختلفة^(١) للدنيا والدين، حتى جعله الإمام أحمد بن حنبل أحل رزق للمرأة، لها أن تحج به إذا شاءت^(٢).

٤- الماشطات والخبازات:

اشتغلت بعض النساء ماشطات^(٣) أو خبازات^(٤) في بيوت الأمراء والقادة والموسرين.

٥- المهن الأخرى:

اشتغلت بعض النساء غسالات للموتى أو نائحات في المآتم^(٥)، أو دايات للنساء، وغيرها من المهن التي تفرضها الظروف الاجتماعية. دون إغفال المرأة التي كانت تساعد زوجها في مهنته إذا ما اتخذ من بيته دكاناً له.

رابعاً: تمسك المرأة الحرة بالتقاليد العربية

كان المجتمع العربي في العصر الأموي، يلفظ الموالي، ويستخف بأولاد الأماء، فحافظت المرأة العربية "الحرة" في هذا العصر إلى حد بعيد، على مكانتها داخل الأسرة وفي المجتمع الذي حافظ بدوره، جهد المستطاع على التقاليد العربية، لا بد أن يفسح المجال أمام الأعجمي غير العربي للانصهار في عروبة المجتمع أو التأثير عليه^(٦).

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤ ص ٤٣٦

(٢) السيوطي: المستطرف في أخبار الجواري، ص ٢١.

(٣) ابن قيم الجوزية: أخبار النساء، دار المدى، دمشق ٢٠٠١، ص ١٠٨.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ج ١٠ ص ٦٩.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ج ٤، ص ٢٦.

(٦) سوزي حمود: الدولة العباسية، ص ١٠٠.

وتغير الحال تماماً في المجتمع العباسي، فلم تعد المرأة العربية "الحرّة" هي أم الخليفة الذي آثر عليها أبناء الجوّاري اللواتي تحولن زوجات للخلفاء ما يعني أن تيار الأعاجم، إشتد في هذا العصر الذي غلب عليه النفوذ الفارسي والتركي، وصار أقوى من إمكانية الحد منه أو القضاء عليه. فأصبحت أم الخليفة إما رومية أو خوارزمية أو صقلية أو تركية أوبريرية، أي غير عربية.

تراجع دور المرأة العربية "الحرّة" أمام الجوّاري اللواتي تربعن داخل القصور، أمهات خلفاء وزوجات خلفاء وشاعرات ومغنيات في مجالس الطرب والغناء فأصبحت مكانة المرأة الجارية تغطي على الحرائر، فقد كان لانتشار حياة البذخ والترف ولكثرة تدفق الجوّاري والاحتفاظ بالأجنبيات، أثر واضح في التشديد في حجب الحرائر عن الرجال.

ولم يقتصر الحجب على الحرائر فقط، وإنما تعداهن إلى العديد من جوّاري القصور والبيوت. فكان الخروج ممنوعاً على حريم الخلفاء والأمراء، بإستثناء القهرمانات اللاتي سمح لهنّ بالدخول والخروج لقضاء الحاجات. ويؤكد ذلك أن السيدة شغب أم المقتدر جعلت إحدى جوّاريها قهرمانه لأنها اشتهت رؤية الناس خارج القصر^(١).

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، وأخبار المذاكرة، ج ٤ ص ١٨٣.

خامساً: استنتاجات

تطور دور المرأة، تطوراً كبيراً، مع قيام الدولة العباسية، وخلال العصر العباسي، بعدما اتجه معظم الخلفاء العباسيين نحو بناء القصور الفخمة التي عاشت فيها النساء من الحرائر والجواري، فظهرت المعايير الجديدة لتجمل المرأة وزينتها، نتيجة تأثير النفوذ الفارسي في العصر العباسي الأول، فظهر أثر الفرس في تعدد الأزياء سواء لدى الرجال أو النساء.

وظهرت حيل النخاسين في تغيير صفات الجواري حتى تسهل عملية بيعهن في سوق النخاسة، بأثمان مرتفعة.

وقد تعددت المهن التي زاولتها الجواري، مثل: الخط والكتابة، والحجامة، والغزل. كما اشتغلت بعضهن كماشطات أو خبازات في بيوت الأمراء والأغنياء، أو غسالات للموتى أو نائحات في المآتم، وغيرها من المهن.

ومع ذلك، يمكن التنويه بدور المرأة الحرة التي حاولت التمسك بالتقاليد العربية، في الظروف المستجدة في المجتمع العباسي الذي أصبح فيه الخلفاء يؤثرون الجواري اللواتي تحولن إلى زوجات الخلفاء ثم أمهات الخلفاء، ليطغى دور الجواري على دور المرأة العربية الحرة.

الفصل السادس

تطور مظاهر الغنى وأعمال الخير لدى المرأة العباسية

أولاً: ثروات زوجات الخلفاء

١. ثروة الخيزران زوجة الخليفة محمد المهدي.
٢. ثروة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد.
٣. ثروة قبيحة زوجة المتوكل
٤. ثروة شغب زوجة المكتفي

ثانياً: ثروات القهرمانات

١. ثروة أم موسى الهاشمية
٢. ثروة نظم
٣. ثروة زيدان

ثالثاً: مظاهر الترف والبخ في حفلات زواج الخلفاء

١. زواج هارون الرشيد من زبيدة (صفر ١٦٥هـ / أيلول ٧٨١)
٢. زواج الخليفة المأمون من بوران (٢١٠هـ / ٨٢٥ م)
٣. زواج الخليفة المعتضد من قطر الندى (٢٨١هـ / ٨٩٤ م)

رابعاً: دور المرأة في الأعمال الإنسانية والصحية

١. دار الخيزران في مكة المكرمة (١٧١هـ / ٧٨٧ م)
٢. زبيدة وتوفير الماء لحجاج بيت الله الحرام (١٨٦هـ / ٨٠٢ م)
٣. التشجيع على إنشاء البيمارستات
(أ) قبيحة والطبيب بختيشوع
(ب) المارستان الشغبي (٣٠٦هـ / ٩١٨ م)
٤. فتح مخازن الغلة وإغاثة المنكوبين.

خامساً: استنتاجات

مقدمة:

عرف المجتمع العباسي، مظاهر الغنى والترف، في مختلف العصور التي مر بها. وكان للمرأة نصيب كبير في هذه المظاهر التي لم تقتصر على سيدات القصور، بل تعدتها إلى بعض الجواري من القهرمانات أو المغنيات أو الشواعر.

فمن سيدات القصور، برزت الخيزران زوجة المهدي وزبيدة زوجة الرشيد وبوران زوجة المأمون، وقبيحة زوجة المتوكل وشغب زوجة المكتفي، وأخبارهنّ في الغنى والثروة والترف كثيرة. وتعتبر حفلات زواج الخلفاء من بنات الأمراء والوزراء والولاة، أبرز مظاهر الغنى والترف، لكثرة ما أنفق فيها، وأشهرها زواج الخليفة هارون الرشيد من زبيدة ابنة جعفر بن المنصور، وزواج الخليفة المأمون من بوران ابنة الوزير الحسن بن سهل، وزواج الخليفة المعتضد بالله من أسماء المعروفة بقطر الندى ابنة أمير مصر خمارويه بن أحمد بن طولون، وزواج الخليفة الطائع لله من شاه زنان ابنة السلطان عضد الدولة البويهية.

أولاً: ثروات زوجات الخلفاء

توصلت العديد من زوجات الخلفاء في العصر العباسي، إلى تملك الإقطاعات الواسعة، فضلاً عن المال والجوهر، فكانت الخيزران زوجة محمد المهدي أول امرأة في هذا العصر، يحكى عن ثروتها وأعمالها الخيرة. وتأتي بعدها زبيدة زوجة هارون الرشيد التي كانت وافرة الغنى ولها أيضاً أعمال خيرة. وقيل الكثير عن ثروة شغب زوجة المكتفي بالله التي تفوق الوصف، وعن أعمالها الخيرة.

١- ثروة الخيزران زوجة الخليفة محمد المهدي

لعل الخيزران، هي أول امرأة، تصل إلى الثروة والغنى، في العصر العباسي، فهي أول امرأة استتبت بالحكم في الإسلام، سواء في عهد زوجها المهدي أو مطلع عهد ابنها هارون الرشيد. فأصبحت تملك المال الوفير والإقطاعات الواسعة.

بلغ ربع الخيزران من اقطاعاتها الواسعة، بما فيها القرى والبساتين، ما يقرب من خمس واردات الدولة^(١). ومن هذه الاقطاعات "الصلح"^(٢)، و"المبارك"^(٣)، وكانا يحصلان على المياه في قناة أمرت الخيزران بحفرها، فحملت اسمها "أسناية الخيزران"^(٤). والأسناية تعني القناة التي تحفر ويجري فيها الماء.

وكان للخيزران، جوارى عديدة، من بينهم الجارية خالصة التي يقصدها أصحاب الحاجات فتتوسط لدى الخيزران^(٥) وكان مال الخيزران في حوزتها^(٦).

٢- ثروة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد

كانت أمة العزيز بنت جعفر بن الخليفة المنصور، ولقبها زبيدة، وافرة الغنى، ولها مبرات وخيرات، ويمكن معرفة ثروة زبيدة، من بعض القصص التي أوردها التنوخي. ففي قصة "الفيض بن صالح ومروعة"^(٧) يقول:

"قال داود، كانت أم جعفر، قد حبس وكبلاً لها، وجب عليه في حسابها مائنتا ألف درهم وأم جعفر هي كنية السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد وأم محمد الأمين. وعندما أدركت أن وكيلها عاجز عن الدفع أعفته من مبلغ المائتي ألف درهم، شرط "أن لا يعاود مثل ما كان منه". ويذكر التنوخي أن السيدة زبيدة كانت تملك ألفي جارية^(٨)، على غرار زوجها هارون الرشيد الذي "اصطبح يوماً، فكان من حضره من جواريه للغناء وغيره، زهاء ألف جارية، في أحسن زي، من كل نوع من أنواع الثياب والجواهر"^(٩).

(١) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٢ ص ٣٥.

(٢) الصلح: بالكسر، كورة فوق واسط لها نهر يمتد في دجلة على الجانب الشرقي يسمى فم الصلح.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق فرديناند وستفيلد، دار صادر، بيروت ١٩٩٥، ج ٤ ص ٤٠٩.

(٣) المبارك: نهر وقرية فوق واسط، بينهما ثلاثة فراسخ.

المصدر نفسه، ج ٤ ص ٤٠٩.

(٤) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٨ ص ١٥٤.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٥ ص ٢٧٩، ٢٩٠.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص ٢١٣.

(٧) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٢، رقم ١٧٤، ص ١٢٠، ١٢١.

(٨) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٠ ص ١٧٢.

النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب، القاهرة ١٩٢٥، ج ٤ ص ٢٠١٤-٢٠١٥.

(٩) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ١٥١.

٣- ثروة قبيحة زوجة المتوكل

وفي العصر العباسي الثاني، صودرت قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز بالله على مليون وثمانمائة ألف دينار^(١). وهذا ما يشير إلى ما كانت عليه ثروتها.

٤- ثروة شغب زوجة المكتفي

كانت شغب، مولعة بجمع المال والجوهر، حتى قيل الكثير عن ثروتها التي تفوق الوصف. فإذا كانت قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز بالله، قد صودرت على مليون وثمانمائة ألف دينار^(٢)، وذلك سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)، عندما نصب محمد بن المعتضد خليفة ولقب بالظاهر^(٣)، لمدة يومين فقط، أعيد بعدها المقتدر بالله على الخلافة، ونهبت خلالها أموال السيدة شغب، كما نهبت دار الخلافة. ومع ذلك، تصرفت شغب مع القاهرة، وهو ابن زوجها المعتضد، كأنه ابنها، فأكرمته بعد أن ألزمه المقتدر بالله الإقامة.

وقيل إن واردات السيدة شغب أم المقتدر من ضياعها بلغت مليون دينار في السنة^(٤) وكان أبو جعفر بن قديدة يتولى ضياع السيدة، فكتب أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه بن أبي علان الأهوازي الكاتب، "إلى كاتب السيدة شغب، وخطبته ضمان النواحي، بزيادة ثلاثين ألف دينار في ثلاث سنين، عما رفعها ابن قديدة"^(٥).

وقد خصص التنوخي قصة بعنوان "أنموذج من إسراف السيدة شغب أم المقتدر"^(٦)، تشير إلى مدى ثراء السيدة شغب وإسرافها في شراء الثياب، حيث كانت تشتري "ثياباً دبيقية"^(٧)، يسمونها ثياب النعال، تطلّى بالمسك والعنبر المذاب، وتجمد، ويجعل بين كل طبقتين من الثياب، من ذلك الطيب ماله قوام.... وكانت نعال السيدة من هذا المتاع، لا تلبس النعل إلا عشرة أيام، أو حواليتها، حتى تحرق، وتتفتت، وتذهب جملة دنائير في ثمنها، وترمى.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥ ص ٣٤١.

(٢) المصدر نفسه، ج٥ ص ٣٤١.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٣.

(٤) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٣ ص ١٩٥.

(٥) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١، ص ٢٩٢.

(٦) التنوخي: المصدر نفسه، ج١، القصة رقم ١٥٧، ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٧) الديبقي: ثياب تنسب إلى دبيق، مدينة مصر.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٥٤٨.

لعل السيدة شغب هي التي استعانت ببعض المصورين لنقش صورة شخصية لابنها الخليفة المقتدر بالله، على النقود^(١) التي سُكّت في عهده، حيث ظهرت صورته في ثياب الملك المرصعة باللآلئ والمزخرفة بالأشكال الهندسية، وهو جالس القرفصاء أيضاً ممسكاً بفدح في يده اليمنى وبسلاح في يده اليسرى. كما يظهر عازف العود جالساً القرفصاء في رداءٍ شبيه برداء الخليفة غير أن اكمامه أكثر اتساعاً.

وكان للخليفة المقتدر، بتأثير من أمه السيدة شغب، بقصره في بغداد شجرة من الذهب والفضة وسط خزان، يتفرع منها ثمانية عشر غصناً مرصعة بالأحجار الكريمة تتدلى منها كالفواكه، وعلى غصنٍ يقف طائر من الذهب أو الفضة يغرد كلما اهتز الغصن تحت لمسات النسيم. وعند طرف الخزان يقف خمسة عشر فارساً متحليين بأعلى الثياب، مزودين بالسيوف والرماح، يتحركون فيبدون وكأنهم يتهيأون للنزال كل ضد قرينه^(٢).

سنحت الفرصة للقاهر، مرة ثانية، سنة (٩٣٢هـ/٩٣٢م) بعد أن حلت الهزيمة بجيش المقتدر بالله أمام جيش القائد مؤنس الذي تمكن أصحابه من قتل المقتدر، وقطع رأسه، ليحمل إليه، ونصب القاهر خليفة. وكان أول ما قام به القاهر، هو القبض على السيدة شغب أم أخيه المقتدر، التي أكرمه بعد فشل الانقلاب الأول سنة (٩٣٧هـ/٩٢٩م)، وكان بإمكانها الإيعاز لابنها المقتدر حتى يقتله.

لم يكتف القاهر بالقبض على السيدة شغب التي كانت مريضة، قبل مقتل ابنها. وزاد مرضها، يوم مقتل ابنها، وجزعت جزعاً شديداً عندما علمت بقطع رأسه، وترك جثته مرمية في الطريق، قبل دفنها^(٣). بل أحضرها عنده، وسألها عن مالها، فاعترفت له بما عندها من المصوغ والثياب، ولم تعترف بشيء من المال والجوهر. فأمر بتعذيبها، وضربها بيده مائة مفرقة، وعلقها برجل واحدة منكسة، وأجبرها فوكلت على بيع أملاكها، وامتنعت عن حل الوقف، قائلة أنها أوقفته على مكة والثغور والضعفاء والمساكين، فغضب القاهر وحل وقفها، وباعه مع أملاكها^(٤).

(١) ثروت عكاشة: موسوعة التصوير الإسلامي، مكتبة لبنان، بيروت، ط أولى ٢٠٠١، لوحة ٦٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٣ ص ٣٩٦.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ٢٤٣.

لم تتحمل السيدة شغب، ما جرى لها، من قتل ابنها المقتدر، ومن المصادرة والتعذيب، فماتت بعد أيام قليلة^(١)، وقيل أن الحاجب علي بن محمد بن يلبق ترك السيدة شغب عند والدته، لما اشتد بها المرض، وماتت سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م)^(٢)، وقيل أيضاً أن المقتدر بالله بذّر من الذهب ثمانين مليون دينار، وقد قتل يوم الأربعاء ٢٧ شوال (٣٢٠هـ/٩٣٢م)، وتوفت أمه شغب بعد قتله بسبعة أشهر وثمانية أيام^(٣).

ثانياً: ثروات القهرمانات

تمكنت بعض القهرمانات، من جمع ثروات كبيرة، على غرار زوجات الخلفاء وتحديدًا في عهد المقتدر بالله الذي أقامت أمه شغب نفوذاً سياسياً قوياً.

١-ثروة أم موسى الهاشمية:

أصبحت أم موسى الهاشمية، قهرمانة شغب، مقصد أصحاب الحاجات الذين يسعون وراء الوزارة وأعلى المناصب، فلا يبخلون عليها بالمال والهدايا، بعد أن تحقق لهم ما يصبون إليه.

وهذا الدور الذي قامت به أم موسى الهاشمية، منذ أن عينتها شغب قهرمانة في قصر الخليفة المقتدر بالله سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)^(٤) أتاح لها السيطرة وجمع المال، بحيث أثرت اثرًا فاحشاً، حاولت معه إقامة مركز نفوذ فكان من الطبيعي أن تتصدى لها شغب صاحبة الفضل عليها، فتمّ القبض عليها سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م)، وصودرت على مليون دينار، ما دعا الوزير علي ابن عيسى إلى تشكيل ديوان خاص يحمل اسمها هو "ديوان المقبوضات من أم موسى"، حتى تمكن معه من حصر أموالها ومجوهراتها^(٥).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦ ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ١٧١، ١٧٦.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ٢٤٣.

(٤) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١ ص ٢٠.

(٥) ابن الجوزي: المرجع السابق، ج ٦ ص ١٦٦.

٢-ثروة نُظْم:

وتوصلت الداية نُظْم، نتيجة خدمتها السيدة شغب، إلى أن تصبح قهرمانة لها، فرفعت مخدومها الأسبق أبو القاسم يوسف بن يحيى بن علي إلى أوسع الأحوال، وصار صاحب عشرات ألوف الدنانير، بعد أن انخرط في خدمة السيدة شغب^(١).

٣-ثروة زيدان:

وكانت زيدان قهرمانة السيدة شغب، متمكنة من جواهر الخلافة، فأخذت سبحة لم ير مثلاً، وكان يضرب بها المثل، فيقال سبحة زيدان، وقيمة هذه السبحة ثلاثمائة ألف دينار^(٢). وكانت الجارية عمرة مسؤولة عن تعليق سبحة للمقتدر في الخزانة، وهي تضم مائة حبة اختارها بنفسه، ونظمها سبحة يسبح بها، وقيمة كل حبة ألف دينار^(٣).

ثالثاً: مظاهر الترف والبذخ في حفلات زواج الخلفاء

اقتترنت حفلات الزواج بالبذخ والإسراف وحب الظهور، في العصر العباسي، بينما كانت حفلات الزواج غاية في البساطة، في صدر الإسلام والدولة الأموية وعرف العصر العباسي، في الفترة (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م) أشهر ثلاث حفلات زواج لأربعة خلفاء عباسيين، الأول هو الخليفة هارون الرشيد الذي تزوج زبيدة^(٤) ابنة جعفر بن الخليفة المنصور، والثاني الخليفة المأمون الذي تزوج من بوران^(٥) ابنة الأمير جعفر ابن الوزير الحسن بن سهل، والثالث هو الخليفة المعتضد بالله الذي تزوج من أسماء المعروفة بقطر الندى^(٦) ابنة أمير مصر خمارويه بن أحمد بن طولون، أما زواج الخليفة الطائع لله من شاه زنان ابنة^(٧) السلطان عضد الدولة البويهني فقد تم في العصر العباسي الثالث سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م).

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٤ ص ١٤٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ٧٠.

(٣) التتوخي: المرجع السابق، ج ٧ ص ٢٥٥.

(٤) التتوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٢ ص ١٢٠، ١٢١.

(٥) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١ ص ٣٠٢، ٣٠٣. ج ٦ ص ١٧٤. ج ٨ ص ٢٠، ٢١.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٥.

(٧) سوزي حمود: الدولة العباسية، ص ١٨٤.

وحفلات الزواج الأربع هذه، خير دليل على مظاهر الغنى والترف والإسراف، حيث يلتقي فيها كرم الخليفة وبذخه مع كرم الأمير أو الوزير أو السلطان وبذخه، أمام المدعوين من الأمراء والوزراء والقادة وكبار القوم.

١-زواج الخليفة هارون الرشيد من زبيدة (صفر ١٦٥هـ/أيلول ٧٨١م)

تزوج الخليفة العباسي هارون الرشيد، من زبيدة، سنة (١٦٥هـ/٧٨١م)، أي قبل خمس سنوات من توليه الخلافة.

وكانت الخيزران والددة هارون الرشيد، تحب زبيدة حب الأم لابنتها. فقد ولدت زبيدة سنة (١٤٩هـ/٧٦٦م)، أي بعد ولادة هارون الرشيد ببضعة أشهر، وتوفى والدها جعفر وهي في الثالثة، فكفلها جدها الخليفة أبو جعفر المنصور وهو الذي أطلق عليها لقب "زبيدة" لنعمته بشرتها البيضاء^(١)، لأن اسمها الحقيقي هو أمة العزيز، فغلب اللقب عليها بعد وفاة جدها، واحتضان عمها الخليفة محمد المهدي، فربتها الخيزران وكأنها ابنتها، وتمنت أن تكون زوجة لابنها هارون الرشيد، في خطوة ذكية لتحظى عن طريقها بتأييد بني هاشم^(٢).

وأصرت الخيزران أن يكون حفل زفاف الرشيد وزبيدة في مهرجانات فخمة، لم تعرف بغداد مثيلاً لها من قبل، فأنفقت مبلغاً كبيراً من ثروتها الخاصة، وقدمت إلى زبيدة، في ليلة الزفاف، ثوباً مرصع باللآلئ والجواهر، يحمله عدد من الجواري الحسان. وبلغت نفقات حفل الزفاف خمسين ألف درهم^(٣)، عدا ما أنفقه هارون الرشيد من ماله الخاص.

٢-زواج الخليفة المأمون من بوران (٢١٠هـ/٨٢٥م)

فاق حفل زواج المأمون من بوران، حفل زواج والده هارون الرشيد من زبيدة الذي أقيم قبل خمس وأربعين سنة. وبوران هي ابنة الحسن بن سهل، واسمها خديجة، ولدت سنة

(١) سوزي حمود: الدولة العباسية، ص ٦٦.

(٢) عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد، ص ٨١.

(٣) الشابشتي: الديارات، ص ١٠١.

(١٩١هـ/٨٠٧م)^(١)، وقد ظهر كرم المأمون واسرافه، بما أنفقه في حفل زفافه في رمضان (٢١٠هـ/٨٢٥م)، حينما كانت بوران في الثامنة عشرة، في حين كان المأمون في التاسعة والثلاثين، فهو من مواليد سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) كان مهر بوران مائة ألف دينار وخمسين مليون درهم، أي أكثر من نصف مليون دينار. وبلغت نفقات حفل الزواج خمسة وعشرين مليون درهم^(٢). وأمر المأمون للحسن بن سهل، والد بوران، لما خرج إلى فم الصلح^(٣) للزواج منها، بعشرة ملايين درهم، ومنحه خراج اقليم فم الصلح.

٣-زواج الخليفة المعتضد من قطر الندى (٢٨١هـ/٨٩٤م)

يعتبر زواج الخليفة العباسي المعتضد بالله من أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون الملقبة "قطر الندى"^(٤) أبذخ حفلات الزواج التي عرفها البلاط العباسي الثاني.

ولعل هدف الخليفة المعتضد بالله من زواجه هذا، هو إضعاف حكم خمارويه في مصر وإرهاق خزينته^(٥) في حين حاول خمارويه من جهته دعم سلطانه في مصر والشام، بتمتين علاقته بالخلافة العباسية بتزويج ابنته "قطر الندى" من المعتضد بالله سنة (٢٨١هـ/٨٩٤م).

فقد بنى خمارويه القصور والاستراحات^(٦)، على جانبي الطريق إلى بغداد، حتى لا تشعر ابنته قطر الندى^(٧) بالغربة وهي متوجهة إلى قصر الخليفة العباسي المعتضد بالله في بغداد، فتشعر وكأنها لم تفارق قصر أبيها. ويبدو أن خمارويه، في عمله هذا، يقلد الخليفة

(١) السعودي: مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٤٨.

(٢) ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص ٢١٠-٢١١.

(٣) فم الصلح: كورة فوق واسط لها نهر يستمد من دجلة يسمى فم الصلح، وفيه كانت دار الحسن بن سهل، وفيه تزوج المأمون من بوران.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣ ص ٩١٧، ٤١٣.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ٥٣، ٦١، ٦٣.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢ ص ٢٤٩، ٢٥٠.

(٦) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج ٣ ص ٦٢، ٦١.

(٧) قطر الندى: أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون، من شهيرات النساء عقلاً وجمالاً وأدباً. تزوجها الخليفة العباسي المعتضد بالله سنة (٢٨١هـ/٨٩٤م)، وتوفت سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م).

المهدي بالله في العصر العباسي الأول، عندما أمر ببناء القصور على طول الطريق بين بغداد ومكة المكرمة لتكون محطات للاستراحة أثناء تأدية فريضة الحج.

وصرف خمارويه على زواج ابنته "قطر الندى" من الخليفة العباسي المعتضد، المبالغ الكبيرة بهدف ترسيخ سلطانه، أثر الخلاف الطويل بين والده أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر وبين الموفق الذي حاول السيطرة على أخيه الخليفة العباسي المعتمد على الله في بغداد. فوقف أحمد بن طولون إلى جانب الخليفة المعتمد، وأظهر طاعته له سنة (٢٦٨هـ/٨٨٢م)، حينما بعث إليه برسالة يحرضه فيها على المجيء إلى مصر، ويعدده بالحماية في وجه استبداد أخيه الموفق، وكأنها محاولة لنقل الخلافة العباسية من بغداد إلى مصر. وعندما توفي أحمد بن طولون سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م)، أسرع الموفق للقضاء على الدولة الطولونية، لكن خمارويه بن أحمد بن طولون أفشل خطته، وعقد الصلح مع الخليفة العباسي المعتمد وولي عهده الموفق سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م)^(١)، وفيه انتزع من الخلافة العباسية اعترافاً له ولأولاده بحكم مصر لمدة ثلاثين سنة، على أن يكف خمارويه عن لعن الموفق على منابر مصر والشام والدعاء له مع الخليفة المعتمد على الله.

وبموت الموفق سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م)، ثم الخليفة المعتمد سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، سنحت الفرصة لخمارويه، بتزويج ابنته أسماء "قطر الندى" من الخليفة الجديد المعتضد بالله.

ومما يشير إلى مدى ثروة خمارويه بن أحمد بن طولون أنه كان شغوفاً بالجواهر، فقرب إليه أحد كبار الصاغة، وهو أبو عبد الله الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص (ت ٣١٥هـ/٩٢٧م)، الذي تخصص في ابتياع الجواهر له ولبلاطه^(٢)، بعدما أمر خمارويه أن لا يبتاع شيء من الجواهر للقصر إلا على يد ابن الجصاص، فكسب هذا الأخير أموالاً كثيرة^(٣).

ومع مرور الأيام قويت حال ابن الجصاص في قصر خمارويه الذي ما لبث أن بعثه برسالة إلى الخليفة المعتضد بالله يعرض عليه فيها الزواج من ابنته قطر الندى. ولما حان وقت الزواج، أطلق خمارويه يد ابن الجصاص في تحضير الجهاز، فأنفق أموالاً طائلة. وفي أثناء

(١) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج ٣ ص ٥٠، ٥١.

(٢) التنوخي: الفرع بعد الشدة، ج ٢ ص ١٣٤.

(٣) التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ٢ ص ٣١٤.

نقل الجهاز إلى بغداد، في ما بين دمشق والرملة^(١)، ابتلت بعض الفرش بالمطر، فاستأذن ابن الجصاص بالبقاء في الرملة حتى تجف، فأذن له خمارويه فبقي شهرين، ما أضاف على الكلفة ثلاثين ألف دينار^(٢). وإضافة مثل هذا المبلغ الضخم في العصر العباسي الثاني، لتطرية الفرش فقط، يظهر مدى الإسراف الكبير على جهاز قطر الندى عروس الخليفة المعتضد بالله.

ويقال أن ابن الجصاص حمل مع جهاز قطر الندى جوهرًا لم يجتمع مثله عند خليفة قط. واقتطع ابن الجصاص بعضه، واعلم قطر الندى أن ما أخذ مودع لها عنده إلى وقت حاجتها إليه، فماتت والجوهر عنده، فكان ذلك سبب غناه^(٣).

وكان وصول قطر الندى بنت خمارويه إلى بغداد، مع ابن الجصاص، في ذي الحجة (٢٨١هـ/٨٩٤م)، وفي ذلك يقول علي بن العباس الرومي^(٤):

يا سيّد العرب الذي زُفّت له	باليمن والبركات سيّدة العجم
أسعد بها كسعودها بك، إنها	ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بمأوى ناظرها بهجة	وضميرها نبلاً، وكفيها كرم
شمس الضحى زفت إلى بدر الدجى	فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

وحينما زفت قطر الندى بنت خمارويه إلى الخليفة المعتضد بالله، كان في جهازها أربعة آلاف تكة مجوهرة تحوي أفخم الثياب التي استعين فيها بخياطين وعمال مهرة في أسواق مصر، وعشرة صناديق جوهر^(٥). وهذا يعني أن تكلفة الجهاز تفوق الخيال.

(١) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً، بناها الخليفة الأموي سليمان ابن عبد الملك.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢ ص ٨١٧.

(٢) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٢ ص ٣١٥.

(٣) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤ ص ٢٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤ ص ٢٨٩.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٣٢.

وفي حفل الزواج، مدت موائد مملوءة من الذهب الخالص مرصعة بأصناف الجواهر، والفراشون يأتون بزناييل مملوءة بالدرهم والدنانير، ويصبونها بين أيدي المدعويين، وهم يصيحون: "إن أمير المؤمنين، يقول لكم: ليأخذ من شاء، ما شاء"^(١).

وعقدت مجالس الطرب والغناء، بمناسبة زواج المعتضد بالله من أسماء بنت خمارويه "قطر الندى"، فالمعتضد كان شغوفاً بالطرب، وقيل أن الغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهي^(٢)، وذلك على غرار الخليفة المتوكل قبله^(٣).

وعند وفاته، خلف المعتضد بالله في بيوت الأموال تسعة ملايين دينار، ومن الورق أربعين مليون درهم، ومن الدواب والبغال والجمال (الإبل السريعة) والحمير والجمال اثني عشر ألف رأس^(٤). وقدر الصداق (المهر) الذي قدمه لقطر الندى بمليون درهم وغيره من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق^(٥).

ومع ذلك، فقد نزع بعض خلفاء البلاط العباسي الثاني، نحو التدين، ومالوا إلى حياة البساطة، مثل المهتدي بالله والمتقي لله.

رابعاً: دور المرأة في الأعمال الإنسانية والصحية

١- دار الخيزران في مكة المكرمة (١٧١هـ/٧٨٧م)

أنفقت الخيزران أموالاً كثيرة في الصدقات وأعمال البر، حينما حجت سنة (١٧١هـ/٧٨٧م)، واشترت الدار التي حملت اسمها في مكة، وهي "دار الخيزران"، فزادتها في المسجد الحرام^(٦).

(١) المسعودي: المصدر السابق، ج ٤ ص ٣٢٧.

الطبري: المصدر السابق، ج ٨ ص ٦٠٧، ٦٠٨.

(٢) المسعودي: المصدر نفسه، ج ٥ ص ٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥ ص ١٣٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤ ص ٢٤٦.

(٥) المصدر نفسه، ج ٤ ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢١٤.

٢- زبيدة وتوفير الماء لحجاج بيت الله الحرام

ازدادت مكانة زبيدة، بعد نكبة البرامكة سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م) لتقف إلى جانب زوجها هارون الرشيد الذي تولى أمور الحكم بنفسه، وأخذ يتفقد الرعاية، متنكراً، ليعرف أحوال الناس ويستمتع إلى شكواهم^(١)، حتى عرفت الدولة العباسية عصرها الذهبي، ووصلت الحاضرة بغداد إلى قمة مجدها، وزادت العطايا للناس والشعراء^(٢).

وتعد زبيدة أول من اتخذ الجمّازات، أي الإبل السريعة، التي يرتاح إليها المسافر دون أن يتأخر في الطريق^(٣). وعندما حجت إلى مكة المكرمة سنة (١٨٦هـ/٨٠٢م)، شاهدت ما يعاينه الحجاج في الحصول على ماء الشرب، فأقامت البرك والآبار في الحجاز، وجرت مياه عين حنين إلى مكة المكرمة^(٤).

وكذلك يصف لنا المؤرخون كيف راح الناس من خلفاء وملوك وأمراء وخاصة، يقلدون زبيدة في أشياء من عبثها، ويساقونها في مكارمها، من جلب الماء لحجاج بيت الله الحرام كما فعلت أم المتوكل (٢٣٢-٢٥٧هـ/٨٤٦-٨٧٠م) من العناية بماء مكة الذي أجرته زبيدة قبلها، وعملت على إصلاح ما فسد من الأبنية وسواها.

حتى أن (السلطنة) العثمانية وهي في حريم السلطان سليمان القانوني، طلبت من زوجها السماح لها بالعناية بالأبنية التي تهدمت في مكة، وهي الأبنية التي أنشأتها زبيدة... وكما بدأت هذه الأبنية امرأة، فإن من حق امرأة أن تقوم بإصلاحها.

وقد وافق السلطان سليمان على ذلك، وبدأ العمل في إصلاح القنوات ودام عشر سنوات، مع تقدم الفن الهندسي، مما يؤكد العمل العظيم التي قامت به زبيدة في هذا السبيل لمئات خلت من الأعوام^(٥).

(١) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص ٦٧.

(٢) عصام الحاج علي: الأساس في تاريخ بني العباس، دار المواسم، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٥٤.

(٣) الثعالبي: لطائف المعارف، ص ٢٠، ٢١.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤ ص ٤٤٤.

(٥) نايبا أبوت: المرأة والسياسة في الإسلام، ص ٢٥٤.

أما القصص المروية عن هرون الرشيد وزبيدة في كتاب (ألف ليلة وليلة) فليست تستمد في أكثر أخبارها إلى أثر تاريخي ثابت، والأرجح أنها روايات وقصص أجراها الناس في عصرها وبعد عصرها، ومضوا يضحمون حوادثها وأخبارها مع هرون، وفي بعض هذه القصص ما يؤكد كره زبيدة للبرامكة.

وأكثر المؤرخين العرب يؤكدون ذكاءها وكرمها وعلو أخلاقها.. كما يصفون قصرها وحياتها التي كانت آية الآيات في الروعة والبذخ والإسراف^(١).

وقد استمرت زبيدة في عمل الخير، أثناء خلافة المأمون، فقد كتب عامل مكة إلى المأمون يسأله بعض الإصلاحات في مجاري الماء في البيت الحرام لندرتة وقلته، فسمح له المأمون القيام بهذه الإصلاحات فأما عرفت زبيدة بالخبر ضاق صدرها، وذهبت للحج في السنة المقبلة، وقد يكون ذلك بعد أن سألت (بوران) المأمون أن يسمح لأم جعفر بالحج ففعل، فلما وصلت إلى مكة واستقبلها العامل، عاتبته لأنه لم يكتب لها بشأن هذه الإصلاحات لتقوم بها على حسابها، وتكسب أجرها.

وإن دل هذا الخير على شيء، فعلى أن زبيدة كانت تريد أن يكون لها شرف الخدمات الاجتماعية في بيت الله الحرام وحدها، بحيث لا يشاركها فيها إنسان.

ويبدو أن حجتها هذه كانت الأخيرة، ومع أنه طال عمرها إلى ست سنوات أخرى بعد هذا التاريخ، فإن كتب التاريخ لا تعود إلى ذكرها في كثير ولا قليل. وقد توفيت زبيدة في غياب المأمون، لما ذهب يقود حملة على الروم سنة (٢١٦هـ/٨٣١م)، ومن المؤكد أن غيابه هذا جعل موكب الجنازة لا يقاس بالجنازة التي أقيمت للخيزران، والتي مشى فيها الرشيد عاري القدمين حاملاً مع الحاملين نعش أمه... وقد صلى عليها حفيدها عبدالله بن الأمين وتقبل تعازي المعزين^(٢).

وبذلك تكون زبيدة قد توفت سنة (٢١٦هـ/٨٣١م)، أي قبل عامين من وفاة المأمون.

(١) نابيا آبوت: ملكتان في بغداد، ص ٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥٥.

٣- التشجيع على إنشاء البيمارستانات

كان لتقدم الطب أواخر العصر العباسي الأول، أثر كبير في البلاط العباسي الثاني حيث برز العديد من أشهر الأطباء. وأبرز هؤلاء الأطباء بختيشوع الذي دخل في خدمة الخليفة المتوكل أول خلفاء البلاط العباسي الثاني، وكان المتوكل يثق به في معالجة نسائه وأولاده^(١).
تقدم الطب، تقدماً ملموساً، في البلاط العباسي الثاني، حيث قامت المرأة بدور بارز، في تشجيع الأطباء على وضع الكتب في الطب، كما فعلت قبيحة زوجة المتوكل، أو في افتتاح البيمارستانات داخل العاصمة بغداد وخارجها كما فعلت السيدة شغب أم المقتدر التي أنشأت أربعة بيمارستانات ببغداد^(٢).

أ- قبيحة والطبيب بختيشوع

طلبت قبيحة زوجة المتوكل، من الطبيب بختيشوع وضع كتاب يتعلق بالأطفال المولودين لثمانية أشهر، فكان كتابه "المولودون لثمانية أشهر". علماً أن بختيشوع وضع العديد من الكتب في الطب، مثل: كتاب المسائل في الطب للمتعلمين، كتاب علاج العين، كتاب الأسنان واللثة، كتاب معرفة أوجاع المعدة وعلاجها، كتاب الأغذية، وكتاب اللبن^(٣).

وما لبث الخليفة المتوكل أن غضب على الطبيب بختيشوع، دون أن تتفع وساطة نساء القصر. وصادر المتوكل ثروة بختيشوع الضخمة التي جمعها من اشتغاله بالطب وملازمته الخليفة في قصره، ونفاه إلى البحرين. وعاد بيع ضياع الطبيب التي صودرت بعشرة ملايين درهم^(٤) على بيت المال.

ومات الطبيب بختيشوع سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م)^(٥)، فقيراً منفيّاً في البحرين، وخلف ولدين وثلاث بنات.

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص ٣٦٩.

(٢) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢ ص ٢٠٧.

(٣) ابن النديم: الفهرست، تحقيق يوسف علي طویل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦، ص ٤١١، ٤١٣.

(٤) الهمداني: تكملة تاريخ الطبري، ص ٦٢.

(٥) جان موريس فييه: أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ص ١٤٥.

ب- المارستان الشغبى (٣٠٦هـ/٩١٨م)

اعتمدت معاهد الطب العملية، أو البيمارستانات، على نظام معاهد الطب الأجنبية، ولا سيما السريانية منها، لأن السريان غلبوا على مهنة الطب في أواخر العصر العباسي الأول ومطلع العصر العباسي الثاني، فاقتبس المسلمون فكرة البيمارستانات منهم.

والمارستان أصله البيمارستان، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين: بيمار وتعني "مريض" وستان وتعني دار، أي "دار المرضى" أو مستشفى، ثم اختصرت الكلمة في الاستخدام فصارت مارستان.

وكان يطلق على مدير البيمارستان إذا كان سرياني الأصل "الساعور" ومعناها بالسريانية "منقذ المرضى". أما إذا كان مسلماً فيطلق عليه "رئيس الأطباء"، وهو الذي يشرف على الأطباء وبأن لهم بممارسة مهنة الطب^(١).

ازدهرت البيمارستانات في بغداد وسائر الأقاليم، في العصر العباسي الثاني، فأُسندت إلى أبي بكر الرازي، أشهر أطباء عصره، إدارة مارستان الري ثم مارستان بغداد في عهد الخليفة المكتفي. وقد اشتهر الرازي بالكرم والعطف على الفقراء، والمرضى، حتى كان يعالجهم وينفق عليهم^(٢). فهل كان للداية فارس، التي تحولت إلى قهرمانة للمكتفي، دور في ازدهار مارستان بغداد الذي تولى إدارته الرازي؟ علماً أن هذه الداية أخذت تتدخل في تعيين الوزراء وفي عزلهم من مناصبهم^(٣).

افتتح المارستان الذي بنته السيدة شغب أم المقتدر بسوق يحيى، في أول يوم من المحرم (٣٠٦هـ/٩١٨م)، وجلس فيه سنان بن ثابت رئيس أطباء بغداد الثمانئة والستين، ورتب فيه الأطباء والخدم، وعرف باسم "المارستان الشغبى" نسبة إلى شغب. وهذا ما دعا المقتدر بالله، بناء لرغبة سنان بن ثابت، إلى بناء مارستان آخر يحمل اسمه، في تلك السنة، وسماه المارستان

(١) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م، ص ١٩، ٢٤.

(٢) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج ٣ ص ٣٧١، ٣٧٢.

(٣) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٣ ص ٢٦٩.

المقتدري^(١)، ويقع عند باب الشام، أحد أبواب العاصمة بغداد، وكان المقتدر ينفق عليه من ماله^(٢). وقيل أن شغب بنت أربعة مارستانات في بغداد^(٣).

٤-فتح مخازن الغلة وإغاثة المنكوبين

كانت شغب تملك مخازن كبيرة للغلال، فتحتها أثناء ثورة العامة في بغداد أثناء وزارة حامد بن العباس، ما أسهم في انخفاض الأسعار، وانتهاء الثورة^(٤). وأسهمت شغب من مالها في إغاثة المنكوبين، حينما سقط ثلج عظيم في بغداد سنة (٣١٤هـ/٩٦٢م)، فأتلف النخيل والأشجار^(٥) كما قدمت خمسمائة ألف دينار لدعم جيش ابنها المقتدر في صد هجوم القرامطة على الكوفة سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م)^(٦).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ٢٥.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ١ ص ١٧٤.

(٣) آدم منتر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ٢ ص ٢٠٧.

(٤) محمد الخضري بك: الدولة العباسية، ص ٣٢٩.

(٥) زهير الكبي: موسوعة خلفاء المسلمين، ج ٢ ص ٨٩.

(٦) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ج ١ ص ٥٥.

رابعاً: استنتاجات

إذا كانت بعض أمهات الخلفاء في العصر العباسي قد وصلن إلى الغنى والثروة، مثل الخيزران أم الهادي والرشيد وزبيدة أم الأمين، وقبيصة أم المعتز بالله والسيدة شغب أم المقتدر بالله، كما وصلت إلى هذه الثروة بعض الجواري الشواعر أو المغنيات، وبعض القهرمانات، فإن مثل هذا الواقع، وليس بالضرورة، أن يشير إلى ازدهار الحياة الاقتصادية، بالعكس فقد أدى ذلك إلى تدهور الوضع الاقتصادي في العصر العباسي الثاني، وإن كانت الحياة الاقتصادية ازدهرت في العصر العباسي الأول.

ويحار المرء في تحليل بعض الأوضاع الاقتصادية المتردية، عندما يجد بيت المال فارغاً عهد الخليفة المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ / ٨٦٦-٨٦٩م) الذي وجد نفسه عاجزاً عن دفع رواتب الجند من أترك ومغاربة، لتشتد الفتنة بين طوائف الجند، حتى انقلب الأمر على الخليفة نفسه، في الوقت الذي كانت فيه "قبيصة" أم الخليفة تملك ثروة كبيرة، تزيد عن المليون وثمانمائة ألف دينار، خشيت أن تصرح بها، وتركت ابنها يموت على يد المتآمرين المطالبين بخمسين ألف دينار فقط هي رواتب الجند.

لذلك لجأ القادة الأتراك، إلى أسلوب جديد للحصول على المال وجمعه، وهو المصادرة فكثيراً ما تعرض الأمراء والأغنياء من التجار والصاغة إلى المصادرة، وكذلك أمهات الخلفاء والقهرمانات والوزراء، فكان نساء القصر والقادة الأتراك والخدم والجواري، في صراع دائم حول السلطة والنفوذ وجمع الثروة والغنى.

فقد صودرت قبيصة زوجة المتوكل وأم المعتز بالله، على مليون وثمانمائة ألف دينار وصودرت السيدة شغب أم المقتدر بالله، في المرة الأولى سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩م)، على ستمائة ألف دينار. وبعد مقتل ابنها المقتدر بالله سنة (٣٢٠هـ / ٩٣٢م)، ماتت دون أن تعترف بمخابئ ما لديها من المال والمجوهرات التي بالغ المؤرخ في مقدار قيمتها حيث قيل الكثير عن ثروتها. ويكفي أنه بعد مصادرة أم موسى القهرمانة، استحدث ديوان لإدارة الأموال التي صودرت منها، أطلق عليه "ديوان المقبوضات عن أم موسى وإن كان إسراف بعض خلفاء البلاط العباسي الأول وبذخهم في حفلات الزواج، لم يؤثر على الأوضاع الاقتصادية في العصر الذهبي الذي عاشته

الخلافة العباسية (١٣٢-٢٣٢هـ / ٧٥٠-٨٤٧م)، فأنفق الخليفة المهدي المال الكثير عند زواج ابنه هارون الرشيد من السيدة زبيدة، وكذلك فعل المأمون عند زواجه من بوران بنت الحسن بن سهل، إلا إن إسراف المعتضد بالله في البلاط العباسي الثاني وإسراف خمارويه بن أحمد بن طولون الذي زوجه من ابنته أسماء المعروفة بقطر الندى، يدل على قلة نظر في أمور الدولة سواء في بغداد العباسية أو مصر الطولونية. فعندما وصلت قطر الندى إلى بغداد، كان والدها خمارويه في شدة وكرب شديدین بسبب تجهيز ابنته الذي استنفد كل ثروته، وأفقر خزينة بيت المال في مصر وبعد وصول قطر الندى إلى بغداد حيث نزلت في قصر صاعد، وأقيمت الحفلات، ومدت الأسطة، وعليها ألوان الطعام، على النحو الذي مدت به في مصر، وأحضرت القيان والمغنيات، وكان صداقها مليون درهم.

ومع ذلك، لا يمكن نكران دور المرأة في الأعمال الإنسانية والصحية، فكانت دار الخيزران في مكة المكرمة، ووفرت زبيدة الماء لحجاج بيت الله الحرام، وشجعت شغب على إقامة البيمارستانات وأشهرها المارستان الشغبي.

الفصل السابع

أشهر قصص عشق المرأة الحرة والجارية

أولاً: قصص العشق التي تنتهي بموت العاشق أو بجنونه

١. أبو البلاد يعشق ابنة عمه سلمى ويجن.

٢. عمر بن ميسرة عاشق ابنة عمه.

٣. العاشق الهائم على وجهه.

ثانياً: قصص العشق التي تؤدي إلى مرض لا شفاء منه إلا بزواج أو عشق

١. محمد بن علي بن حمزة عاشق جارية زوجته.

٢. الفتى عاشق جارية أخته.

٣. العاشقات السود.

٤. شفاء عاشق بعد سنين.

ثالثاً: استنتاجات

ذكر القاضي التنوخي إحدى وأربعين قصة في عشق الرجل للمرأة الحرة والجارية، بينها خمسة وثلاثون قصة وردت في كتابه نشوار المحاضرة، وست قصص فقط وردت في كتابه الفرج بعد الشدة، بينها أربع عشرة قصة في نشوار المحاضرة وثلاث قصص في الفرج بعد الشدة تمثل أشهر قصص العشق في التاريخ العربي الإسلامي، مثل قصة قيس وليلى^(١) وقصة قيس^(٢) ولبنى^(٣)، وقصة كثير^(٤) وعزة^(٥)، وقصة جميل^(٦) وبثينة^(٧)، وقصة الأشتر

(١) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، القصة رقم ٤٦، ص ١٠١؛ القصة رقم ٤٧، ص ١٠٢-١٠٣، القصة رقم ٤٨، ص ١٠٤؛ القصة رقم ٤٩، ص ١٠٥-١٠٦؛ القصة رقم ٥٠، ص ١٠٧؛ القصة رقم ٥١، ص ١٠٨-١٠٩؛ القصة رقم ٥٢، ص ١١٠-١١١؛ القصة رقم ٥٣، ص ١٢-١٤؛ القصة رقم ٥٤، ص ١١٥-١١٧؛ القصة رقم ٥٥، ص ١١٨-١١٩؛ القصة رقم ١٤٢، ص ٢٨٨-٢٩٠.

(٢) قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني: شاعر، من العشاق المشهورين، مات شهيد حبه، أحب لبنى بنت الحباب الكعبية، وتزوجها، فغارت أمه، وأغرت به أباه، فأمره أن يطلقها، وأقسم أن لا يكنه بيت، ولا يظله سقف، إلا أن تطلق لبنى. وكان قيس عظيم البر بأبيه، فكان الأب يقف تحت الشمس، فيجئ قيس يظله بردائه حتى تميل الشمس، فينصرف إلى لبنى يعانقها ويبكيان. ثم خشي أن يموت أبوه فطلق لبنى، ثم تبعها نفسه، فمات غماً، وأصبح مثلاً سائراً في العشق.

ابن شاعر الكندي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٢٧٠. الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ٥٥.

(٣) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٤، القصة رقم ٤٨٢، ص ٣٨٣-٣٩٢.

(٤) أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي (ت: ١٠٥هـ/٧٢٣م): شاعر مشهور من شعراء الغزل، كان ألباً مترفعاً، قصيراً دميماً، اشتهر بحبه عزة، فعرف بكثير عزة، وكان غيفاً في حبه. توفي سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م.

الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ٧٣.

(٥) عزة بنت جميل بن حفص بن إياس الحاجبية، الغفارية، الضمرية (ت ٨٥هـ/٧٠٤م): صاحبة الأخبار مع كثير الشاعر، كانت غزيرة الأدب، رقيقة الحديث، مدنية، انتقلت إلى مصر، وتوفت بها سنة ٨٥هـ/٧٠٤م. المرجع نفسه، ج ٥، ص ٢٢.

(٦) أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي (ت ٨٢هـ/٧٠١م): من الشعراء العشاق، افتتن ببثينة، وشبب بها، وتناقل الناس أخبارهما، وفد على عبد العزيز بن مروان بمصر، ومات عنده سنة ٨٢هـ/٧٠١م.

الأصفهاني: الأغاني، ج ٨، ص ٩٠-١٥٤.

(٧) بثينة بنت ثعلبة العذرية (ت ٨٢هـ/٧٠١م): شاعرة من بني عذرة، من قضاة، اشتهرت بأخبارها مع جميل بن معمر العذري القضاعي، وهو من قومها، وكانت منازلهم بوادي القرى، بين مكة والمدينة، في شعرها رقة وماتنة، مات جميل قبلها، فرثته، ولم تعش بعده طويلاً، وماتت في نفس السنة التي مات فيها جميل أي في سنة ٨٢هـ/٧٠١م.

التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٤، القصة ٥٦، ص ١٢٠-١٢١.

وجيداء^(١)، وقصة نصيب ونعم^(٢).

وإذا كانت قصة قيس وليلى هي الأشهر، لكنها تعود إلى عصر الدولة الأموية، والأرجح أن قيس وليلى لم يكن لهما في عالم الحقيقة وجود، فأصبح كل عاشق قيس، وكل معشوقة ليلي، وهذه القصة تتكرر في كل مكان وزمان، وإن كانت تختلف في خواتيمها^(٣). وكذلك القصص الخمس الأخرى، فإنها تعود إلى عصر الدولة الأموية.

لذلك، فإن ما يعنينا هي القصص التي تتعلق بالعصر العباسي في فترة محددة بحوالى القرنين (١٣٢ - ٣٣٤هـ/ ٧٥٠-٩٤٥م) مثل قصة أبو البلاد يعشق ابنة عمه سلمى ويجن، وقصة عمر بن ميسرة عاشق ابنة عمه، وقصة العاشق الهائم على وجهه، وهي تدور حول العشق الذي ينتهي بموت العاشق. وهناك بعض القصص في عشق الرجل للمرأة الحرة أو الجارية حتى يقع في مرض شديد لا شفاء منه إلا بتزويجه معشوقته، كما في قصة محمد بن علي ابن حمزة عاشق جارية زوجته، وقصة الفتى عاشق جارية أخته، وقصة العاشقات السود، كما ذكر قصة عاشق من أهل البصرة، شفي من علته بعد سنين، دون أن يتزوج من أحب.

أولاً: قصص العشق التي تنتهي بموت العاشق أو بجنونه

١- أبو البلاد يعشق ابنة عمه سلمى ويجن:

يروى التتوخي في قصة "أبو البلاد يجن فيعلو حبيبته بالسيف"^(٤).

"إن أبا البلاد، وهو بشر بن العلاء، أحد بني طهية، ثم أحد بني سود، كان في شرف من قومه، وكان يتيماً من أمه وكنفه عمه، وكان اسم عمه حنيف بن عمرو، وكان عنده أثر من والده، وكانت لعمه ابنة يقال لها سلمى، وكانت أحسن فتاة بنجد، مشهورة بذلك، وكان يهاب

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج٦، القصة رقم ١٧٦، ص ٢٥٦-٢٦٠.

الفرج بعد الشدة، ج٤، القصة رقم ٤٧٧، ص ٣٥٤-٣٥٧.

(٢) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج٦، القصة رقم ١٦٠، ص ٢٣٨.

(٣) أمل كوسا، دور المرأة في المجتمع العباسي، ص ٣١٢.

(٤) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج٥، القصة رقم ٦٠، ص ١٣٧-١٣٩.

ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٤٧٣.

عمه أن يخطبها إليه، فغاب غيبة، فزوجها أبوها أحد بني عمها، وبلغ ذلك أبا البلاد، فذهل عقله.

وماتت سليمي، في حين أصيب أبو البلاد بالوسواس، وهو مرض يحدث من غلبة السوداء، ويختلط منه الذهن، حتى مات^(١).

٢- عمر بن ميسرة عاشق ابنة عمه:

يروى التتوخي قصة أخرى بعنوان "عشق، ففق، فكتم، فمات"^(٢)، وهي عن عمر بن ميسرة الذي عشق ابنة عمه، دون أن يعلم أحد بقصته إلى أن مات، وشاهده أحدهم قبل موته وكان ينزل الكوفة فقال^(٣):

"رأيت عمر بن ميسرة، وكان كهينة الخيال، وكأنه صبغ بالورس"^(٤) لا يكاد يكلم أحداً، ولا يجالسه، وكانوا يرون أنه عاشق، فكانوا يسألونه عن قصته، فيقول:

يسألني ذا اللب عن طول علتي وما أنا بالمبدي لذا الناس علتي
ساكتهما صبراً على حر جمرها وأكتمها إذ كان في السر راحتني

٣- العاشق الهائم على وجهه:

وهي قصة "أبغى الشفا بك من سقمي ودائي"^(٥)، يقول التتوخي:

ان رجلاً من العرب، رأى امرأة، فوقعت بقلبه، فكانت بذلك دهرًا، ثم أن الأمر تفاقم، وتمكنت منه الصبابة، وسحقه الغرام، فبعث إليها يسألها نفسها، ويخبرها بما هو عليه من حبها.

فكتبت إليه: اتق الله أيها الرجل وارع على نفسك، واستحي من هذه الهمة التي قد تعلق بها، فإن ذلك أولى بذوي العقول.

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ١٣٩.

(٢) التتوخي: المصدر نفسه، ج ٥، القصة رقم ٦٧، ص ١٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٥٧.

(٤) الورس: نبات كالسمسم أصفر، يصبغ به وتتخذ منه الغمرة، أي الزعفران، المنجد، ص ٨٩٦.

(٥) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، القصة رقم ٤٠، ص ٨٩.

ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٢٧٥.

فلما وافاه كتابها، أخذته وسوسة، واستولى عليه الشيطان، وجعل الأمر يتزايد، حتى زال عقله، وكان لا يعقل إلا ما كان من حديثها أو ذكرها.

وكان يبكر في كل يوم، فيقف على باب الدار التي تنزلها المرأة، فيقول:

يا دار حبيت إن كانت تحيتنا تغني لو كان في التسليم إشفائي
لا زلت ابكيك من قامت بنا قدم أبغي الشفا بك من سقمي ومن دائي

ثم مضى شبيهاً بالهائم على وجهه، فلم يزل على ذلك حتى مات.

ثانياً: قصص العشق التي تؤدي إلى مرض لا شفاء منه إلا بزواج العشاق

١- محمد بن علي بن حمزة عاشق جارية زوجته

روى التتوخي قصة طريفة بلسان أبي عبد الله محمد بن علي بن حمزة، بعنوان "عشق جارية زوجته فوهبتها له"^(١)، وفيها يقول:

"كانت لزوجتي جارية حسنة الوجه، فعلقتها، وعلمت زوجتي بذلك، فحجبتها عني، فاشتد ما بي من الوجد عليها، وقاسيت شدة شديدة.

فبينما أنا ذات ليلة نائم، ومولاتها زوجتي إلى جانبي، إذ رأيت في منامي كأن الجارية حيالي، وأنا ابكي، إذ لاح لي إنسان فأنشدني^(٢):

وقفت حيالك أذري الدموع وأخلط بالدمع مني دماً
وأشكو الذي بي إلى عاذلي ولا خير في الحب أن يكتما

قال: فانتبهت فزعاً مرعوباً، ودعوت بدواة وقرطاس، وجلست في فراشي، وكتبت الشعر.

فقلت لي زوجتي: ماذا تصنع؟ فقصصت عليها القصة والرؤيا.

فقلت: هذا كله من حب فلانة؟ قد وهبتها لك.

^(١) التتوخي: الفرج بعد الشدة، ج٤، القصة رقم ٤٨٣، ص ٣٩٣.

^(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٩٣.

٢- الفتى عاشق جارية أخته

تؤكد قصة "وقد جلبت عيني علي الدواهي"^(١)، أن عشق الفتى يصل به إلى حد المرض الذي لا شفاء منه إلا بحصوله على محبوبته، إذا ما عرف سبب العلة. وفي هذه القصة، يتحايل أهل الفتى لمعرفة سبب مرضه، وما إن أدركوا أنه عاشق جارية أخته، كان الدواء الناجع، عندما وهبته أخته هذه الجارية. وفي ذلك يقول التتوخي:

"عشق فتى، جارية لأخته، وكان سبب عشقه إياها، أنه رآها في منامه، فأصبح مستطاراً عقله، ساهياً قلبه. فلم يزل كذلك حيناً، لا يزداد إلا حباً ووجداً، حتى أنكر ذلك أهله، وأعلموا عمه بما هو فيه، فسأله عن حاله، فلم يقر بشيء، وقال: علة أجدها في جسمي، فدعا له أطباء الروم، فعالجوه بضروب من العلاج، فلم يزدده علاجهم إلا سوءاً، وامتنع عن الطعام والكلام. وعلمت أخته بذلك، فانتشر الخبر، فوهبتها له، فبرأ من علته، أقام على أحسن حال"^(٢).

٣- العاشقات السود

ذكر القاضي التتوخي أيضاً قصص بعض العاشقات السود، دون ذكر أسمائهن. ونقلاً عن بعض الرواة، يذكر قصة جارية سوداء^(٣) قائلاً:

بينما أنا يوماً على ركي قاعد، وذلك في أشد ما يكون من الحر، إذا أنا بجارية سوداء، تحمل جرة لها، فلما وصلت إلى الركي^(٤) وضعت جرتها، ثم تنفست الصعداء، فقالت:

حر هجر، وحر حب، وحرّ أينما من ذا وذا يكون المفر

وفي رواية أخرى: أي حر من بعد هذا أضر؟ وملأت الجرة، وانصرفت. فلم ألْبث إلا يسيراً حتى جاء أسود ومعه جرة، فوضعها بحيث وصعت السوداء جرتها، فمر به كلب أسود، فرمى إليه رغيفاً كان معه، وقال:

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج٦، القصة رقم ١٧١، ص ٢٥٠-٢٥١.

السراج: مصارع العشاق، ج٢، ص ٢٧.

(٢) التتوخي: المصدر نفسه، ج٦، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٣) التتوخي: المصدر نفسه، ج٦، ص ٢٤٠. وقد وردت هذه القصة أيضاً في:

السراج: مصارع العشاق، ج٦، ص ٣٦.

(٤) الركي أو الركايا: جمع الركية، وهي البئر ذات الماء. المنجد، ص ٢٧٨.

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

كما ذكر التنوخي قصة "سوداء قائمة ساهية"^(١)، نقلاً عن إبراهيم بن ميمون^(٢) الذي قال: حجبت في أيام الرشيد، فبينما أنا بمكة، أجول في سككها، إذا أنا بسوداء، قائمة ساهية، فأنكرت حالها، فوقفت أنظر إليها، فمكثت كذلك ساعة، ثم قالت^(٣):

أعمرو علام تجنبي أخذت فـؤادي فعذبتي
فلو كنت يا عمرو خبرتني أخذت حذاري فما نلتني

وعندها سألها عن عمرو، أخبرته بأنها زوجها الذي تركها للعمل في جدة^(٤). فإذا بإبراهيم ابن ميمون يركب راحلته، ويعثر على زوجها في جدة، وأعطاه ثلاثة آلاف درهم^(٥) شرط عودته إلى زوجته، فجمع بذلك بين زوجين عاشقين.
ويروي التنوخي قصة حبشي أسود^(٦)، وقف أمام بئر ميمون^(٧)، فشاهد أحدهم يهمس بهذه الأبيات^(٨):

(١) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ٢٨٤-٢٨٦. وقد وردت هذه القصة أيضاً في:

السراج: مصارع العشاق، ج ١، ص ٢٤٠.

(٢) أبو اسحاق إبراهيم بن ميمون المعروف بالموصللي (ت ١٨٨ هـ/ ٨٠٤ م): ولد سنة ١٢٥ هـ/ ٧٤٢ م. كان فريد

زمانه في الغناء والألحان. حظي عند الخليفة هارون الرشيد.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٤.

وحول أخباره، أنظر:

التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ٢٨٤-٢٨٦، ج ٦، ص ١٦.

الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٣٩٧-٤٠٢. ج ٤، ص ٣٣٧، ٣٩٤، ٤١٦.

(٣) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ٢٨٤.

(٤) جدة: بضم الجيم، فرضة مكة على ساحل بحر اليمن.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٢.

(٥) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ٢٨٦.

(٦) التنوخي: المصدر نفسه، ج ٦، القصة رقم ١٦١، بعنوان "أقف على بعض لومك"، ص ٢٣٩.

السراج: مصارع العشاق، ج ٢، ص ٥٧.

(٧) بئر ميمون: بأعلى مكة، عندها قبر أبي جعفر المنصور العباسي.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٣٦.

(٨) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ٦، ص ٢٣٩.

ألا يا لائمي في حب ريم أفق عن بعض لومك لا اهتدينا
أتأمرني بهجرة بعض نفسي معاذ الله أفعل ما اشتهدنا
أحب لحبها تتليم طراً وتكعة والمشك وعين زيتنا

فسأله عن الأماكن التي ذكرها في البيت الثالث، فأجاب: رباع كانت لنا بالحبشة. قال له: أحسبك عاشقاً، قال: نعم. وبعد ساعة جاءت جارية سوداء على كتفها جرة، فضرب بيده عليها، وقال: هذه هي. وكانت مهمة هذا الحبشي الأسود، أن يقف على قبر أبي جعفر المنصور العباسي، ليرشه بالماء.

٤- شفاء عاشق بعد سنين

تشير القصص التي ذكرها التتوخي، أن لقاء العاشق بمعشوقته، وزواجه منها، هو الدواء للشفاء من مرض العشق الذي يؤدي إلى المرض والجنون فالموت. ومع ذلك يذكر قصة بعنوان "لا تكن ملحاحاً"^(١)، ويؤكد فيها أن السنين أحياناً كفيلة بشفاء العاشق من المرض والجنون، وفي ذلك يقول:

"هوى رجل من أهل البصرة امرأة فضني من حبها، حتى سقط على الفراش، وكان إذا جنه الليل، صاح بأعلى صوته: كم ترى بيننا وبين الصباح، فإذا أكثر، هتف به هاتف من جانب البيت:

ألف عام، وألف عام تباعاً غير شك، فلا تكن ملحاحاً

قال: فأقام الرجل على علته سنين، ثم ابل من علته"^(٢).

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج٦، القصة رقم ١٦٤، ص ٢٤٢.

(٢) التتوخي: المصدر نفسه، ج٦، ص ٢٤٢. السراج: مصارع العشاق، ج١، ص ٢٤٧.

ثالثاً: استنتاجات

إن أشهر قصص عشق المرأة الحرة أو الجارية، تعود إلى عصر الدولة الأموية، وفي طليعتها قصة قيس وليلى التي تحولت إلى ما يشبه الأسطورة، فالأرجح أن قيس وليلى لم يكن لهما في عالم الحقيقة وجود، فحتى يومنا هذا، فإن كل عاشق هو قيس، وكل معشوقة هي ليلى. أما في عصر الدولة العباسية، فقد كثرت قصص العشاق، ومنها العشق الذي يؤدي إلى جنون العاشق كما حصل مع أبي البلاد الذي عشق ابنة عمه سلمى، ومنها العشق الذي يؤدي إلى مرض العاشق، هذا المرض الشديد الذي لا شفاء منه إلا بتزويجه معشوقته كما حصل مع محمد بن علي بن حمزة عاشق جارية زوجته، وقصة الحبشي الأسود عاشق الجارية السوداء، وأحياناً يشفى العاشق من مرضه بعد سنين، دون أن يتزوج معشوقته.

وقصص عشق المرأة والجارية، لها دلالات في ذهنية أبناء العصر العباسي، بعدما برزت مظاهر الترف والغناء والرقص مع الجواري داخل القصور ودور كبار التجار، حيث كثرت اقتناء الجواري اللواتي عايشن المرأة الحرة وتفوقن عليها، نتيجة حظوتهن لدى الرجال الأحرار والخلفاء، وبالمقابل فإن الحب العذري وعشق المرأة الحرة أو الجارية استمر لدى بعض الفتيان والرجال، وهو الحب الذي يتحول إلى المرض وأحياناً إلى الجنون، وإن كانت هذه الذهنية موجودة في العصر الأموي، وفي الجاهلية قبلاً مع أشهر قصص العشق.

الخاتمة

إن البحث في موضوع التطور التاريخي لدور المرأة في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م)، أدى إلى عدة استنتاجات مهمة يمكن التطرق إليها موزعة على الفصول السبعة.

بالنسبة للفصل الأول فإن تطور الأوضاع السياسية والعسكرية في الفترة الزمنية الخاصة بعنوان الأطروحة، يشير إلى الهيمنة الفارسية في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م)، وهي الهيمنة التي حاول الخليفة هارون الرشيد القضاء عليها مع نكبة البرامكة بتأثير من زوجته العربية الحرة زبيدة التي أنجب منها الخليفة محمد الأمين الذي ما لبث أن قتل في الصراع مع أخيه عبد الله المأمون الذي أعاد الهيمنة- الفارسية بتأثير من أمه الجارية الفارسية مراحل وقد تطور النفوذ من الهيمنة الفارسية في العصر العباسي الأول إلى الهيمنة التركية مع نفوذ القادة الأتراك في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م) ويعود هذا النفوذ إلى الخليفة المعتصم بالله الذي أكثر من الاستعانة بالأتراك حتى شكلوا جيشاً كبيراً اضطر معه لبناء مدينة جديدة هي سامراء ليحمي أهل بغداد منهم.

وبالنسبة للفصل الثاني، فإن الدور السياسي الذي قامت به المرأة العربية الحرة في العصر العباسي، يشير إلى رصانة التدخل السياسي، كما هو حال زبيدة زوجة هارون الرشيد وأم محمد الأمين التي تمكنت من التأثير على زوجها في تنفيذ نكبة البرامكة سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م)، ووقوفها إلى جانب التيار العربي في وجه النفوذ الفارسي وكذلك فإن أم الشريف بنت عيسى، برهنت على بعد النظر وصواب الرأي معالجة الأمور عهد المعتضد بالله.

أما المرأة الجارية، فقد أوصلت الحكم العربي في العصر العباسي إلى البلبلة والاضطرابات، في ظل تقاوم النفوذ الفارسي حينما برزت الخيزران التي تعد أول امرأة جارية من أمهات الخلفاء تستبد بالحكم في الإسلام (١٥٨-١٧٣هـ/ ٧٥٥-٧٨٩م) بعد أن تحالفت مع البرامكة الفرس، ليتطور دور المرأة مع شغب أم المقتدر التي تعاونت مع النفوذ التركي، لتسيطر مع القهرمانات طيلة ربع قرن (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) وتدخل في تعيين الوزراء وعزلهم.

وبذلك تطورت الخلافات بين العباسيين في العصر العباسي الأول، لتصبح أشد وأعقد

في العصر العباسي الثاني فرغم الدور البارز للخيزران وزبيدة في العصر العباسي الأول إلا أن

دور شغب في العصر العباسي الثاني، كان أشد خطراً وعنفاً، فقد كانت الخلافات تشتد كلما زاد تدخل النساء والخدم في السلطة، مع تدخل الأتراك، ما أدى إلى قتل العديد من الخلفاء العباسيين أمثال: المتوكل، المستعين، المعتز، المهدي، والمقتدر. كما سمل القاهر بعد خلعه وسمل أيضاً المتقي والمستكفي. أما مثلاً في العصر العباسي الأول فإن الخيزران كانت وراء مقتل ابنها الخليفة الهادي حتى تستبد بالأمور مع خلافة ابنها الآخر هارون الرشيد. كما كان الصراع بين زوجتي هارون الرشيد كفيلاً بتأجيج الصراع بين الأخوين محمد الأمين ابن زبيدة "العربية" وعبد الله المأمون ابن مراجل "الفارسية"، لينتهي الأمر بمقتل الأمين وتولي المأمون الخلافة. وفي العصر العباسي الثاني فإن الصراع بين قبيحة أم المعتز وحبشية أم المنتصر، وهما من زوجات المتوكل والد المعتز والمنتصر، أدى إلى مشاركة حبشية في مؤامرة قتل زوجها المتوكل حتى تفتح المجال أمام خلافة ابنها المنتصر الذي شارك أيضاً في المؤامرة، ليتولى الخلافة ويموت بدوره مسموماً.

وبالنسبة للفصل الثالث، نستنتج أنه كان للخلفاء، في العصر العباسي مجالس للطرب والغناء يحضرها الشعراء والأدباء والمغنون والمغنيات والراقصات والموسيقيون والملهون. وحظيت الجواري الشوارع والمغنيات بمرتبة عالية لدى بعض الخلفاء والوزراء، بدءاً من الوزير يحيى بن خالد البرمكي الذي اشتهرت جاريته دنانير في الغناء، والمأمون الذي اشتهرت جاريته عريب في الغناء، دون إغفال المرأة الحرة التي اشتهرت في الشعر مثل عليّة بنت المهدي وقطر الندى زوجة المعتضد، وكان المعتمد على الله شغوفاً بالطرب والغناء والموسيقى، وله مجالس دونت في أنواع من الأدب، ويعود انتشار الغناء إلى كثرة الجواري، فقد كان معظم الفتيات اللاتي يحترفن الغناء في بغداد أواخر العصر العباسي الثاني من الجواري.

وكانت مجالس الغناء والطرب أكثر انتشاراً في العصر العباسي الثاني من العصر العباسي الأول، بدليل رسوم لنساء يرقصن، عثر عليها في أنقاض بعض القصور في أطلال مدينة سامراء. وهذه الرسوم، تعود إلى محاكاة العرب للفرس والبيزنطيين، فمزجوا بين الفنون التي

اطلعوا عليها في البلاد المفتوحة التي كانت خاضعة للفرس والبيزنطيين، فكان لهم ما أرادوا فنوناً عربية إسلامية خالصة، وفي طليعتها الخط العربي الذي زخرفوا به حيطان المساجد.

وقد تطور فن الغناء مع تطور الموسيقى، في العصر العباسي نتيجة لتأثر المجتمع العباسي بالفرس والبيزنطيين، ولانتشار الجواني وتشجيع الخلفاء للمغنين والمغنيات والموسيقيين فأغدقوا عليهم الهدايا والأموال.

كان المتوكل، أول خلفاء البلاط العباسي الثاني، من أكثر الخلفاء تشجيعاً لأساتذة الموسيقى علناً وجهرًا، كما شجع المغنيات وفي طليعتهن: فريدة وشارية وعريب ومحبوبة، لتتضم إليهن نبت عهد المعتمد على الله، وشاجي عهد المعتضد بالله، وصالفة عهد المقتدر بالله مع الإشارة إلى تراجع مجالس الغناء والطرب منذ عهد القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٤م) الذي منع إقامة مثل هذه المجالس.

وعلى الرغم من محاولة بعض الخلفاء وعلماء الدين والأئمة، في حث الناس للإقلاع عن مجالس المغنين والمغنيات وسماع الموسيقى، فقد كان العصر العباسي مزدهراً في فن الموسيقى والغناء، وحفلت قصور الخلفاء بمجالس اللهو والغناء والرقص والطرب، في الوقت الذي كان فيه هذا البلاط يبرز تحت نفوذ الأتراك، وما يرافق ذلك من انهيار سياسي وصراع حول السلطة والنفوذ، لم تغب عنه المرأة التي نشطت في السياسة والاجتماع والثقافة والاقتصاد، كما نشطت في مجالس اللهو والغناء والرقص والطرب.

وبالنسبة للفصل الرابع عن تطور دور المرأة في العلوم الدينية والزهد والتصوف، نستنتج أنه لم تكن المرأة، في العصر العباسي، بعيدة عن الحياة الثقافية، بل أسهمت فيها، وتبوأت منزلة لا يستهان بها، عبر دورها في العلوم الدينية والأدب والشعر.

ومن الطبيعي، أن تبرز المرأة الحرة في العلوم الدينية، مثل: عبدة بنت الرحمن الأنصارية، سمانة بنت حمدان الأنبارية، أم عيسى بنت ابراهيم بن اسحاق الحربي، أمة الواحد "ستيته"، وأمة السلام "أم الفتح".

وإذا كانت الجواني قد برعن في الأدب والشعر والغناء، وبرزن في مجالس اللهو والطرب والرقص، فقد كان للتطور الشامل الذي حدث في البلاط العباسي الأول، أثره في إنتشار ظاهرة الزهد التي ما لبثت أن تحولت إلى التصوف في البلاط العباسي الثاني. فأسهمت المرأة الحرة في

حركة الزهد والتصوف، على غرار إسهامها في الميادين الأخرى، وبرزت آسية البغدادية وآمنة الرملية.

لم تقتصر ظاهرة الزهد والتصوف على المرأة الحرة، فهناك نوع من الزهد، تلجأ إليه الجواري، اللاتي سبق أن ملأن الدنيا عبثاً ومجوناً وفجوراً، حينما تشعرنّ بقرب الموت كما حدث لعريب وخزامى.

وثمة ظاهرة مهمة، تجلت في موقف أمهات الخلفاء من النصارى، فقد تطور هذا الموقف من زبيدة أم الخليفة محمد الأمين في العصر العباسي الأول إلى مواقف شجاع أم الخليفة المتوكل ومخارق أم الخليفة المستعين وشغب أم الخليفة المعتذر وظلوم أم الخليفة الراضي في العصر العباسي الثاني، وهذا يدل إلى مدى العطف الذي حظي به النصارى من أمهات الخلفاء العباسيين.

وبالنسبة للفصل الخامس عن "تطور وضع المرأة" في البيت والعمل، نستنتج أن دور المرأة تطور تطوراً كبيراً، مع قيام الدولة العباسية، وخلال العصر العباسي، بعدما اتجه معظم الخلفاء العباسيين نحو بناء القصور الفخمة التي عاشت فيها النساء من الحرائر والجواري، فظهرت المعايير الجديدة لتجمل المرأة وزينتها، نتيجة تأثير النفوذ الفارسي في العصر العباسي الأول، فظهر أثر الفرس في تعدد الأزياء سواء لدى الرجال أو النساء.

وظهرت حيل النخاسين في تغيير صفات الجواري حتى تسهل عملية بيعهنّ في سوق النخاسة، بأثمان مرتفعة.

وقد تعددت المهن التي زاولتها الجواري، مثل: الخط والكتابة، والحجامة، والغزل. كما اشتغلت بعضهنّ كماشطات أو خبازات في بيوت الأمراء والأغنياء، أو غسالات للموتى أو نائحات في المآتم، وغيرها من المهن.

ومع ذلك، يمكن التنويه بدور المرأة الحرة التي حاولت التمسك بالتقاليد العربية، في الظروف المستجدة في المجتمع العباسي الذي أصبح فيه الخلفاء يؤثرون الجواري اللواتي تحولنّ إلى زوجات الخلفاء ثم أمهات الخلفاء، ليطغى دور الجواري على دور المرأة العربية الحرة.

وإن استنتاجات الفصل السادس عن تطور مظاهر الغنى وأعمال الخير لدى المرأة العباسية، يشير إلى أنه إذا كانت بعض أمهات الخلفاء في العصر قد وصلن إلى الغنى والثروة، مثل الخيزران أم الهادي والرشيد وزبيدة أم الأمين، وقبيحة أم المعتز بالله والسيدة شغب أم المقتدر بالله، كما وصلت إلى هذه الثروة بعض الجواري الشواعر أو المغنيات، وبعض القهرمانات، فإن مثل هذا الواقع، وليس بالضرورة، أن يشير إلى ازدهار الحياة الاقتصادية، بالعكس فقد أدى ذلك إلى تدهور الوضع الاقتصادي في العصر العباسي الثاني، وإن كانت الحياة الاقتصادية ازدهرت في العصر العباسي الأول.

ويحار المرء في تحليل بعض الأوضاع الاقتصادية المتردية، عندما يجد بيت المال فارغاً عهد الخليفة المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ / ٨٦٦-٨٦٩م) الذي وجد نفسه عاجزاً عن دفع رواتب الجند من أترك ومغاربة، لتشتد الفتنة بين طوائف الجند، حتى انقلب الأمر على الخليفة نفسه، في الوقت الذي كانت فيه "قبيحة" أم الخليفة تملك ثروة كبيرة، تزيد عن مليون وثمانمائة ألف دينار، خشيت أن تصرح بها، وتركت ابنها يموت على يد المتآمرين المطالبين بخمسين ألف دينار فقط هي رواتب الجند.

لذلك لجأ القادة والأترك، إلى أسلوب جديد للحصول على المال وجمعه، وهو المصادرة. فكثيراً ما تعرض الأمراء والأغنياء من التجار والصاغة إلى المصادرة، وكذلك أمهات الخلفاء والقهرمانات والوزراء، فكان نساء القصر والقادة الأترك والخدم والجواري، في صراع دائم حول السلطة والنفوذ وجمع الثروة والغنى.

فقد صودرت قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز بالله، على مليون وثمانمائة ألف دينار وصودرت السيدة شغب أم المقتدر بالله، في المرة الأولى سنة (٣١٧هـ / ٩٢٩م)، على ستمائة ألف دينار وبعد مقتل ابنها المقتدر بالله سنة (٣٢٠هـ / ٩٣٢م)، ماتت دون أن تعترف بمخابئ ما لديها من المال والمجوهرات التي يعجز المؤرخ عن مقدار قيمتها حيث قيل الكثير عن ثروتها. ويكفي أنه بعد مصادرة أم موسى القهرمانة، استحدث ديوان جديد لإدارة الأموال التي صودرت منها، أطلق عليه "ديوان المقبوضات عن أم موسى".

وتبدو أشهر قصص عشق المرأة الحرة والجارية في الفصل السابع، من قصص العشق التي تنتهي بموت العاشق أو بجنونه، إلى قصص العشق التي تؤدي إلى مرض لا شفاء منه إلا بزواج العشاق.

وأخيراً، يمكن القول، أن المرأة الجارية أو الحرة، أدت دوراً بارزاً في الفترة (١٣٢-٣٣٤هـ/ ٧٥٠-٩٤٥م)، وإن كان الأفضل أن يقتصر دورها على مختلف المجالات التي تركت فيها أثراً، باستثناء الدور السياسي الذي أدى تدخلها فيه إلى مزيد من الفوضى والاضطرابات، فسهل النفوذ الفارسي في العصر العباسي الأول والنفوذ التركي في العصر العباسي الثاني، إن المرأة الجارية غير العربية، التي تحولت إلى سيدة القصر، سواء زوجة للخليفة أم أمّاً له، هي أحد أسباب الصراع في العصر العباسي، فقد حاول الفرس السيطرة في العصر العباسي الأول قبل أن تحل بهم نكبة البرامكة على يد هارون الرشيد، ليستعيدوا السيطرة مع خلافة المأمون، فقد حول الأتراك خلفاء العصر العباسي الثاني إلى العوبة بأيديهم، يعزلون من يشاؤون، ويباعون من يشاؤون طيلة نحو قرن (٢٣٢-٣٣٤هـ/ ٨٤٧-٩٤٥م).

الملاحق

١. الخلفاء في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م).
٢. أمهات الخلفاء في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٤هـ/٧٥٠-٨٤٧م).
٣. أمهات الخلفاء في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م).
٤. راقصتان في لوحة جدارية في قصر الجوسق بسامراء.
٥. امرأة وكلب يهاجمان حيواناً - لوحة في قصر الجوسق بسامراء.
٦. كتاب الوزير علي بن عيسى إلى شغب (٣٠٤هـ/٩١٦م).
٧. أنموذج من إسراف شغب.
٨. الخليفة القاهر يعذب شغب زوجه أبيه ويصلبها منكسة.

ملحق رقم (١)

الخلفاء في العصر العباسي^(١)

(١٣٢-١٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م)

- ١- السفاح، أبو العباس عبد الله بن محمد (١٣٢هـ/٧٥٠م)
- ٢- المنصور، أبو جعفر عبد الله بن محمد (١٣٦هـ/٧٥٤م)
- ٣- المهدي، محمد بن عبد الله (١٥٨هـ/٧٧٥م)
- ٤- الهادي، موسى بن محمد (١٦٩هـ/٧٨٥م)
- ٥- الرشيد، هارون بن محمد (١٧٠هـ/٧٨٦م)
- ٦- الأمين، محمد بن هارون (١٩٣هـ/٨٠٩م)
- ٧- المأمون، عبد الله بن هارون (١٩٨هـ/٨١٣م)
- ٨- المعتصم بالله، محمد بن هارون (٢١٨هـ/٨٣٣م)
- ٩- الواثق بالله، هارون بن محمد (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م)
- ١٠- المتوكل على الله، جعفر بن المعتصم (٢٣٢هـ/٨٤٧م)
- ١١- المنتصر بالله، محمد بن المتوكل (٢٤٧هـ/٨٦١م)
- ١٢- المستعين بالله، أحمد بن المعتصم (٢٤٨هـ/٨٦٢م)
- ١٣- المعتز بالله، أحمد بن المتوكل (٢٥٢هـ/٨٦٦م)
- ١٤- المهتدي بالله، محمد بن الواثق بن المعتصم (٢٥٥هـ/٨٦٩م)
- ١٥- المعتمد على الله، أحمد بن المتوكل (٢٥٦هـ/٧٨٠م)
- ١٦- المتعز بالله، أحمد بن الموفق بن المتوكل (٢٧٩هـ/٨٩٢م)
- ١٧- المكتفي بالله، علي بن المعتضد (٢٨٩هـ/٩٠٢م)
- ١٨- المقتدر بالله، جعفر بن المعتضد (٢٩٥هـ/٩٠٨م)
- ١٩- القاهر بالله، محمد بن المعتضد (٣٢٠هـ/٩٣٢م)
- ٢٠- الراضي بالله، أحمد بن المقتدر (٣٢٢هـ/٩٣٤م)
- ٢١- المتقي لله، إبراهيم بن المقتدر (٣٢٩هـ/٩٤٠م)
- ٢٢- المستكفي بالله، عبد الله بن المكتفي (٣٣٣-٣٣٤هـ/٩٤٤-٩٤٥م)

^(١) سوزي حمود: الدولة العباسية، ملحق رقم ٣ ص ٢٤١-٢٤٢.

ملحق رقم (٢)

أمهات الخلفاء في العصر العباسي الأول^(١)

(١٣٢-١٢٣٤هـ/٧٥٠-٨٤٧م)

عربية	أم السفاح	١- ريطة بنت عبيد الله الحارثي
بربرية	أم المنصور	٢- سلامة
عربية	أم المهدي	٣- أروى بنت المنصور الحميرية
تركية	أم الهادي والرشيد	٤- الخيزران
عربية	أم الأمين	٥- زبيدة بنت جعفر بن المنصور
فارسية	أم المأمون	٦- مراجل الباذغيسية
تركية	أم المعتصم بالله	٧- ماردة
رومية	أم الواثق بالله	٨- قراطيس

^(١) أمل كوسا: دور المرأة في المجتمع العباسي، ص ٣٦١.

ملحق رقم (٣)

أمهات الخلفاء في العصر العباسي الثاني^(١)

(٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م)

- | | |
|----------------------------------|-------------------|
| ١- شجاع أم المتوكل على الله | خوارزمية أو تركية |
| ٢- حبشية أم المنتصر بالله | رومية |
| ٣- مخارق أم المستعين بالله | صقلبية |
| ٤- قبيحة أم المعتز بالله | رومية |
| ٥- قرب أو وردة أم المهدي بالله | رومية |
| ٦- فتيان أم المعتمد على الله | رومية |
| ٧- ضرار أم المعتضد بالله | رومية |
| ٨- جيجك أم المكتفي بالله | تركية |
| ٩- شغب أم المقندر بالله | رومية أو تركية |
| ١٠- فتنة أم القاهر بالله | بربرية |
| ١١- ظلوم أم الراضي بالله | رومية |
| ١٢- خلّوب أو زهرة أم المتقي لله | رومية |
| ١٣- أملح الناس أم المستكفي بالله | رومية |

^(١) سوزي حمود: دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في البلاط العباسي الثاني، ص ٢٦٧.

ملحق رقم (٤)

راقصتان في لوحة جدارية في قصر الجوسق بسامراء^(١)



^(١) ثروت عكاشة: موسوعة التصوير الإسلامي، لوحة رقم ٩ ولوحة رقم ٥٢م.

ملحق رقم (٥)

امرأة وكلب يهاجمان حيواناً - لوحة في قصر الجوسق بسامراء^(١)



^(١) حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م٤، ص ٣٦٣.

ملحق رقم (٦)

كتاب الوزير علي بن عيسى إلى شغب

(٣٠٤هـ/٩١٦م) (١)

أرسل الوزير علي بن عيسى كتاباً إلى السيدة شغب أم المتقدر بالله، سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م)، يتصل فيه من التبعات التي ألقتها عليه في إدارة شؤون الدولة المالية وهذا هو نص الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

"أطال الله بقاء السيدة، وأدام عزها وتأييدها وكلاءتها وحراستها، وأسبغ نعمه عليها وزاد في إحسانه إليها ومواهبه الجميلة وآلائه الجزيلة وأقسامه الهيئته وفوائده السنوية عندها. وبلغها في سيدنا أمير المؤمنين، أطال الله بقائه وأدام له العز والتمكين والنصر والتأييد غاية محبتها وأفضل أمنيته، ووصل أيام سرورها بعافيته واغترباطها برؤيته ووقاها فيه وفي نفسها، وفي الأمراء استودعهم الله واستوهبه أيامها كل سوء محذور ومخوف بمنه ورأفته.

وصلت الرقعة أعز الله السيدة، وعرفت ما تضمنت. فأما الفتنة التي كانت ملتحمة مع أعظم الأعداد مضرّة وأقربهم محلة وأشدّهم على المطالبة جرأة، فقد تكلفت الإنفاق عليها وقمت بتدبيرها، حتى بلغ الله أمير المؤمنين والسيدة في جميعها المحبة وانتظمت في صدور الأعداء شرقاً وغرباً الهيبة. وما أنفقت مع ذلك من مال بيت الخاصة بعد الذي رددته إليه نصف عشر ما أنفقه محمد بن عبيد الله الخاقاني وابن الفرات قبله، وأنا عامل بعون الله على رد ذلك على آخره. ومتى لم ينفق المعتضد بالله في أسفاره على مائدة أعدائه من بيت مال الخاصة أضعاف هذه النفقة، وقد أنفق المكتفي بالله وكان من النظر في القليل اليسير على ما عرف به من بيت مال الخاصة جملة بعد جملة، مع قلة النفقات في أيام المعتضد بالله. وما أقول قولاً يدفع لأن الدواوين تشهد به وحسابات بيوت الأموال تدل عليه ومؤنس خازن بيت مال الخاصة منذ أيام المعتضد بالله وإلى هذه الغاية يعلمه، وإن سئل عنه صدق هذا مع رفيقي بالرعية وعمارتي

(١) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

النواحي المحتلة وإزالتني عنها كل ظلم ومؤونة، حتى صارت أيام أمير المؤمنين أطال الله بقاءه منذ خدمته، أيام الخير وفيها الآثار الموصوفة وامتألت قلوب الرعية هيبه بعد أن كانت تثب على الرؤساء وترمى بالحجارة على ما قيل لي عند اجتيازهم في دجلة.

وأما الاستحقاقات المتأخرة فلست أعرفها، وبباب أمير المؤمنين الكثير من الغلمان والحاشية والفرسان والرجالة، وما أحسب صنفاً من هذه الأصناف يقدر أن يقول إنه قبض من وقت من الأوقات قبضاً متصلاً وليس يقول أحد منهم إنه دفع عن استحقاق ولا تأخر له شيء من رزقه ونزله، كذلك الفرسان والعساكر الخارجة مع مؤنس وغيره مستوفية وأكثر بالحضرة فهذه سبيلهم. وقد حضروا منذ مدة بباب العامة، وطالبوا، فأدخلت طائفة منهم ونوطرت، فلم تكن لهم حجة في الاستحقاقات، وإنما التمسوا الزيادة والنظر والصلة، وهذا خارج عن الواجب. ولو منع بعضهم فلم يعط شيئاً لكان ذلك واجباً صالحاً، ومتى كان الجند يوفون حتى لا يكون لهم شيء متأخر؟ ما كان هذا في زمن من الأزمان، وما تركت أن قلت لسيدنا أمير المؤمنين أعزه الله في ذلك ما يجب أن أقوله، وخاطبت أم عيسى مرة بعد مرة فيه. وأما ما قيل للسيدة أعزها الله في استعفاء، فلم أستعف نصاً ولو حملت الرماد على رأسي لما تكرهت ذلك ولا تأبيته، وإني لألزم نفسي الصبر على كل نائبة في خدمة سيدنا أمير المؤمنين أيده الله، وأرى ذلك ديانة. ولكنني أعز الله السيدة أضجر كما يضجر الناس إذا خوطب بما لا يحب وأنا أبلغ جهدي في النصيحة وتأدية الأمانة، فإن كان ذلك واقعاً موقعه فهو الذي أقصد، وإن كان يظن بي غير ما أنا عليه فهي المصيبة. وقد يحرم الإنسان ثمرة اجتهاده ويقع ما يفعله على خلاف مذهبه واعتماده. وما يسعني وما يحل لي أن أؤخر الصدق في جميع الأحوال، قاضياً بذلك حق الله عز وجل وحق سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وحق السيدة أعزها الله، وأسأل الله أولاً وآخراً أن يصلح لهما أمورهما ظاهراً وباطناً صغيرها وكبيرها، ويكفيهما المهم، ويسهل الصلاح بهما وعلى أيديهما بمنه وقدرته وجوده وكرمه".

ملحق رقم (٧)

أ نموذج من إ سراف شغب^(١)

حدثني أبو الحسن البرسي، العامل بالبصرة، إن بعض بني إسحاق الشيرازي المعروف بالخرقي، ممكن كان يعامل أم المقتدر، أسماه هو وأنسبته أنا، حدثه: إنها طلبت منه في يوم يقرب من نيروز المعتضد، ألف شقة زهرية خفاقاً جداً.

قال: فبعثت في جمعها، والرسل تكدني بالاستعجال، والقهارمة يستبطوني، حتى تكاملت، وصرت بها إلى الدار.

فخرجت القهرمانة، فقالت: اجلس في الحجرة التي برسمك، واستدع الخياطين، وتقدم أن يقطعوا ذلك أزراراً على قدر حب القطن، ويحشونها من الخرق، ويخيطونها، ليجعل بدل حب القطن وبشرب دهن البلسان، وغيره من الأدهان الطيبة الفاخرة، وتوقد في المجامر البرام على رؤوس الحيطان ليلة النيروز بدلاً من حب القطن والنفط والمجامر الطين.

فعلت ذلك، ومضت تلك الثياب الكثيرة الأثمان في هذا.

قال، وقال لي: كنت أشتري لها ثياباً دبيقية، يسمونها ثياب النعال.

وذلك إنها كانت صفاقاً، تقطع على مقدار النعال المحذوة، وتطلى بالمسك والعنبر المذاب، وتجعد، ويجعل بين كل طبقتين من الثياب من ذلك الطيب ما له قوام، ونحن نفعل بطاقات كثيرة كذا، وتلف بعضها على بعض، ثم تصمغ حواليتها بشيء من العنبر، وتلرز حتى تصير كأنها قطعة واحدة، وتجعل الطبقة الأولى بيضاء مصقولة، وتخرز حواليتها بالإبريسم، ونجعل لها شركاً، من إبريسم كلها، كالشرك المصفورة من الجلود، وتلبس.

قال: وكانت نعال السيدة من هذا المتاع، لا تلبس النعل إلا عشرة أيام، أو حواليتها، حتى تخلق، وتتفتت، وتذهب جملة دنانير في ثمنها، وترمى.

فيأخذها الخزان، أو غيرهم، فيستخرجون من ذلك العنبر والمسك فيأخذونه، وهو يساوي جملة دنانير.

^(١) التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ١، ص ٢٩٣، ٢٩٤.

ملحق رقم (٨)

ال خليفة القاهر يعذب شغب

زوجة أبيه، ويصلبها منكسة^(١)

وهذه شغب أم المقتدر بالأمس، تتعمت ما لم يتتعمه أحد، ولعبت من أموال الدنيا بما استفاض خبره.

فلما قتل المقتدر قبض عليها القاهر، فعذبها صنوف العذاب حتى قيل إنه علقها بثدييها، يطالبها بالأموال. وحتى علقها منكسة، فبالت، فكان بولها يجري على وجهها.

فقالت له: يا هذا، لو كانت معنا أموال، ما جرى في أمرنا من الخلل، ما يؤدي إلى جلوسك، حتى تعاقبني بهذه العقوبة، وأنا أمك في كتاب الله عز وجل وأنا خلصتك من ابني في الدفعة الأولى، حتى أجلس هذا المجلس.

^(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦ ص ٢٥٣.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- القرآن الكريم.
- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد (ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م).
 - ١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ثلاثة أجزاء، دار الثقافة، بيروت، طبعة رابعة، ١٩٨٧م.
 - ٢- الأثير، عز الحسن علي بن أبي عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م).
 - ٣- الكامل في التاريخ، ثلاثة عشر جزءاً، عن طبعة المستشرق تورنبرغ، دار صادر، بيروت (د.ت).
 - ٤- ابن بطلان، أبو أنيس المختار بن الحسن (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٣م).
 - ٥- رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد تحقيق عبد السلام هارون، طبعة أولى ١٩٥٤.
 - ٦- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م).
 - ٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٣٥.
 - ٨- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م).
 - ٩- المنتظم في أخبار الأمم والملوك، ثمانية عشر جزءاً، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
 - ١٠- ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة السعادة، مصر، طبعة أولى، ١٩٦٢م.
 - ١١- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
 - ١٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر، سبعة أجزاء، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٦.
 - ١٣- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
 - ١٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ثمانية أجزاء، تحقيق إحسان عباس، بيروت (١٩٧٠-١٩٧٢م).

- ابن الزبير أبو الحسين أحمد (القرن ٥هـ/١١م).
- ٩- **الذخائر والتحف**، تحقيق محمد حميد الله، الكويت ١٩٥٩.
- ابن الساعي، تاج الدين علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٦م).
- ١٠- **نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء**. تحقيق مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة (د.ت).
- ابن سعد محمد بن سعد بن منيح الهاشمي (ت ٢٣٠هـ/٨٥٤م).
- ١١- **الطبقات الكبرى**، تسعة أجزاء، تحقيق محمد عبد القادر، عطا، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٠.
- ابن شاعر الكتبي، محمد بن شاعر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاعر، الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
- ١٢- **فوات الوفيات**، خمسة أجزاء تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤.
- ابن طباطبا، أبو جعفر بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م).
- ١٣- **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م).
- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر علي بن ثابت، (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م).
- ١٤- **تاريخ بغداد**، أربعة عشر جزءاً، بيروت (د.ت).
- ابن ظافر علي الأزدي
- ١٥- **بدائع البدانة**، تحقيق محمد أبو الفضل، مكتبة الأنجلو- القاهرة ١٩٧٠.
- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م).
- ١٦- **العقد الفريد**، ثمانية أجزاء- تحقيق محمد سعيد العريان. القاهرة، طبعة ثانية ١٩٣٥م.
- ابن العبري، أبو الفرج، غريغوريوس بن هارون الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م).
- ١٧- **تاريخ مختصر الدول**، دار الشرق، بيروت، طبعة ثالثة، ١٩٩٢م.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م).

- ١٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ثمانية أجزاء، مكتبة القدس، القاهرة، (١٣٥٠-١٣٥١هـ / ١٩٣١-١٩٣٢م).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م).
- ١٩- عيون الأخبار، ٤ أجزاء، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٣.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م).
- ٢٠- أخبار النساء، دار المدى، دمشق، ٢٠٠١م.
- ابن كثير، عماد الدين الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٤٤هـ/١٢٣٧م).
- ٢١- البداية والنهاية، أربعة عشر جزءاً، مكتبة المعارف، بيروت، طبعة رابعة (١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن يعقوب أبي اسحاق بن محمد بن إسحاق (ت ٣٨٣هـ/٩٢٢م).
- ٢٢- الفهرست، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م).
- ٢٣- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد الحافظ، مؤسسة الرسالة، طبعة ثانية، بيروت ١٩٨٦م.
- أبو حنيفة الدينوري أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م).
- ٢٤- الأخبار الطوال، دراسة وتوثيق عصام الحاج علي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م).
- ٢٥- الأغاني، أربعة وعشرون جزءاً، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ثانية ١٩٩٢م.
- ٢٦- الإمام الشواعر، تحقيق نوري حمودي القيسي ويونس أحمد السامرائي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، طبعة ثانية ١٩٨٦م.
- التتوخي، القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد التتوخي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م).

٢٧- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ثمانية أجزاء، تحقيق المحامي عبود الشالجي -

دار صادر، بيروت ١٩٧١-١٩٧٣م.

٢٨- الفرج بعد الشدة، خمسة أجزاء، تحقيق المحامي عبود الشالجي - دار صادر،

بيروت ١٩٧٨.

- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م).

٢٩- البصائر والذخائر، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق (د.ت).

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م).

٣٠- لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، القاهرة ١٩٦٠م.

٣١- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محي الدين، القاهرة، ١٩٥٦.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م).

٣٢- المحاسن والأضداد، مكتبة العرفان، بيروت (د.ت).

٣٣- مفاخرة الجواري والغلمان، تحقيق شارل بيلا، دار المكشوف، طبعة أولى، بيروت

١٩٥٧.

- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م).

٣٤- الوزراء والكتاب- تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي،

القاهرة (١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م).

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م).

٣٥- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، عشرون جزءاً: تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،

دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٣٦- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام- ستة وأربعون جزءاً- تحقيق عمر عبد

السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٨م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).

٣٧- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الفجالة، القاهرة، طبعة

رابعة (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).

- ٣٨- تحفة المجالس ونزهة الجلساء، مصر، ١٩٠٨.
- ٣٩- المستظرف في أخبار الجواري، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، طبعة أولى، ١٩٦٣م.
- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م).
- ٤٠- الديارات- تحقيق كوريكوس عواد، مكتبة المثنى، بغداد، طبعة ثانية (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).
- الصابئ، أبو الحسن هلال بن المحسن بن إبراهيم، (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م).
- ٤١- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (الوزراء) وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٤٢- رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد (١٣٨٣هـ/١٩٦٤م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
- ٤٣- الوافي بالوفيات، اثنان وعشرون جزءاً، فيسبادن (١٣٨٢-١٤٠٤هـ/١٩٦٢-١٩٨٤م).
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م).
- ٤٤- أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، مصر (١٣٤١هـ/١٩٢٢م).
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م).
- ٤٥- تاريخ الأمم والملوك، عشرة أجزاء، دار التراث، بيروت، طبعة ثانية (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).
- غرس النعمة، أبو الحسن محمد بن هلال بن الحسن بن إبراهيم الصابئ (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م).
- ٤٦- الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشر، دمشق ١٩٦٧م.
- القرطبي، عريب بن سعيد
- ٤٧- صلة تاريخ الطبري، تحقيق ميكال يان دي خويه، ليدن، ١٨٩٧م.
- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الوهاب (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).

- ٤٨- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق أمين الخانجي، مصر (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م).
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
- ٤٩- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- ٥٠- مجهول، العيون والحدائق، ليدن ١٨٦٩م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ/٩٥٧م).
- ٥١- مروج الذهب ومعادن الجوهر- أربعة أجزاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٦٦م.
- ٥٢- التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت (١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- مسكويه، أحمد بن محمد (٤٢١هـ/١٠٣٠م)
- ٥٣- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق ه.ف. آمدوز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر ١٩٤١.
- المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد العشاري (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).
- ٥٤- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم- تحقيق محمد مخزوم- دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- المقرئ أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م).
- ٥٥- نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق محمد محي الدين بن الحميد- القاهرة ١٩٤٩.
- المقرئ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
- ٥٦- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، جزآن، طبعة بولاق، القاهرة (١٢٧٠هـ/١٨٥٣م).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
- ٥٧- نهاية الإرب في فنون الأدب، ثمانية أجزاء، دار الكتب، القاهرة، (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م).
- الهمذاني، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م).

٥٨- تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،

طبعة ثانية ١٩٦٢م.

- الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى (ت ٢٨٦هـ/٨٩٩).

٥٩- الموشى أو الظرف والظرفاء، تحقيق كمال مصطفى، طبعة ثانية

(١٣٧٢هـ/١٩٥٣م).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت

٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

٦٠- معجم الأدباء، سنة أجزاء، (ويعرف أيضاً بـ "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" و-

"طبقات الأدباء"، داء الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م.

٦١- معجم البلدان، خمسة أجزاء، تحقيق فرديناند وستنفلد، دار صادر بيروت ١٩٩٥م.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح " (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م).

٦٢- التاريخ، جزآن، دار صادر، بيروت، طبعة سادسة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٦٣- البلدان، طبعة دي غويه، ليدن، ١٨٩٢.

- الدواوين:

٦٤- ديوان البحري: تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف ١٩٦٣.

٦٥- ديوان زهير بن أبي سلمى، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٤.

٦٦- ديوان ابن الروحي، تحقيق كامل الكيلاني، مطبعة التوفيق الأدبية بالقاهرة ١٩٢٤.

ثانياً: المراجع العربية

- الأطرقي، واجدة مجيد عبد الله.
- ١- المرأة في أدب العصر العباسي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١م.
- أمين، أحمد.
- ٢- ظهر الإسلام، ثلاثة أجزاء، القاهرة، طبعة ثانية ١٩٦٤م.
- الأنباري، عبد الرزاق.
- ٣- منصب قاضي القضاء في الدولة العباسية، الدار العربية للموسوعات، بيروت طبعة أولى ١٩٨٧م.
- أيوب، إبراهيم.
- ٤- التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، الدار الأفريقية العربية، بيروت، طبعة أولى ١٩٨٩م.
- الباشا حسن.
- ٥- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، جامعة القاهرة، م ٤.
- بدوي عبد الرحمن
- ٦- شهيدة العشق الآلهي (رابعة العدوية)، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٤٨.
- بيهم محمد جميل
- ٧- المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، دار النشر للجامعيين- بيروت طبعة أولى ١٩٦٢.
- جواد مصطفى.
- ٨- سيدات البلاط العباسي دار الكشف، بيروت ١٩٥٧.
- الجومرد عبد الجبار.
- ٩- هارون الرشيد وحقائق عن عهده وخلافته، شركة المطبوعات، بيروت ١٩٩٩.
- الحاج علي عصام.
- ١٠- الأساس في تاريخ بني العباس، دار المواسم، بيروت ٢٠٠٣.

- حسن، حسن إبراهيم.
- ١١- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، أربعة أجزاء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة سابعة، ١٩٦٤م.
- حلاق، حسان.
- ١٢- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
- حمود، سوزي.
- ١٣- الدولة العباسية، مراحل تاريخها وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت ٢٠١٤.
- الخازن، وليم.
- ١٤- الحضارة العباسية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٨٤.
- الخضري، محمد بك.
- ١٥- الدولة العباسية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- الخطيب نشأت نور الدين
- ١٦- المجتمع العباسي، دار الشمس، بيروت، ١٩٩٦م.
- الزركلي، خير الدين.
- ١٧- الأعلام (قاموس تراجم)، أربعة عشر جزءاً، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة سادسة ١٩٨٣م.
- زيدان، جرجي.
- ١٨- تاريخ التمدن الإسلامي، خمسة أجزاء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م.
- شبارو، عصام.
- ١٩- القضاء والقضاة في الإسلام "العصر العباسي"، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣.
- ٢٠- قاضي القضاة في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٢م.
- ٢١- الصراع بين العرب وسيطرة غير العرب في الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م) دار مصباح الفكر، بيروت، ٢٠١١.

- الشكعة، مصطفى.
- ٢٢- فصول في الأدب الأندلسي، دار العلم للملايين، طبعة ٥، بيروت، ١٩٨٣.
- صقر، عبد البديع.
- ٢٣- شاعرات العرب، المكتب الإسلامي، ١٩٦٧م.
- الصوفي، خالد.
- ٢٤- تاريخ العرب في اسبانيا (جمهورية بني جهور)، دمشق ١٩٥٩.
- عكاشة، ثروت.
- ٢٥- موسوعة التصوير الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة أولى ٢٠٠١م.
- العنيسي، طوبيا.
- ٢٦- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، دار العرب، القاهرة ١٩٦٥م.
- عيسى، أحمد
- ٢٧- تاريخ البيمارستان في الإسلام، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٣٩.
- فوزي، فاروق عمر
- ٢٨- الخلافة العباسية، جزآن، دار الشروق، عمان ١٩٩٨.
- القشيري
- ٢٩- الرسالة القشيرية، القاهرة، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.
- الكبي، زهير.
- ٣٠- موسوعة خلفاء المسلمين، جزآن، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٤م.
- كحالة، عمر رضا.
- ٣١- أعلام النساء، المطبعة الهاشمية، دمشق، طبعة ثانية، ١٩٥٩م.
- المنجد، صلاح الدين
- ٣٢- جمال المرأة عند العرب، بيروت ١٩٥٧.
- الهاشمي، علي
- ٣٣- المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠.

ثالثاً: المراجع المعرّبة:

- نابيا أبوت.
- ١- المرأة والسياسة في الإسلام مع دراسة نموذجين من العصر العباسي: الخيزران أم الرشيد وزبيدة زوجته. ترجمة عمر أبو النصر، دار بيبيلون، باريس، ٢٠١٠.
- أوجوك آن، بدرية.
- ٢- النساء الحاكمات في التاريخ، تعريب إبراهيم داكوكي، دار السعدون، بغداد ١٩٧٢م.
- فبيه، جان موريس.
- ٣- أحوال النصارى في خلافة بني العباس، نقله إلى العربية حسني زينة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠م.
- دوزي، رينهارت.
- ٤- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، بيروت ١٩٧١.
- متز، آدم.
- ٥- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جزءان، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، مكتبة الخانجي، ودار الكتاب العربي، القاهرة وبيروت، طبعة رابعة (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
- المرنيسي، فاطمة.
- ٦- السلطانات المنسيات، نساء رئيسات دولة في الإسلام، ترجمة عبد الهادي عباس وجميل معلى، دار الحصاد، دمشق، طبعة ثانية، ١٩٨٨م.

رابعاً: الأطاريح الجامعية

- ١- أمل كوسا: دور المرأة في المجتمع العباسي من خلال كتب القاضي التنوخي (٣٢٧-٣٨٤هـ/٩٣٩-٩٩٤م)، أطروحة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٨.
- ٢- سهى بعيون: إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس- عصر ملوك الطوائف أطروحة دكتوراه في الدراسات الإسلامية- جامعة بيروت الإسلامية ٢٠٠٤.
- ٣- سوزي حمود: دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في البلاط العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م)، أطروحة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب، جامعة بيروت العربية، ٢٠٠٨.

فهارس الأعلام والجماعات والأماكن

- ١ - أعلام النساء
- ٢ - أعلام الرجال
- ٣ - الجماعات والقبائل والدول
- ٤ - الأماكن

١ - أعلام النساء

(أ)	
أروى بنت منصور الحميرية	٢١ ، ١
أوده بنت الحارث بن كندة	١٢
أسماء بنت عميس	١٣
أسماء بنت يزيد الأنصارية	١٢
آسيا البغدادية	١٠٢ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٥٧
أم ابي الحسن البغدادي السلامي	٧٤
أم أحمد الأنصارية "عبدة بنت عبد الرحمن"	٩٤
أم الشريف بنت عيسى	٦٦ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ١٥٤
أم عيسى بنت ابراهيم	٩٤ ، ١١٤ ، ١٥٦
أم موسى بنت منصور الحميرية	١٧
أم موسى الهاشمية "القهرمانة"	٥١ - ٥٥ ، ٦٠ - ٦٢ ، ٦٥ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٨
أم السلام "أمة الفتاح"	٩٤ ، ٩٥ ، ١١٤ ، ١٥٦
أمة الواحد "ستينة"	٩٤ ، ٩٥ ، ١١٤ ، ١٥٦
أملح الناس أم المستكفي	٢٤
آمنة الرملية	١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٥٧

(ب)	
بشينة بنت ثعلبة العذرية	١٤٦
بدعة الكبرى	٢٩ ، ٨٦ ، ٩٠
بنان	٧٦ ، ٨٠ ، ٨٣
بوران "خديجة بنت الحسن بن مسهل"	١٢٧ ، ١٣٢ - ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٤

(ث)	
ثرثرة	١٦
ثمل الدلفية	٥١ ، ٥٤ ، ٥٨ - ٦٠

(ج)	
جيجك أم المكتفي	٢٤
جيداء	١٤٧

(ح)	
حبشية أم المنتصر بالله	٨، ٢٣، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٦٦، ٦٧، ١٥٥
الحرّة بنت الأمير بدر	٥٠
حسن الشيرازية	٢٧

(خ)	
خاطف	٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٣
خالصة الجارية	١٢٨
خديجة أم المؤمنين	١٢
خديجة بنت المأمون	٧١
خزّامى	١٠٢، ١١٠، ١١٤، ١٥٧
خلا	٨٨
خلوب "زهرة" أم المتقي لله	٢٤
خولة بنت الأزور	١٢
الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد	١، ٢، ٧، ٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٣١-٣٨، ٤٧، ٥٠، ٦٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨

(د)	
دستنبويه	٤٨، ٥٠، ٥٤
دنائير	٨٦، ٩٠، ٩١، ١٥٥

(ر)	
رائعة	٦٩
رابعة العدوية	١٠٥-١٠٩
ربا	٧٦، ٨٣
ربطة بنت العباس بن علي	١٢١
ربطة بنت عبيد الله الحارثي	١، ١٦

(ز)	
١٠٨ - ١٠٤ ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤ ٦٩، ٩٥، ١١٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢ ١، ٧، ٨، ١٧، ٢٢، ٢٨، ٣٧-٤٠، ٦٦	زبيدة بنت جعفر "أمة العزيز" زوجة الرشيد وأم الأمين
٧١	زهراء الكلابية
١٣٢، ٥٦، ٥٥، ٥١	زيدان "القهرمانة"

(س)	
٨٣، ٧٦	سعاد
١٢	سكينة بنت الحسين
٢١، ١٦	سلامة أم المنصور
٨٣، ٧٦، ٦٩	سلمى اليمامية
١٥٣، ١٤٨، ١٤٧	سلمى بنت حنيف
١٥٦، ١١٤، ٩٤	سمانة بنت حمدان الأنبارية

(ش)	
٩١-٨٩، ٨٦	شاجي
١٥٦، ٩١، ٨٥	شارية
١٥٧، ١١٤، ٩٧، ٩٦، ٢٤	شجاع أم المتوكل على الله
١٠٨-٩٨، ١٠٠، ١١٤، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩- ١٣٢، ١٤٠، ١٤٢-١٤٤، ١٥٤، ١٥٥ ١٥٨، ١٥٧	شغب أم المقتدر بالله

(ص)	
١٦	صفية بنت عبد الله
١٥٦، ٩١	صلفة

(ض)	
٢٥ ، ٢٣	ضرار أم المعتضد بالله

(ظ)	
١٥٧ ، ١١٤ ، ١٠٠ ، ٢٤	ظلوم أم الراضي بالله
٨٣ ، ٧٦	ظمياء

(ع)	
٧٤	عائدة الجهنية
١٢	عائشة أم المؤمنين
١٣ ، ١٢	عائشة بنت طلحة
١٣	عاتكة بنت زيد
٧٤ ، ٦٩	عاتكة المخزومية
١٠٣	عبدة خادمة رابعة العدوية
٩١ ، ٨٨	عريب المأمونية
١٤٦	عزة بنت جميل المضرية
١٥٥ ، ٩١ ، ٧١-٦٩	علية بنت المهدي
١٣٢	عمرة الجارية
٧٨-٧٦ ، ٦٩	engan جارية النطاف

(ف)	
١٤١ ، ٥١	فارس قهرمانه المكتفي بالله
١٢	فاطمة الزهراء
٥٢ ، ٥١	فاطمة "القهرمانه"
٢٤	فتنة أم القاهر بالله
٤٦ ، ٢٣ ، ٨	فتيان أم المعتمد على الله
٢٣	فرج النصرانية
١٥٦ ، ٩١ ، ٨٧ ، ٨٦	فريدة الكبرى
١٥٦ ، ٩١ ، ٨٨ - ٨٦	فريدة المحسنة
٨٢ - ٧٨ ، ٧٦ ، ٦٩	فضل اليمامية

(ق)	
قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز ٢٣، ٢٤، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٦٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٥، ١٥٨	
قرب "وردة" أم المهدي بالله ٨، ٢٣، ٤٥، ٤٦	
قطر الندى "أسماء بنت خمارويه" ٦٩، ٧٥، ٩١، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤ - ١٣٧، ١٤٤، ١٥٥	

(ل)	
ليلي العامرية ١٤٦، ١٤٧، ١٥٣	

(م)	
ماردة أم المعتصم بالله ٢٢	
محبوبة ٧٦، ٨٣، ١٤٧، ١٥٦	
مخارق أم المستعين بالله ٨، ٢٤، ٤٣ - ٤٥، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١١٤، ١٥٧	
مراجل أم المأمون ٢٢، ٤٨، ٤٠ - ٦٦، ١٥٤، ١٥٥	
مكنونة أم عليّة بنت المهدي ٧٠	
المهناة بنت الهيثم الشيباني ٧٢، ٧٣	

(ن)	
نبت ٦٩، ٨٥، ٩١، ١٢٢، ١٥٦	
نصيب ١٤٧	
نظم النصرانية "الفهرمانّة" ٥١، ٥٧، ٥٨، ١٣٢	
نعم ١٤٧	

(هـ)	
هدية جارية ابراهيم المهدي ٨٧، ٩٠	

٢ - أعلام الرجال

(أ)	
٧٧	ابراهيم بن عمر
٩٠، ٨٧، ٨٥	ابراهيم بن المهدي
٩٨	ابراهيم بن مهران العسكري
١٥١	ابراهيم بن ميمون
١٠١، ٩٩	ابراهيم الثالث "الجاتليق"
٨٦	ابراهيم الموصللي
٥٣	ابن أبي الفضل
١١٩	ابن بطلان
٥٣، ٥٢	ابن ثوابة
٨٦	ابن جامع
١٣٦، ١٣٥، ٥٦	ابن الجصاص الحسن بن عبد الله الجوهري
٥٥، ٥٣	ابن الحواري علي بن محمد
١١١	ابن خفيف
٨٢	ابن الدقاق الضرير
١١٨، ١١	ابن الرومي
٢٧	ابن شيرزاد
٨٣	ابن طاهر
٤٢	ابن الطيفوري
١٠٠	ابن العطارة الطبيب النصراني
١٧	ابن المعتز
١٤١	أبو بكر الرازي
٩٤	أبو بكر الشافعي
١٣	أبو بكر الصديق
٢٦	أبو بكر محمد بن رائق
١٥٣، ١٤٨، ١٤٧	أبو البلاد بشر بن العلاء
٦٠، ٥٤	أبو جعفر أحمد بن الهلول

٧٤	أبو جعفر الكرخي
٤٩	أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرازاد
١٥٢ ، ١٣٣ ، ٣١ ، ٢١ ، ١٦	أبو جعفر المنصور
١٢٩	أبو جعفر بن قديدة
١١٧	أبو الحسن بن الفرات
٨١	أبو دلف المجلي
١١٢	أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمذاني
٢٦	أبو سليمان بن الحسن
٨٣	أبو عباد
٣١ ، ١٦	أبو العباس السفاح
٥٥	أبو العباس الخصيبي
٣٩	أبو العتاهية
١٢٩	أبو القاسم عبد الله بن محمد الأهوازي
٩٤	أبو القاسم الطبراني
٢٦	أبو القاسم الكلذابي
١١١	أبو محمد المهلبى الوزير
٧٦	أبو نواس
٥٢	أبو الهيثم بن محمد
٤٣	أتامش
٢٧	أحمد بن بويه
١٢٣	أحمد بن حنبل
١٣٥ ، ١٢٧ ، ٤٦	أحمد بن طولون
٥٤	أحمد بن العباس
٥٦	أحمد بن عبد الله الخرقى
٨٩	اسحاق بن ايوب الثعلبي
٨٦ ، ٨٥ ، ٧١	اسحاق الموصلي
٤٢	اسماعيل بن المتوكل
٢٣	أشناس
٣٩ ، ٣٨ ، ٢٨ ، ٢٢ ، ١٧ ، ٨ ، ١	الأمين
٩٩	الياس الأول

(ب)	
٤٤ ، ٤٣	باغر
٤٦	بابياك
١٠٠	بختشيوخ بن جبرائيل الطبيب النصراني
١٤٠ ، ١٠٠	بختشيوخ بن يحيى الطبيب النصراني
٥٠ ، ٤٩	بدر
٤٤ ، ٤٣ ، ٢٤ ، ٢٣	بغا الكبير
٧٧	بكر بن حماد الباهلي

(ت)	
٢٧	توزون

(ج)	
٨٥ ، ٧٨	جعفر البرمكي
١٣	جعفر بن أبي طالب
١٣٣ ، ١٣٢ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٣٧	جعفر بن المنصور
١٤٦	جميل بن عبد الله العذري

(ح)	
١٤٢ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٥٥-٥٣ ، ٤٩ ، ٢٦	حامد بن العباس
١٠٤	الحسن البصري
١٣٤- ١٣٢ ، ١٢٧	الحسن بن سهل
٤٠	الحسن بن علي
١٣	الحسين بن علي
٢٦	الحسين بن القاسم
١٠٨	الحلاج
١٤٧	حنيف بن عمرو

(خ)	
خمارويه بن أحمد بن طولون	١٢٧، ١٣٢، ١٣٤-١٣٧، ١٤٤

(د)	
دحمان المغني	٨٤، ٨٥

(س)	
سعيد الحاجب	٩٨
سعيد بن حميد	٨٠، ٨٢، ٨٣
سعيد بن سلمة النصراني	٤٣
سعيد بن عمرو (عمرون) بن سنجلا	١٠١
سلمة بن سعيد النصراني	٩٦-٩٨
سليمان بن أحمد الطبراني	٩٤
سليمان القانوني	١٣٨
سنان بن ثابت النصراني	٩٩، ١٤١
السندي بن الحرشي	٨٧

(ش)	
شاهك	٤٣
شجاع الكاتب	٤٣

(ص)	
صالح المنذري	٨٨

(ط)	
الطائع لله	١٢٧

(ع)	
العباس بن الأحنف	٧٦
عبد الرحمن الثاني	١٦
عبد الرحمن بن عيسى	٦٥

١٣	عبد الله بن أبي بكر
١٣٩	عبد الله بن الأمين
١٠١	عبد الله بن فرجويه
٢٦	عبد الله بن محمد بن حاقان
٤٨	عبد الله بن المعتز
٥٨	عبد الملك بن مروان
٨٩	عبيد الله عبد الله بن طاهر
٦٤	عجيب الغلام
١٣٢، ١٣٠، ٧٤	عضد الدولة
٤٠، ١٣	علي بن أبي طالب
٧٩	علي بن الجهم
٩، ٢٦، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٥٦، ٦١، ٦٥، ٩٩، ١٣١	علي بن عيسى
٢٦، ٤٩، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٦١، ٦٢	علي بن الفرات
١٣١	علي بن محمد بن لبق
١٣	عمر بن الخطاب
١٣	عمر بن عبد الله بن معمر التيمي
١٤٨	عمر بن ميسرة
٨٨	عمرو بن بانه
٥٦	عيسى البغدادي

(غ)

٤٨، ٤٧	غريب الخال
--------	------------

(ف)

٩٧	الفتح بن خاقان
٤٠	الفضل بن الربيع
٤٠	الفضل بن سهل

٩٨	فضلان الطبيب
٨٦	فليح
١٢٨	الفيض بن صالح

(ق)	
٢٣، ٢٤، ٢٦، ٤٩، ٦٦، ٩٩، ١٠٠، ١٢٩، ١٣٠، ١٥٥، ١٥٦	القاهر بالله محمد بن المعتضد
٥٥	قسيم الجوهري
١٤٦	قيس بن ذريح
١٤٦، ١٤٧، ١٥٣	قيس بن الملوح

(ك)	
١٤٦	كثير بن عبد الرحمن الخزاعي

(م)	
١١٠	مالك بن دينار
٢٢، ٢٨، ٣٨-٤١، ٤٤، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٨٨، ٩١، ٩٥، ٩٧، ١٢٧، ١٣٢-١٣٤، ١٣٩، ١٤٤، ١٥٥، ١٥٩.	المأمون
٢٣، ٢٧، ٥٦، ٦٦، ١٣٧، ١٥٥	المتقي لله
٨، ٢٣، ٢٤، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٦٦، ٦٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٨، ٩١، ٩٥-٩٧، ١٠١، ١١٤، ١٢١، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٨، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨.	المتوكل على الله
٩٥	المحاملي القاضي
٧٥	محمد بن أحمد بن عيسى
٥٤، ٥٥، ٦٠	محمد بن اسحاق بن المتوكل
٨٨	محمد بن حامد
٢٦	محمد بن عبد الله بن خاقان
٧٢، ٧٣	محمد بن عبد الحميد الجشمي

٥٣	محمد بن عبيد الله بن خاقات
١٤٩	محمد بن علي بن حمزة
٩٤	محمد بن مخلد الدوري العطار
٦٥، ٦٤	المحسن بن علي بن الفرات
٨، ٢٣، ٢٤، ٤١، ٤٣-٤٥، ٦٦، ٨٨، ٩٦، ٩٨، ١١٤، ١٥٥، ١٥٧.	المستعين بالله
١٥٥، ٦٦، ٢٧، ٢٤، ٢٣	المستكفي بالله
١٣	مصعب بن الزبير
٨، ٢٣، ٢٤، ٤١، ٤٢، ٤٤-٤٦، ٦٦، ٨٢، ٨٨، ١٢٩، ١٤٣، ١٥٥، ١٥٨.	المعتز بالله
١٥٤، ٤٤، ٢٨، ٢٤، ٢٢	المعتصم بالله
٨٩، ٥٧، ٦٦، ٥٣، ٥٠، ٤٨، ٢٤، ٢٣، ٩٠، ٩١، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٢-١٣٧، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٥.	المعتضد بالله
٨، ٢٣، ٤٥، ٤٦، ٨٥، ٨٨، ٩١، ١٣٥، ١٥٥، ١٥٦.	المعتمد على الله
٢، ٨، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٤٧-٦٦، ٩١، ٩٦، ٩٨-١٠٠، ١١٤، ١٢٤، ١٣١، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٤-١٥٨.	المقتدر بالله
١٤١، ١٢٩، ١٢٧، ٥١، ٢٥، ٢٣	المكتفي بالله
٩٨، ٦٧، ٦٦، ٤٥-٤١، ٢٤، ٢٣، ٨، ١٥٥.	المنتصر بالله
٨، ٢٣، ٢٥، ٤٥، ٤٦، ٥٥، ١٣٧، ١٥٥.	المهتدي بالله
١، ٧، ١٧، ١٧، ٢١، ٣١-٣٣، ٣٦، ٣٨، ٥٠، ٧٠، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٤.	المهدي محمد
٤١، ٤٠.	موسى بن الأمين
١٠١	موسى الشماس
١٣٥، ٤٦	الموفق بن طلحة
٣٩	المؤتمن
١٣٠.	مؤنس القائد
٤٤	المؤيد

(ن)

٦٥ ، ٦٤	نازوك
٦٣ ، ٦٢	نصر القشوري الحاجب
٧٨-٧٦	النطاف الشاعر

(هـ)	
١٥٥ ، ٦٦ ، ٣٥-٣١ ، ٢٤ ، ٢٢ ، ٧ ، ١	الهادي موسى
٥٠ ، ٤٠-٣١ ، ٢٨ ، ٢٢ ، ١٧ ، ٨ ، ٧ ، ١ ٩٥ ، ٩٠ ، ٨٦ ، ٧٧ ، ٧١-٦٩ ، ٦٧ ، ٦٦ ١٤٣ ، ١٣٩ ، ١٣٣ ، ١٣ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٤٤	هارون الرشيد
١٠٠	هارون أخو الرازي
٤٩-٤٧	هارون بن غريب الخال
٢٠	هاشم ابن عبد مناف
١٦	هشام الأول "الرضا"
١٢	هشام بن عبد الملك
٨٧	الهيثم بن مسلم

(و)	
٨٨	الواثق
٨٩ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٢٤ ، ٢٣	وصيف
٨٥ ، ٨٤	الوليد بن يزيد

(ي)	
١٥٥ ، ٩٠ ، ٨٦ ، ٤٠ ، ٣٧-٣٥ ، ٣٣ ، ٣٢	يحيى بن خالد البرمكي
١٦	يزدجرد بن كسرى
١٦	يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٥٥	يوسف بن أبي الساج
١٣٣ ، ٥٨ ، ٥٧	يوسف بن يحيى بن علي
٩٧	يوليوس جرمانوس

٣- الجماعات والقبائل والدول:

الأتراك	٢٣-٢٥، ٢٨، ٤١-٤٩، ٦٦، ٦٧، ٩٧، ٩٨، ١٢٤، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩.
أهل الذمة	٩٦
البرامكة الفرس	٢٢، ٢٨، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٤٧، ٦٦، ٦٧، ٨٦، ٨٧، ١٣٩، ١٥٤، ١٥٩.
البربر	١٢٤
بنو أمية	١٣
بنو الربيع	٨٧
بنو عتيك	١٠٣
بنو قزارة	٧٣
البيزنطيون	٣٢، ٩١، ٩٧، ١٥٥، ١٥٦.
الخوارج	١٠٦
الخوارزمية	٩٦، ١٢٤
الدولة الأموية	١٤٧، ١٥٣
الدولة البيزنطية	٢٢
الروم	١٢، ٩٦، ٩٩، ١٢٤، ١٣٩
الزنج	٤٦
الزهد	١١٠، ١١١، ١١٤، ١٥٦، ١٥٧
الشعبية	٩٧
الصقالبة	٩٨، ١٢٤
الصوفية	١٠٢-١١١، ١١٤، ١٥٦
العرب	٩١، ١٥٥

الفرس	٩١، ٩٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٥٤-١٥٧، ١٥٩
القرامطة	١٤٢
المجوس	١١٢
المعتزلة	١١٢، ١١٣
النسطورية	١٠١
النصارى	٣٨، ٩٥-٩٩، ١٠١، ١١٤، ١٥٧
اليهود	٩٥-٩٨، ١١٢
اليونان	٩٧، ١١٢

٤- الأماكن

(أ)	
أذربيجان	٣٢
أرمينيا	٣٢
أسناية (قناة) الخيزران	١٢٨
أصبهان	٥٣
آمد	٧٥
الأنبار	٩٧
الأندلس	١٦، ١٥
الأهواز	٥٥

(ب)	
باب البصرة	٢١
باب خرسان	٢١
باب الطاق	٥٦
باب الكوفة	٢١
البحرين	١٤٠
البصرة	١٥٢، ١١٢، ١٠٣
بغداد	٢١-٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٤٤-٤٦، ٤٩، ٥٢، ٧٤، ٧٦، ٨٨، ٩٩، ١٠١، ١١٢، ١٣٠، ١٣٣-١٣٥، ١٣٨، ١٤٠-١٤٢، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٥.
بيت الحكمة	٩٧، ٢٢
بيت الله الحرام	١٣٩، ١٣٩، ١٤٤

(ج)	
جدة	١٥١
الجزيرة	٤٩، ٣٩
الجعفرية	٢٤

(ح)	
الحبشة	١٥٢
الحجاز	١٣٨ ، ٨٧
حديثه الموصل	٤٦

(خ)	
خراسان	٨٣ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٢١

(د)	
دار خاظم	٤٨
دار الخيزران في مكة المكرمة	١٤٤ ، ١٣٧
دار المدينيات	١٦
دار المقتدر بالله	٥٢
دجلة	٥٢ ، ٢٣ ، ٢١
دمشق	١٣٦ ، ٩٧

(ر)	
الرحبة	٧٢
الرصافة	٥٩ ، ٤٨
الرملة	١٣٦
الري	١٤١ ، ٣٩

(س)	
سامراء (سر من رأى)	٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ - ٤٦ ، ١٥٩ ، ١٥٤ ، ٩١
سوق يحيى ببغداد	١٤١

(ش)	
الشام	١٣٥ ، ١٣٤ ، ٨٩ ، ٣٩ ، ٣٢ ، ٢١
شيراز	١١١

(ص)	
١٢	صحورا
١٣٧	الصين

(ط)	
٧١	طيزانا باذ

(ع)	
١٣٧	العراق
١٣٨	عين حنين

(ف)	
٢١	الفرات
١٣٤	فم الصلح

(ق)	
٢٢	قبرص
٥٧	القرية الفضية
٣٢، ٢٢	القسطنطينية
٣٣	القصر الأبيض
١٣٥	قصر خمارويه بن أحمد بن طولون
٤٦	القطائع
٤٩	قطريل
٩٦، ٣٨	قناطر زبيدة

(ك)	
١٠٨، ١٠٧، ٢٢	الكعبة الشريفة
١٤٢، ٢٢-٢٠	الكوفة

(م)	
١٤١	مارستان (بغداد)
١٤٤ ، ١٤١	المارستان الشغبي
١٤٢ ، ١٤١	المارستان المقتدري
٤١ ، ٢٤	المتوكلية
٨٦ ، ١٦	المدينة المنورة
٢٦	المسجد الجامع في بغداد
١٣٧ ، ٢٥	المسجد الحرام
١٣٦-١٣٤ ، ١٣٢ ، ١٢٧ ، ٤٦ ، ٣٩ ، ٣٢ ١٤٤	مصر
٥٣ ، ٣٩	المغرب
٣٨	مقابر قریش في بغداد
١٣٩-١٣٧ ، ١٣٥ ، ٦٥ ، ٤٢ ، ٢٢ ، ١٢ ١٥١ ، ١٤٤	مكة المكرمة

(ن)	
٤٧	نجد

(هـ)	
٢٠	هاشمية الأنبار
٢٠	هاشمية الكوفة
٣٩	همدان
١٣٧	الهند

(و)	
٥٥ ، ٤٩	واسط

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	١
١- إشكالية الموضوع.....	٢
٢- أهمية الموضوع.....	٢
٣- تقويم المصادر التي تحمل اسم المرأة.....	٣
٤- المراجع السابقة التي تحمل اسم المرأة.....	٣
٥- المصادر التي تحمل اسم المرأة.....	٤
٦- المراجع التي لا تحمل اسم المرأة.....	٦
٧- تقسيم الأطروحة.....	٨
تمهيد: التطور التاريخي لدور المرأة في صدر الإسلام والدولة الأموية.....	١٠
أولاً: المرأة في صدر الإسلام.....	١١
ثانياً: المرأة في الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦١١-٧٥٠م).....	١٤
ثالثاً: المرأة في الأندلس.....	١٥
الفصل الأول: تطور الأوضاع السياسية والعسكرية (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م).....	١٩
أولاً: الهيمنة الفارسية في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م).....	٢٠
ثانياً: النفوذ التركي في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م)...	٢٣

٢٨	ثالثاً: استنتاجات.....
٢٩	الفصل الثاني: تطور دور المرأة السياسي.....
٣١	أولاً: الخيزران أول امرأة جارية من أمهات الخلفاء تستبد بالحكم في الاسلام (١٥٨-١٧٣هـ/٧٧٥-٧٨٩م).....
٣١	١. نفوذها في خلافة زوجها محمد المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م).
٣٣	٢. تضعضع نفوذها في خلافة ابنها موسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م).....
٣٥	٣. استعادة نفوذها مطلع خلافة ابنها هارون الرشيد (١٧٠-١٧٣هـ/٧٨٦-٧٨٩م).....
٣٧	٤. وفاة الخيزران (١٧٣هـ/٧٨٩م).....
٣٧	ثانياً: نفوذ المرأة الحرة زبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين (١٦٥-١٩٨هـ/٧٨١-٨١٣م).....
٣٧	١- نفوذها بعد زواجها من هارون الرشيد (١٦٥هـ/٧٨١م).....
٣٨	٢- نفوذها بعد وفاة الخيزران (١٧٣هـ/٧٨٩م).....
٣٩	٣- دورها في إخراج أبي العتاهية من السجن.....
٤٠	٤- دورها في نكبة البرامكة (١٨٧هـ/٨٠٣م).....
٤٠	٥- دورها أثناء خلافة ابنها محمد الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٩-٨١٣م)...
٤١	ثالثاً: الدور السياسي لقبiche زوجة المتوكل وأم المعتز (٢٤٧-٢٥٥هـ/٨٦١-٨٦٩م).....
٤٢	رابعاً: دور حبشية أم المنتصر بالله (٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م).....

٤٣	خامساً: دور مخارق أم المستعين بالله.....
٤٥	سادساً: دور قرب أم المهدي بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ-٨٦٨-٨٦٩م).....
٤٦	سابعاً: دور فتیان أم المعتمد على الله.....
٤٧	ثامناً: نفوذ شغب ام المقتدر بالله والقهرمانات (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)...
٤٧	١- نفوذ السادة برئاسة شغب.....
٤٨	(أ) خاطف.....
٤٨	(ب) غريب الخال.....
٤٩	(ج) هارون بن غريب الخال.....
٤٩	(د) الحرة.....
٥٠	(هـ) دستتوبويه.....
٥٠	٢- نفوذ القهرمانات في بغداد.....
٥١	(أ) فاطمة (٢٩٥-٢٩٩هـ/٩٠٥-٩١١م).....
٥٢	(ب) أم موسى الهاشمية (٢٩٩-٣١٠هـ/٩١١-٩٢٢م).....
٥٥	(ج) زيدان والاشرف على دار اعتقال الوزراء.....
٥٧	(د) نظم النصرانية.....
٥٨	٣- تدخل المرأة في القضاء.....
٥٩	(أ) ثمل صاحبة المظالم (٣٠٦هـ/٩١٨م).....
٦٠	(ب) مواجهة قاضي القضاة أبو جعفر لشغب.....
٦١	٤- تدخل شغب في تعيين الوزراء وعزلهم.....
٦٢	(أ) عزل الوزير حامد بن العباس وقتله (٣١١هـ/٩٢٣م).....

٦٣	(ب) انقاذ الحاجب نصر القشوري من السجن.....
٦٣	(ج) القبض على الوزير علي بن محمد بن الفرات وقتله (٣١٢هـ/٩٢٤م)...
٦٥	(د) القبض على الوزير علي بن عيسى (٣١٦هـ/٩٢٨م).....
٦٦	تاسعاً: استنتاجات.....
٦٨	الفصل الثالث: تطور دور المرأة في الشعر والغناء.....
٦٩	أولاً: دور المرأة الحرة في الشعر.....
٦٩	١- زبيدة بنت جعفر.....
٧٠	٢- عليّة بنت المهدي.....
٧١	٣- خديجة بنت المأمون.....
٧١	٤- زهراء الكلابية.....
٧٢	٥- المهناة بنت الهيثم الشيباني.....
٧٤	٦- عائدة الجهنية.....
٧٤	٧- عاتكة المخزومية.....
٧٥	٨- قطر الندى زوجة المعتضد.....
٧٥	٩- أم الشريف بنت عيسى.....
٧٦	ثانياً: دور المرأة الجارية في الشعر.....
٧٦	١- عنان جارية النطاف.....
٧٨	٢- فضل اليمامية جارية المتوكل على الله.....
٨٣	٣- سلمى اليمامية جارية ابي عباد.....
٨٣	ثالثاً: دور المرأة الجارية في الغناء.....

٨٤	١- تدريب الجوّاري على الغناء وبيعهن.....
٨٦	٢- دنانير جارية يحيى بن خالد البرمكي (ت ٢١٠هـ/٨٢٥م).....
٨٧	٣- هدية جارية ابراهيم بن المهدي.....
٨٧	٤- فريدة الكبرى وفريدة المحسنة.....
٨٨	٥- عُريب جارية المأمون (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م).....
٨٨	٦- بدعة الكبرى (ت ٣٠٢هـ/٩١٤م).....
٨٩	٧- شاجي جارية عبيد الله.....
٩١	رابعاً: استنتاجات.....
٩٣	الفصل الرابع: تطور دور المرأة في العلوم الدينية والزهد والتصوف.....
٩٤	أولاً: دور المرأة في العلوم الدينية.....
٩٤	١- أم أحمد الأنصارية.....
٩٤	٢- سمانة بنت حمدان.....
٩٤	٣- أم عيسى (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م).....
٩٥	٤- ستنيتة المحاملي (ت ٣٧٧هـ/٩٨٨م).....
٩٥	٥- موقف ظلوم أم الخليفة الراضي بالله.....
٩٥	ثانياً: موقف أمهات الخلفاء من النصارى.....
٩٦	١- موقف زبيدة أم الخليفة محمد الأمين.....
٩٦	٢- موقف شجاع أم الخليفة المتوكل على الله.....
٩٨	٣- موقف مخارق أم الخليفة المستعين بالله.....
٩٨	٤- موقف شغب أم الخليفة المقتدر بالله.....

١٠٠	٥- موقف ظلوم أم الخليفة الراضي بالله.....
١٠٢	ثالثاً: دور المرأة في الزهد والتصوف.....
١٠٢	١- رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م).....
١٠٢	أ- دور رابعة العدوية في تحول الزهد نحو التصوف.....
١٠٤	ب- التوبة من منظار رابعة العدوية.....
١٠٥	٢- آسية البغدادية (ت ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م).....
١٠٥	٣- آمنة الرملية.....
١٠٦	٤- خزامى.....
١٠٦	٥- الزاهدات الصوفيات بشيراز.....
١٠٨	خامساً: دور المرأة في الاعتزال.....
١٠٩	سادساً: استنتاجات.....
١١٠	الفصل الخامس: تطور وضع المرأة في البيت والعمل.....
١١١	أولاً: وضع المرأة العباسية داخل البيت.....
١١٣	ثانياً: المعايير الجديدة لتحمل المرأة وزينتها.....
١١٧	ثالثاً: مزاولة الجواري معظم الأعمال.....
١١٧	١- الخط والكتابة.....
١١٧	٢- الحجامة.....
١١٨	٣- الغزل.....
١١٨	٤- الماشطات والخبازات.....
١١٨	٥- المهن الأخرى.....

١١٨	رابعاً: تمسك المرأة الحرة بالتقاليد العربية.....
١٢٠	خامساً: الاستنتاجات.....
١٢١	الفصل السادس: تطور مظاهر الغنى وأعمال الخير لدى المرأة العباسية.....
١٢٢	مقدمة.....
١٢٢	أولاً: ثروات زوجات الخلفاء.....
١٢٢	١- ثروة الخيزران زوجة الخليفة محمد المهدي.....
١٢٣	٢- ثروة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد.....
١٢٤	٣- ثروة قبيحة زوجة المتوكل.....
١٢٤	٤- ثروة شغب زوجة المكتفي.....
١٢٦	ثانياً: ثروات القهرمانات.....
١٢٦	١- ثروة أم موسى الهاشمية.....
١٢٧	٢- ثروة نظم.....
١٢٧	٣- ثروة زيدان.....
١٢٧	ثالثاً: مظاهر الترف والبذخ في حفلات زواج الخلفاء.....
١٢٨	١- زواج هارون الرشيد من زبيدة (صفر ١٦٥هـ / أيلول ٧٨١م).....
١٢٨	٢- زواج الخليفة المأمون من بوران (٢١٠هـ / ٨٢٥م).....
١٢٩	٣- زواج الخليفة المعتضد من قطر الندى (٢٨١هـ / ٨٩٤م).....
١٣٢	رابعاً: دور المرأة في الأعمال الإنسانية والصحية.....
١٣٢	١- دار الخيزران في مكة المكرمة (١٧١هـ / ٧٨٧م).....
١٣٣	٢- زبيدة وتوفير الماء لحجاج بيت الله الحرام (١٨٦هـ / ٨٠٢م).....

١٣٥	٣- التشجيع على إنشاء الـبـيـمارـسـتـانـات.....
١٣٥	(أ) قبيحة والطبيب بختيشوع.....
١٣٦	(ب) المارستان الشـغـبي (٣٠٦هـ/٩١٨م).....
١٣٧	٤- فتح مخازن الغلة وإغاثة المنكوبين.....
١٣٨	رابعاً: الاستنتاجات.....
١٤٠	الفصل السابع: أشهر قصص عشق المرأة الحرة والجارية.....
١٤٢	أولاً: قصص العشـق التي تنتهي بموت العاشق أو بجنونه.....
١٤٢	١- أبو البلاد يعشق ابنة عمه سلمى ويجن.....
١٤٣	٢- عمر بن ميسرة عاشق ابنة عمه.....
١٤٣	٣- العاشق الهائم على وجهه.....
١٤٤	ثانياً: قصص العشـق التي تؤدي إلى مرض لا شفاء منه إلا بزواج العشاق....
١٤٤	١- محمد بن علي بن حمزة عاشق جارية زوجته.....
١٤٥	٢- الفتى عاشق حارية أخته.....
١٤٥	٣- العاشقات السود.....
١٤٧	٤- شفاء عاشق بعد سنين.....
١٤٨	ثالثاً: استنتاجات.....
١٤٩	الخاتمة.....
١٥٥	الملاحق.....
١٥٦	١- الخلفاء في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٥٠-٩٤٥م).....
١٥٧	٢- أمهات الخلفاء في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٤هـ/٧٥٠-٨٤٧م).....

١٥٨	٣- أمهات الخلفاء في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٥م).
١٥٩	٤- راقصتان في لوحة جدارية في قصر الجوسق بسامراء.....
١٦٠	٥- امرأة وكلب يهاجمان حيواناً- لوحة في قصر الجوسق بسامراء.....
١٦١	٦- كتاب الوزير علي بن عيسى إلى شغب (٣٠٤هـ/٩١٦م).....
١٦٣	٧- أنموذج من إسراف شغب.....
١٦٤	٨- الخليفة القاهر يعذب شغب زوجة أبيه ويصلبها منكسبة.....
١٦٥	المصادر والمراجع.....
١٦٥	أولاً: المصادر العربية.....
١٧٢	ثانياً: المراجع العربية.....
١٧٥	ثالثاً: المراجع المعربة.....
١٧٦	رابعاً: الأطاريح الجامعية.....
١٧٧	فهارس الأعلام والجماعات والأماكن.....
١٧٨	١- أعلام النساء.....
١٨٣	٢- أعلام الرجال.....
١٩١	٣- الجماعات والقبائل والدول.....
١٩٣	٤- الأماكن.....
١٩٧	الفهرس.....